الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قسنطينة

كلية أصول الدين والشريعة

والحضارة الإسلامية

قسم العقيدة ومقارنة الأديان

الرقم التسلسلي

رقم تسجيل الطالب

علاقة الإنسان بالله في التوراة والإنجيل والقرآن بين الإلحاد والتنزيه

دراسة استقصائية تمحيصية موازنة

بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه الدولة في مقارنة الأديان

إعداد : الباحث : طيبات لمير

إشراف : أ.د. عبد المجيد عمراني

أعضاء لجنة المناقشة	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية
الرئيس			
المقرر			
المناقش			
المناقش			
المناقش			

السنة الجامعية : 1425 - 1426 هـ / 2004 - 2005 م

نوقشت يوم : ....

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

علاقة الإنسان بالله في التوراة والإنجيل والقرآن بين الإلحاد والتنزيه

دراسة استقصائية تمحيصية موازنة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
تمهيد	
المقدمة	03
الفصل الأول: التعريف بمصادر البحث الثلاثة:التوراةو الإنجيل والقرآن.	09
المبحث الأول: التوراة	11
المبحث الثاني: الإنجيل	15
المبحث الثالث: القرآن الكريم	21
الفصل الثاني: الله في التوراة	23
المبحث الأول: وجود الله وطبيعة وجوده	26
المبحث الثاني: صفات الله تمحيص ومناقشة	28
المبحث الثالث: أسماء الله تمحيص ومناقشة	59
الفصل الثالث: الإنسان في التوراة	70
المبحث الأول: مفهومه ومكانته ووظيفته ومصيره	71
المبحث الثاني: تمحيص ومناقشة	79
الفصل الرابع: علاقة الإنسان بالله في التوراة	84
المبحث الأول: الله هو رب اليهود وهم خاصته	86
المبحث الثاني: طريق معرفة الله	89
المبحث الثالث: الالتزام بوحي الله	93
المبحث الرابع: علاقة الإنسان بالله في إطار عدله	97
المبحث الخامس: الأمل في الخلاص	104
المبحث السادس: تمحيص ومناقشة	106
الفصل الخامس: الله في الإنجيل	119

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: في الأناجيل	122
المبحث الثاني: الأساس التاريخي لعقيدة الثالوث المسيحية	128
المبحث الثالث: تمحيص ومناقشة	132
الفصل السادس: الإنسان في الإنجيل	162
المبحث الأول: مفهومه، ومكانته، ودوره ، ومصيره	165
المبحث الثاني: تمحيص ومناقشة	172
الفصل السابع: علاقة الإنسان بالله في الإنجيل	176
المبحث الأول: علاقة الإنسان بالله قبل الخطيئة الأولى لآدم وحواء	178
المبحث الثاني: علاقة الإنسان بالله بعد الخطيئة	180
المبحث الثالث: أهمية شخصية المسيح في علاقة الإنسان بالله بعد الخطيئة الأولى	182
المبحث الرابع: مظاهر علاقة الإنسان بالله بواسطة المسيح	184
المبحث الخامس: تمحيص ومناقشة	189
الفصل الثامن: الله في القرآن	207
المبحث الأول: وجود الله تعالى	208
المبحث الثاني: أسماؤه وصفاته	216
الفصل التاسع: الإنسان في القرآن	231
المبحث الأول: مفهومه	233
المبحث الثاني: مكانته	236
المبحث الثالث: وظيفته	240
المبحث الرابع: مصيره	247
الفصل العاشر: علاقة الإنسان بالله في القرآن	252
المبحث الأول: علاقة الإنسان بالله علاقة عبودية	254
المبحث الثاني: علاقة الإنسان بالله علاقة معرفة	258

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: علاقة الإنسان بالله علاقة التزام بوعده	270
المبحث الرابع: علاقة الإنسان بالله علاقة إيمان بعدله	278
الخاتمة (النتائج العقدية التي أسفرت عنها الموازنة)	289
الفهارس	301
أولا:فهرس آيات القرآن الكريم	302
ثانيا: فهرس أحاديث النبي ﷺ	324
ثالثا: فهرس نصوص إنجيل برنابا	326
رابعا: فهرس نصوص التوراة	328
خامسا: فهرس الأناجيل ورسائل الرسل	337
سادسا: فهرس اختصارات أسفار الكتاب المقدس	343
سابعا: فهرس المصادر والمراجع	346
ثامنا: فهرس الموضوعات	358

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمــــــــة

إن عقيدة الألوهية هي أصل العقائد الدينية كلها، وأهمها على الإطلاق، فإذا صحت وسلمت هذه العقيدة من التصورات الباطلة، أمكن للإنسان أن يعتقد بباقي العقائد اعتقادا صحيحا أيضا، وأمكن له أن يتصور العلاقة الصحيحة بينه وبين خالقه، وبينه وبين الكون والحياة فيكون في هذه الحالة مثال الإنسان الخليفة الذي عرف حقيقته ووظيفته في هذا الكون كما أراده الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [1] أما إذا لم تسلم عقيدة الألوهية من شوائب الشرك والضلالة، فإن باقي العقائد تمسي هي أيضا عرضة للخطأ والبطلان، ويخطئ الإنسان بالتالي في تصوره للعلاقة الصحيحة بينه وبين خالقه، وبينه وبين الكون والحياة، فيكون حينئذ مثال الخليفة السوء الذي لم يفهم دوره ووظيفته كما أرادها خالقه، فينطبق عليه قوله تعالى ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [2]. وقولـــه: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [3].

انطلاقا من هذا التصور لعلاقة الإنسان بخالقه يأتي هذا الموضوع كاشفا عن أهميته وضرورته بما سيؤصله من حقائق عقدية هامة تتعلق بعقيدة الألوهية، وعلاقة الإنسان بهذه العقيدة، خاصة أن هذا الموضوع لم يحظ بالاهتمام في الفكر الإسلامي كموضوع ممحص موازن بين الإسلام وبين الدينين السابقين له، وهما الدين اليهودي والدين المسيحي. لذلك يعد هذا الموضوع، وبهذا العنوان من الناحية الأكاديمية موضوعا جديدا في حدود إطلاعي، جديرا

(1) الأنعام/165.

(2) الأعراف/ 169.

(3) مريم/ 59.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بالبحث والتأصيل في حقل الديانات الإبراهيمية الثلاث أو في اثنتين منها على الأقل، ويمكن التعريف بموضوع الأطروحة من حيث المضمون والمنهج فيما يأتي:

أولا: مضمون الأطروحة وأهدافها:

إن الله سبحانه حين أوجد الإنسان لم يوجده عبثا، ولم يتركه سدى، وإنما أوجده للقيام بمهمة الخلافة في هذا الكون،ومن أجل أن يؤدي الإنسان أمانة الخلافة هذه، جعله الله ذا صلة وعلاقة وثيقة به، تتجلى هذه العلاقة خصوصا فيما يأتي:

1-علاقة الإنسان بالله علاقة عبودية: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [4] لا علاقة أبوة أو صحبة أو اتحاد أو حلول. ومن ثم يجب أن تكون هناك مفارقة تامة بين حقيقة الله تعالى وحقيقة الإنسان، وهذا ما جعلني أهتم ببحث ودراسة مفهوم الله تعالى ومفهوم الإنسان.

2-علاقة الفعل الإنساني بالفعل الإلهي في الدنيا والآخرة علاقة حق وعدل لا علاقة عبث وظلم: فليست إرادة الإنسان وقدرته وفعله أثناء التكليف بأمانة الاستخلاف واقعة تحت الجبر والقهر الإلهي، ولا الجزاء الذي يلقاه في الدنيا وسيلقاه في الآخرة جزاء ظالما، وإنما هو جزاء عادل مستحق بناء على ما اختاره الإنسان لنفسه من اعتقاد وسلوك، وبناء على ما سبق من علم الله تعالى، وقضائه وتحقق قدره.

هذه المفاهيم العقدية لعلاقة الإنسان بالله ستكون موضوع بحث مركز في الكتب السماوية الثلاثة: التوراة الإنجيل والقرآن.

والتوراة المقصودة التي ستكون مصدر بحث للأطروحة بشكل أساسي هي أسفار موسى الخمسة، لأن كلمة توراة تطلق مجازا على باقي أسفار العهد القديم، ولذلك فقد أرجع إليها كلما تطلب الأمر ذلك، خاصة وأن تفسير موسى الخمسة كثيرا ما يكون على ضوء باقي أسفار العهد القديم.

كما أن الإنجيل المقصود الذي سيكون مصدر بحث الأطروحة هو جملة الأناجيل الأربعة أساسا، وقد أضطر إلى الأخذ من رسائل الرسل المسيحيين المقدسة كلما دعت الحاجة إلى

(4) الذاريات/56.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ذلك، لأن الأناجيل الأربعة يفسرها المسيحيون على ضوء تلك الرسائل، والنص الديني المقدس الذي اعتمده في كل من التوراة والإنجيل بالمفهوم السابق هو النص الموجود في النسخ المتداولة اليوم عند اليهود بالنسبة للتوراة، وعند المسيحيين بالنسبة للتوراة والإنجيل معا، سواء من الكاثوليك أو البروتستانت أو الأرثوذكس.

وعلى ضوء المضمون السابق للأطروحة في مصادرها الثلاثة تبرز لنا ثلاثة معالم رئيسة ستكون محل بحث ومناقشة في عشرة فصول(*)،هذه المعالم هي: الله سبحانه وتعالى الذي سيبحث في ثلاثة فصول في كل من التوراة والإنجيل والقرآن، ويليه بحث الإنسان في ثلاثة فصول أخرى. ويبحث معلم علاقة الإنسان بالله في الفصول الثلاثة المتبقية في المصادر الثلاثة المذكورة.

ويندرج تحت هذا المعلم الأخير مفاهيم كثيرة جد حساسة في العقائد الدينية، منها ما أخذ طابع الإشكال الفكري في الأديان السماوية الثلاثة، وهي كلها تدخل تحت ما يصطلح عنه في علم الكلام الإسلامي، علاقة الفعل الإنساني بالفعل الإلهي، كمسألة الإرادة والقدرة الإنسانيتين وعلاقتهما بالإرادة والقدرة الإلهيتين، وما يترتب عن ذلك من مفهوم التسيير والتخيير، والخير والشر، والعدل والجور في علاقة الإنسان بالله.

وفي الخاتمة صغت مجمل النتائج العقدية والفكرية التي توصلت إليها من خلال البحث والمناقشة صياغة عامة مركزة يمكن إبراز معالمها العامة فيما يأتي:

1–من حيث العقيدة الإلهية ومفهوم الإنسان:

أ–في التوراة: رغم أن العقيدة الإلهية كما جاء بها الرسول موسى ومن قبله أنبياء بني إسرائيل كانت عقيدة توحيد وتتريه إلا أنها انحرفت عن خط التوحيد والتتريه وألبست لباس التشبيه والتجسيم الإنساني.

ب–في الإنجيل: عقيدة الألوهية كما جاء بها النبي عيسى عقيدة توحيد وتتريه ولكن المسيحيين حرفوا هذه العقيدة، وأخرجوها عن خط التوحيد والتتريه إلى الحلول والتجسيد والتعدد، والخلط بين الله والإنسان.

(*)يستثنى منها الفصل الأول الذي خصصته للتعريف بمصادر البحث الثلاثة: التوراة والإنجيل والقرآن.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جـ-في القرآن: القرآن كشف عن انحراف اليهود والنصارى في عقيدة الألوهية، وصحح اعتقادهم بما أصله من توحيد وتنزيه، وتمييز بين حقيقة الله وحقيقة الإنسان.

2-من حيث علاقة الإنسان بالله:

أ-في التوراة: علاقة أفعال الله بأفعال الإنسان يلتبسها العبث والظلم في حق الله تعالى.

ب-في الإنجيل: علاقة الله بالإنسان علاقة سخرة وتعذيب، تكفيرا عن الخطيئة الكبرى لأبويه -آدم وحواء- لا علاقة تكريم واستخلاف للإنسان.

جـ-في القرآن: علاقة الله بالإنسان علاقة تكريم وتكليف واستخلاف وعدل. كما أن البحث قد لا يخلو من تحقيق أهداف أخرى يمكن إجمالها فيما يأتي:

1-الهدف العلمي: من خلال النتائج التي أسفرت عنها الموازنة في هذا الموضوع اكتشف زيف أو صحة ما ينسب إلى الله تعالى من اعتقادات في كتب سماوية ثلاثة.

2-الهدف الإجرائي أو العملي: الهدف العملي السابق يفتح المجال أمام الإنسان مهما كان انتماؤه الديني لتصحيح اعتقاده بالله تعالى، وتصحيح سلوكه في الكون الذي يعيش فيه.

3-الهدف الرسالي: الباحث عن الحقيقة الدينية يجد في هذا الموضوع ملاذا له، وقناعة عقدية في تصور علاقة الإنسان بخالقه.

4-الهدف المعرفي والثقافي: حداثة هذا الموضوع وأكاديميته كموضوع موازن بين أديان سماوية ثلاثة هو زيادة وإثراء لعلم مقارنة الأديان خصوصا، وللثقافة الإسلامية عموما.

ثانيا: **الإجراءات المنهجية:**

استفاء لحق هذا الموضوع من حيث الدراسة الموضوعية رأيت في المنهجين الآتيين عونا لي على بلوغ أهداف المشروع:

1-منهج الموازنة: وهو طريقة في البحث يتحرى فيها الباحث المعادلة والمساواة بين شيئين أو أكثر أو عدم المعادلة والمساواة بينهم [5]، أو بمعنى آخر، مدى اتفاقهما أو اختلافهما، والموازنة نوعان، مجملة ومفصلة، فالمجملة يعمد الباحث إلى تصنيف المعلومات المتعلقة بموضوع

---

[5] أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، (بيروت: مكتبة لبنان، 1986م)، ص: 300.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ما ليقابله بتصنيف مماثل في نفس الموضوع ثم الترجيح بينهما مبرزا مدى الاتفاق والاختلاف بينهما بشكل عام مجمل.

والمفصلة هي المقارنة التي تقتضي مقابلة عناصر الموضوع المبحوث مقابلة رأسية متساوية مع عناصر موضوع آخر لاستخراج أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف بشكل مفصل. وقد اعتمدت في معالجة الأطروحة النوع الأول لأني رأيته الأنسب، نظرا لتشعب الموضوعات المبحوثة واختلافها، وعدم توفر النصوص المتناظرة في مصادر البحث الثلاثة التي يمكن مقابلتها في أي موضوع يراد بحثه.

كما أني اخترت في طريقة الموازنة هذه بحث المحاور الرئيسة في الأطروحة (الله، الإنسان، علاقة الإنسان بالله) بحثا متسلسلا غير منفصم في كل من التوراة والإنجيل والقرآن نظرا للارتباط المنطقي الوثيق بين تلك المحاور في كل مصدر من تلك المصادر الثلاثة، وتجنبت طريقة المقابلة الرأسية لكل موضوع مع ما يناظره في المصادر الثلاثة لما يسببه من انفصام منطقي للموضوع السابق عن لاحقه، فمفهوم الإنسان مثلا قائم على وجود الله ومفهومه، والعلاقة بينهما قائمة على مفهومهما معا، ثم أن المقابلة الرأسية كما أشرت سابقا تحتاج إلى مادة نصية كافية ولو نسبيا لإجراء هذا النوع من الموازنة وهو ما لم يكن متوفرا في كل من التوراة والإنجيل لمقابلته لما في القرآن.

2-منهج النقد: بمقتضى هذا المنهج تخضع النص أو الفكرة إلى التمحيص والمناقشة لتبيين وجه الصواب أو الخطأ فيهما، وهو ما نهجته في فصول كل من التوراة والإنجيل، نظرا لكونهما مصدرين متهمين ومدانين عموما، خاصة من القرآن.

وقد اخترت في أغلبية فصول البحث أن يكون ذلك التمحيص والمناقشة بعد عرض النصوص والأفكار كما هي في مصادرها وعند أصحابها، ولم أعمد إلى مناقشتها موضعيا وفي حينها إلا نادرا حسبما تقتضيه الحاجة، ولم أفعل ذلك إلا توخيا للمنهج الأنسب الذي يخدم البحث.

والغالب في منهج تمحيصي ومناقشتي لمضمون النص، أو التصور الذي ينبني عليه، هو:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أ-العمل على كشف خطأ ذلك النص أو التصور من خلال إيراد نص آخر ينقضه ويثبت ما يخالفه، مثال ذلك نقض بنوة الإنسان لله في التوراة بإثبات عبوديته بنص التوراة. وهو المنهج السائد في الأطروحة.

ب-إرجاع النص أو الفكرة المبنية عليه إلى عوامل أثرت فيه في دين آخر أو في بيئة أخرى، ومثاله: إرجاع فكرة التثليث عند المسيحيين إلى مصادر وثنية.

3-الأسلوب والأفكار: أما منهج الصياغة العامة للأطروحة فقد اعتمدت فيه ما يأتي:

أ-التوجه المباشر إلى الفكرة المقصودة والهدف المبتغى دون ممهدات طويلة أو تحليلات مطنبة مملة.

ب-تجنب المصطلحات الموهمة بتعدد المعاني التي يمكن أن تسبب بلبلة في الأفكار المقصودة وتعوق دون الوصول إلى الأهداف المتوخاة.

جـ-تجنب آراء الفرق والمذاهب المتعارضة إلا ما كان لا بد منه في إطار سياق عام، لأن موضوع الأطروحة ينصب أساسا على النص الديني الأصلي ومفهومه العام لا على مذاهب الفرق فيه، فذلك شأن أبحاث متخصصة أخرى.

د-رأي الباحث الخاص هو ما أسفرت عليه نتائج البحث من خلال التمحيصات والمناقشات المعروضة، بلغة أكاديمية عادية هي لغة الباحث وأسلوبه الخاص لا لغة غيره أو رأي غيره من بداية البحث إلى نهايته، ولا تعبر الأفكار الواردة في بحث الفصول الخاصة بالتوراة والإنجيل إلا عن تصور أصحابها، وقد صغتها كما يتصورونها التزاما بعرف البحث العلمي في نقل الأفكار كما هي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

التعريف بمصادر البحث

الثلاثة: التوراة والإنجيل والقرآن

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من باب المنهجية المتعارف عليها في الدراسات العقدية المرتبطة بالديانات المختلفة، أن يكون التعريف بمصادر تلك الديانات ضروريا، وعليه فإني خصصت هذا الفصل للتعريف بمصادر الوحي الثلاثة: التوراة، والإنجيل والقرآن التي ستكون منا هلا لبحث موضوع الأطروحة، حيث لا يتعدى هذا التعريف، التعريف الوظيفي العام الذي يخدم البحث، مبتدأ بالتوراة ثم الإنجيل فالقرآن حسب ترتيبهم الزمني في الترول من عند الله:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

التوراة:

التوراة كلمة عبرية (هاتوراه)[1] تعني :الشريعة واصطلاحا: هي أسفار موسى الخمسة: التكوين، والخروج، واللاويون (الأحبار)، والعدد والتثنية[2].وتسمية كل سفر يرجع إلى المضمون الذي يعالجه، فالتكوين يعالج رواية الخلق، والخروج يعالج قصة خروج بني إسرائيل من مصر إلى صحراء سيناء ثم إلى فلسطين. والأحبار يشير إلى دور علماء اليهود في تحمل رسالتهم الدينية في وسط الشعب الإسرائيلي، والتثنية تشرح عملية تكرار الشريعة المذكورة في الأسفار السابقة.

وتطلق التوراة أيضا مجازا على مجموع كتب العهد القديم[3]، والتوراة بالمعنى الأول، أي أسفار موسى الخمسة يزعم أتباعها من اليهود والمسيحيين أنها الوحي الإلهي المنزل على الرسول موسى عليه السلام، وأنه كتبها بنفسه، استنادا إلى نص في هذه التوراة نفسها: « وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب ولجميع شيوخ بني إسرائيل».[4]

لكن نقاد التوراة قادهم البحث إلى اكتشاف كون التوراة الحالية هي ليست توراة موسى الحقيقية بل هي توراة مؤلفة من عدة مصادر دينية ذات تصورات دينية مختلفة تظهر من خلال تسميتها لله تعالى بأسماء مختلفة، أو تهتم بالجانب التشريعي أكثر من الجانب العقدي، أو تهتم بالجانب الطقسي أكثر من غيره من الجوانب الأخرى في الدين اليهودي، وقد أجملت هذه المصادر في أربعة:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1] دفيد أيلون، شنعار [و آخرون]، قاموس عربي عبري (أورشليم: مطبعة ي.ل. ماغنس، الجامعة العبرية،1975) ص:42.

[2] جمعية الكتاب المقدس، كتب الشريعة الخمسة(بيروت: دار المشرق،دت)، ص58.

[3] رحمة الله الكيرانوي، إظهار الحق، ج1/ 95- 96.تح عمر الدسوقي(الجزائر: نشر دار الكتب، 1988م)، ص96

[4] تث 9/31.

1-**المصدر اليهوي:** سمي بهذا الاسم، لأنه يسمى الله تعالى: «يهوه» [*]،وقد نشأ هذا المصدر في عهد النبي سليمان (950ق م) عليه السلام، والميزة الرئيسة لهذا المصدر، أنه كثير التشبيه والتجسيد لله تعالى بالمخلوقات.[1]

2-**المصدر الإلوهي:**وهو الذي يسمي الله تبارك وتعالى: « إيلوهيم» وقد نشأ هذا المصدر حوالي (750 ق م) في المملكة اليهودية الشمالية، والميزة الخاصة له، اهتمامه الكبير بالأنبياء كإبراهيم وموسى... وغيرهما. [2]

3-**مصدر تثنية الإشتراع:** وتتركز هذه الرواية في سفر التثنية، وقد أدخلت هذه الرواية في التوراة سنة (621 ق م) ضمن برنامج إصلاحي تطويري للتوراة. [3]و يتميز هذا المصدر بأسلوبه العاطفي، وبكثرة تكراره العبارات: الرب إلهك، احفظوا الوصايا، إسمع يا إسرائيل... وهي كثيرة في التوراة.

4-**المصدر الكهنوتي:**نشأ هذا المصدر أثناء السبي البابلي لليهود ما بين (587-538ق م) حيث كان الكهنة في المنفى يجددون تقاليدهم بهدف المحافظة على إيمان اليهود وأملهم في الخلاص. وتمتاز هذه الرواية بإيراد الأرقام والإحصاءات، وسرد الأنساب نظرا لغربة اليهود في بابل.[4] وهذه المصادر الأربعة جاءت بعد النبي موسى عليه السلام الذي نسبت إليه كتابة التوراة!

ويرى الفيلسوف اليهودي باروخ سبينوزا(Baruch spinoza)[5] (1087هـ- 1677م) أن عزار (EZDRAS)[*] هو كاتب الأسفار الخمسة مستشهدا بجملة من الأدلة منها:

أ-جميع المصادر أو الروايات تنتهي قبله.

(*) سنعرف على هذا الاسم وغيره من الأسماء في فصل الله في التوراة.

(1) أسطفان شربنتيه، دليل إلى قراءة الكتاب المقدس(بيروت: درا المشرق، 1986)، ص 36.

(2) المرجع نفسه، ص50.

(3) حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه(بيروت: الدار الشامية، 1999م)، ص27.

(4) أسطفان، مرجع سابق/70 وموريس بوكاي، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ترجمة نخبة من الدعاة (بيروت: دار الكندي، دت)، ص 23-26.

(5) **يعد سبينوزا من أبرز نقاد العهد القديم، وقد حرمه اليهود من كنيسهم لنزعته النقدية لتراثهم الديني[فؤاد كامل، وجلال العشري وآخرون، الموسوعة الفلسفية المختصرة(بيروت:دار القلم، دت) ص 248.**

(*) **وهو الذي يسميه القرآن عزيز .**

(ابن كمونة اليهودي، تنقيح الملل الثلاث(القاهرة : دار الأنصار،دت)، ص32) .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ب- عزرا كان عالما كبيرا في الشريعة اليهودية وناقدا لها في نفس الوقت، حتى أن بعض الأسفار سميت باسمه. لكن كتابته للأسفار كان مجرد جمع وتأليف للروايات المختلفة دون تحقيق. ويرى سبينوزا أيضا: أن ما كتبه عزرا أيضا تعرض للتبديل والتغيير[1]. ويرجع نقاد التوراة تاريخ كتابة عزرا لها إلى: (400 ق م) تقريبا[2].

والتوراة في القرآن هي: وحي الله تعالى إلى الرسول موسى عليه السلام، فيها من أنواع الهداية والأحكام التي تنظم حياة بني إسرائيل الدينية والدنيوية، أوكل الله أمر حفظها نصا وعملا إلى بني إسرائيل عامة، وإلى علمائهم ومن يتولى قداستها خاصة: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾[3]، وهذا المعنى لحفظ التوراة رسما وفعلا أشارت إليه التوراة الحالية: «فاحفظ الوصايا والفرائض والأحكام التي أنا أوصيك اليوم لتعملها(...) ومن أجل أنكم تسمعون هذه الأحكام وتحفظون وتعملونها يحفظ لك الرب إلهك العهد والإحسان»[4].لكن اليهود لم يحفظوا التوراة الحقيقية التي أنزلت على الرسول موسى عليه السلام، إنما أحدثوا فيها تغييرا وتحريفا متنوعا، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾[5]، ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[6]،

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) باروخ سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة حسن حنفي، ط1(بيروت: دار الطليعة، 1981م)، ص26-27.

(2) أسطفان، مرجع سابق، ص70.

(3) المائدة /44.

(4) تث 13/7.

(5) الأنعام /91.

(6) آل عمران/78.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾[1].

ولقد كشف نقاد التوراة الكثير من دلائل التحريف في التوراة يطول ذكرها في هذا البحث، كتضارب المعلومات وتناقضها في الروايات المختلفة مثل رواية أعمار بني آدم والأنبياء، وغير ذلك من أنواع التحريف[2]. كما كشفت الدراسات الموازنة للتوراة بالعلم الحديث أخطاء كثيرة في التوراة تتعلق بالأحداث التاريخية و المعارف العلمية ذات الصلة بعملية الخلق وعلم الفلك وجغرافية الأرض، وعلم النبات والحيوان وغيرها[3].

و مثلما قيل في التوراة الحالية المنسوبة إلى موسى عليه السلام يقال مثله أو أكثر منه عن باقي أسفار العهد القديم، لأنها هي أيضا مصادر لا يستغنى عنها في صياغة العقائد الدينية، وفهم التوراة نفسها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1] المائدة /13

[2] أسهب في ذكر هذه التحريفات بأنواعها الشيخ رحمة الله الكيرانوي في كتابه إظهار الحق ج1 (مصدر سابق)، ص335-509. و العلامة ابن حزم، في الفصل في الملل والأهواء والنحل، م1، ج1.(بيروت: دار الفكر، 1980)، ص116-153.

[3] موريس بوكاي، (مرجع سابق)، ص53 و246.

المبحث الثاني

الإنجيل:

الإنجيل لفظ معرب من اللفظ اليوناني(EVANGELION)،أي إعلان أحداث حياة الإمبراطور، خاصة مولده وانتصاراته[1]، وبناء على هذا المعنى اللغوي للفظ فإن الإنجيل عند المؤمنين به من أتباع المسيح يعني : الحدث التاريخي الذي يعلن حدث يسوع الناصري الذي عايشه الرسل- تلاميذ المسيح- ودونه أربعة منهم بمنهج في أدبي[2]. وقيل أن معنى الإنجيل: البشارة والتعليم[3]. أو البشرى والخبر السار المفرح[4]،وقيل أن معناه:«النبأ العظيم»[5].

و يتميز الإنجيل من حيث مضامينه الرئيسة بكونه:

1- كتاب يجمع بين الحدث التاريخي ومعناه اللاهوتي المرتبط بعيسى(عليه السلام).

2-يتمحور حول شخصية يسوع المسيح.

3-هو شهادة إيمانية للمسيحي المؤمن بهذا الإنجيل[6]: « وأما هذه-آيات- فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله»[7].

ويطلق الإنجيل على الكتب الأربعة لكل من: متى (Matthieu)، مرقس(Marc)، لوقا (Luc)، ويوحنا(Jean).وقد يطلق الإنجيل مجازا على كتب العهد الجديد بإسرها بما فيها رسائل الرسل، كما تطلق التوراة مجازا على كتب العهد القديم[8] .

---

(1) سيدا روس اليسوعي، تكوين الأناجيل،(بيروت: دار المشرق، 1990)، ص39 .

(2) المرجع نفسه.

(3) رحمة الله الكيرانوي، إظهار الحق،ج1،(مصدر سابق)، ص97 .

(4) محمد عبد الله الشرقاوي، بحوث في مقارنة الأديان(القاهرة: دار الفكر العربي، 2000)، ص131.

(5) جاك جومبه، المسيح بن مريم(بيروت: دار المشرق، 1985)، ص41.

(6) سيدا روس، (مرجع سابق)،ص39-40 .

(7) يو 31/20.

(8)رحمة الله، (مصدر سابق)،ج1، ص95و97.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويزعم المسيحيون أن الأناجيل الأربعة التي دونها الأشخاص الأربعة المذكورون آنفا كان تدوينها وحيا من الله[1] ، أي بتأييد من الأقنوم الثالث من أقانيم الثالوث الإلهي المسيحي الذي يسمى روح القدس[2] الذي سنعرفه في فصل: الله في الإنجيل. و لم يكتب الإنجيل في عهد المسيح، إنما دون بعده على مراحل، من قبل كتبة كثيرين سواء كانوا تلاميذا للمسيح أو كانوا غيرهم، ولكن الكنيسة الكاثوليكية لم تعترف إلا بأناجيل الأشخاص الأربعة المذكورين آنفا، وعدت باقي الأناجيل الأخرى، أناجيل منحولة[3]،و الأمر بكتابة الإنجيل تعزى إلى المسيح (عليه السلام) نفسه، الذي أمر تلاميذه بتسجيل ما يسمعونه منه، استنادا إلى نص ورد في الإنجيل[4]«الذي أقوله لكم في الظلمة قولوه في النور والذي تسمعونه في الأذن نادوا به على السطوح ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها بل خافوا بالحري من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم[*]»[5]

ويبين لنا الجدول الآتي تواريخ كتابة الأناجيل الأربعة ورسائل الرسل بترتيبها التاريخي[6]

السفر	الزمن التقريبي للكتابة	السفر	الزمن التقريبي للكتابة
رسالة بولس إلى مؤمني غلاطية	49	إنجيل لوقا	64/61
رسالة يعقوب	49	رسالة يهوذا	65
رسالتا بولس الأولى و الثانية		الرسالة الأولى إلى تيموثاوس	64

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) (المصدر السابق)، ج1، ص95 وتوماس ميشال، مدخل إلى العقيدة المسيحية (بيروت: دار المشرق، 1986)، ص19-20.

(2) جاك جوميه، (مرجع سابق)، ص 41 .

(3)موريس بوكاي، دارسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة(مرجع سابق)، ص10-11 .

(4) جاك جوميه، (مرجع سابق)، ص254.

(*) سياق النص يفيد الجهر بالدعوة لا الأمر بتدوين الوحي.

(5) مت10/27-28 .

(6) بروس بارتون وورنالد بيرز [وآخرون]، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ترجمة شركة ماسترميديا، ط3(القاهرة: طبعة هولندا والولايات.م.أ، 1999)، ص2327.

إلى مؤمني تسالونيكي	52/51	رسالة بطرس الأولى	65/64
رسالتا بولس الأولى والثانية إلى مؤمني كورنثوس	55		
الرسالة إلى مؤمني روما	57	الرسالة إلى تيطس	64
إنجيل مرقس	60/58	سفر أعمال الرسل	68/66
الرسالة إلى مؤمني أفسس	60	رسالة بطرس الثانية	68/66
الرسالة إلى مؤمني كولوسي	60	الرسالة الثانية إلى تيموثاوس	68/66
الرسالة إلى فليمون	60	الرسالة إلى العبرانيين	70/68
الرسالة إلى مؤمني فيلبي	61	إنجيل يوحنا	85
إنجيل متى	64/61	رسائل يوحنا الثلاث	90/85
		سفر رؤيا يوحنا	95

أما القيمة العلمية لهذه الكتابة الخاصة بالعهد الجديد بأناجيله الأربعة ورسائل الرسل، فمطعون فيها، إذ أن علماء الأديان الأقدمين منهم والمحدثين، المسلمين منهم وغير المسلمين لا يسلمون بكثير من النصوص الواردة في هذا العهد، خاصة تلك التي تتعلق بالإيمان، وتتعلق بشخص المسيح (عليه السلام). ويمكن تقسيم ذلك الطعن إلى طعن في السند وطعن في المتن :

1 ـ فمن حيث السند: نجد الرجال الذين نسبت إليهم رواية الأناجيل كمتى ومرقس ولوقا ويوحنا ... والذين نسبت إليهم الرسائل المقدسة كبولس وبطرس وغيرهما، كلهم يسودهم الغموض والنقص الشديد في المعلومات عن حياتهم وسيرهم الأمر الذي جعل سند هذه الأناجيل والرسائل منقطعا[1]. و في هذا الإطار يقول الإمام رحمة الله بن خليل الرحمان « فلا نعتقد بمجرد إسناد كتاب من الكتب إلى نبي أو حواري أنه إلهامي أو واجب التسليم، وكذلك لا نعتقد بمجرد إدعائهم بل نحتاج إلى دليل ولذلك طلبنا مرارا من علمائهم الفحول السند المتصل فما قدروا عليه، واعتذر بعض القسيسين في محفل المناظرة التي كانت بيني وبينهم فقال إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين(...) وتفحصنا في كتب

[1]موريس بوكاي، (مرجع سابق)، ص70-93. عبد الله الشرقاوي، (مرجع سابق)، ص233-274.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإسناد لهم فما رأينا فيها شيئا غير الظن و التخمين، وقد قلت أن الظن و التخمين في هذا الباب لا يغني شيئا»[1].

2-ومن حيث المتن: نجد نصوص الأناجيل والرسائل تعج بالفظاعات في حق الله تعالى وأنبيائه عليهم السلام من جهة، وبالتناقضات في ايراد المعلومات التاريخية والحقائق الدينية مع الواقع ومع العلم[2]من جهة ثانية، إضافة إلى التنقيح الذي يخضع له هذا المتن بالزيادة والحذف والتعديل في كل عصر[3] وحتى يومنا هذا[4] . وهذا كله يفرغ زعم المسيحيين من محتواه في كون ما عندهم من نصوص دينية وحيا ملهما من الله لتلامذة المسيح وأتباعه، وهو ما عبر عنه الإمام رحمة الله الكيرانوي بقوله:« إن التوراة الأصلي، وكذا الإنجيل الأصلي فقد قبل بعثة محمد ﷺ، والموجدان الآن بمنزلة كتابين من السير مجموعين من الروايات الصحيحة والكاذبة، ولا نقول إنهما كانا موجودين على أصالتهما إلى عهد النبي ﷺ، وكلام بولس على تقدير صحة النسبة إليه أيضا ليس بمقبول عندنا لأنه عندنا من الكاذبين الذين كانوا قد ظهروا في الطبقة الأولى وإن كان مقدسا عند أهل التثليث، فلا نشتري قوله بحبة، والحواريون الباقون بعد عروج عيسى عليه السلام إلى السماء نعتقد في حقهم الصلاح، ولا نعتقد في حقهم النبوة، وأقوالهم عندنا كأقوال المجتهدين الصالحين محتملة الخطأ، وفقدان السند المتصل إلى آخر القرن الثاني، وفقدان الإنجيل العبراني الأصلي لمتى ، وبقاء ترجمته التي لم يعلم اسم صاحبها أيضا الآن باليقين، ثم وقوع التحريف فيها، صارت أسبابا لارتفاع الأمان عن أقوالهم...»[5].

و يقول أبو عثمان الجاحظ (-255هـ) ناقدا ومجرحا لسند ومتن الأناجيل:«أنهم إنما قبلوا دينهم عن أربعة أنفس: اثنان منهم من الحواريين بزعمهم، يوحنا ومتى، واثنان منهم من المستجيبة(الذين دخلوا النصرانية) وهما : مارقش (مرقس) و لوقش(لوقا)، هؤلاء الأربعة لا

---

(1) رحمة الله بن خليل الكيرانوي ، (مصدر سابق)، ج1، ص102-103.

(2) موريس بوكاي،(مرجع سابق)، ص117-131 و رحمة الله الكيرانوي، (مصدر سابق)، ص160-271.

(3) The bible (Revised standar version),(preface)(Great Britain:publiched By WM, collins sons and Cd. LTD.1971)P.5-6.

(4)للإطلاع أكثر على هذا الموضوع بتفصيلاته يراجع: أحمد عبد الوهاب اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية (القاهرة: مكتبة وهبة، 1987).

(5) رحمة الله الكيرانوي، (مرجع سابق)،ج1، ص304-305.

يؤمن عليهم الغلط، ولا النسيان ولا تعمد الكذب، ولا التواطؤ على الأمور، والاصطلاح على اقتسام الرياسة، وتسليم كل واحد منهم لصاحبه حصته التي شرطها له. فإن قالوا: إنهم كانوا أفضل من أن يتعمدوا كذبا، وأحفظ من أن ينسوا شيئا، وأعلى من أن يغلطوا في دين الله تعالى، أو يضيعوا عهدا... قلنا: إن اختلاف رواياتهم في الإنجيل، وتضاد معاني كتبهم واختلافهم في نفس المسيح، مع اختلاف شرائعهم دليل على صحة قولنا فيهم، وغفلتكم عنهم»[1] و هناك من المسيحيين أنفسهم من له اليقين التام في كون نص الوحي الأصلي للإنجيل مفقودا وأن النص الإنجيلي الحالي يعتمد على شهادات بشرية متعددة وغير مباشرة،إذ لا توجد مثلا أية شهادة لشاهد عيان لحياة المسيح تؤكد مصداقية ما ينسب إلى المسيح من أقوال وأحداث[2]، وتبقى مسألة أصالة الإنجيل وغيره من رسائل الرسل الذين جاءوا بعد المسيح مشكلة عويصة، هي موضع نزاع عنيف بين نقاد النص المسيحي في الأوساط المسيحية نفسها، إلى درجة اعتقاد البعض أن عيسى (عليه السلام) لم يترل عليه وحيا مكتوبا، ولا هو ألف كتابا ذا صلة بالوحي، وإنما الوحي الذي جاء به عيسى هو كلامه وأفعاله، ومواقفه، ولذلك جاءت الأناجيل الأربعة التي رواها أربعة أشخاص تسجيلا لما قاله عيسى وفعله و قرره[3].

لكن القرآن الكريم يؤكد على نزول الإنجيل على غرار نزول التوراة والقرآن، وأن فيه الهدى والرشاد للناس: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (3) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾[4]،﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾[5]. وأمر الله تعالى بني إسرائيل بإتباع هذا الإنجيل و الحكم بما فيه: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ

---

(1) أبو عثمان الجاحظ، المختار في الرد على النصارى، تح ودراسة عبد الله الشرقاوي،(القاهرة: دار الصحوة، 1984)، ص 99-100.

(2) موريس بوكاي، (مرجع سابق) ، ص10-11،

(3) جاك جوميه، (مرجع سابق)، ص249-250 .

(4) آل عمران /3-4 .

(5) المائدة /46.

وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1]،و أن هذا الإنجيل كما يؤكد القرآن، ليس مجرد أقوال وأفعال المسيح عليه السلام كما يزعم بعض نقاد الإنجيل من المسيحيين بل هو وحي مكتوب يحمل بشرى مجيء كتاب آخر من بعده يأتي به رسول من عند الله هو محمد ﷺ:﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2]. لكن هذا الإنجيل الذي تحدث عنه القرآن لا يمكن أن يكون هو الإنجيل الحالي وإن احتوى بعض ما تبقى من الإنجيل الذي أنزل على الرسول عيسى عليه السلام، لأن القرآن أكد أن الإنجيل المنزل من عند الله مسته يد التحريف والتبديل:﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ(14)يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[3] . أي ومن الذين زعموا أنهم أنصار الله، ينصرون عيسى ورسالته وأخذنا عليهم العهود و المواثيق على ما قالوا لكنهم نقضوا وخالفوا كما فعل أسلافهم من اليهود، ولم يحفظوا وصايا الله المنزلة في الإنجيل من أمر توحيد الله والاحتكام إلى شرعه، وحفظ حدوده، والتبشير بالرسول الذي سيأتي بعد عيسى وغير ذلك، فاستحقوا بالتالي جزاء هذا النقض لعهد الله و تغيير كتابه أن ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء في الدنيا إلى قيام الساعة، إذ أصبح النصارى طوائف متباغضة مختلفة في دينها ،كل طائفة تكفر أخرى[4].

---

[1] المائدة/47 .

[2] الأعراف/157 .

[3] المائدة /14-15 .

[4] ابن كثير، تفسير القرآن، ج2 ، (لبنان: دار الأندلس)، ص527.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث

القرآن الكريم:

القرآن الكريم لغة: المقروء المكتوب ويسمى قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها، ويكون القرآن مصدرا كـ القراءة، وهو ما يقرأ[1] كقوله تعالى ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾[2].

و القرآن اصطلاحا: « هو الوحي المنزل على رسول الله محمد ﷺ، المكتوب في المصاحف المنقول عنه نقلا متواترا بلا شبهة»[3]، أو هو الكتاب المنزل على رسول الله ﷺ بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، لفظا ومعنى، وأسلوبا، وهو كلام الله المعجز، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر بلا شبهة، المتعبد بتلاوته[4].

وقد كان القرآن يكتب في عهد النبي ﷺ بأمر منه، ومن بين كتبته من الصحابة: زيد بن ثابت وأبي كعب، ومعاذ بن جبل[5]. ثم جمع القرآن في مصحف واحد بأمر من خليفة رسول الله أبي بكر على يد كتبته في عهد النبي بقيادة زيد بن ثابت[6]، ثم أعيد نسخ هذه النسخة بأمر من الخليفة عثمان في نسخ عدة، وكان زيد بن ثابت المشرف الرئيس على هذا النسخ[7]، وقد أخضع نسخه النهائي إلى منهجية دقيقة محكمة يتعذر دونها وجود أي خطأ مهما كان

---

(1) أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب ،ط3(بيروت: دار الرائد العربي،1982)، ص159.

(2) الإسراء /78.

(3) علي محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، تح إبرهيم الأبياري، (بيروت: دار الكتاب العربي، 2002)، ص142.

(4) عبد العزيز عبد المعطي عرفة: قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية ،(بيروت: دار عالم الكتب، 1985)، ص29.

(5) البخاري ، صحيح البخاري، باب مناقب زيد بن ثابت، رقم الحديث 3810، ط2(بيروت:دار الكتب العلمية، 2002، ص691.

(6) المصدر نفسه .

(7) المصدر نفسه، باب نزول القرآن بلسان قريش، رقم الحديث: 3506، ص644.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

صغيرا[1]، وبقي القرآن محفوظا في المصاحف وصدور الرجال كما هو منذ نزوله على النبي ﷺ إلى يومنا هذا ، و سيبقى كذلك إلى يوم القيامة، لأن الله سبحانه تعهد بحفظه:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2]، والقرآن هو الكتاب الإلهي الوحيد الذي لم تصل إليه يد التغير والتبديل، ولا يمكن لأحد أن يفتري فيه دون أن يكشفه الله ويفضحه:﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[3]، كما تحدى القرآن كل من زعم أن هذا القرآن مفترى، أي كانت نوعية الافتراء و الكذب، أن يأتي بمثله ولو في سورة صغيرة، فإن لم يفعل، فذلك دليل على أنه وحي الله الصادق الخالد. ومن تمادى في زعمه ذلك بعد هذا التحدي المعجز فإنه مجرد دعي جاهل جاحد:﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(38) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[4].

---

[1] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ط2(بيروت: دار المعرفة، 1972)، ص235.

[2] الحجر/9.

[3] يونس/37.

[4] يونس/38-39.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني

الله في التوراة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تعد عقيدة الألوهية الركن الأول، و الأصل الأساسي الذي تبنى عليه باقي العقائد والأعمال في الإسلام أو اليهودية أو المسيحية، فإذ صحت عقيدة الألوهية صح وسلم ما يبنى عليها من باقي العقائد وأنواع العبادات، وإن لم تصح وتسلم مما لا يليق بها لم يصح ما يبنى عليها من باقي العقائد وسائر العبادات.

ومن ثمة فإن بحث عقيدة الألوهية ضروري جدا قبل بحث أية علاقة بين الله تبارك و تعالى وبين عباده البشر في أية ديانة من الديانات، لأن طبيعة تلك العلاقة ستكون من جنس تصور الإنسان للألوهية التي يؤمن بها ويبني عليها كل اعتقاداته وسلوكاته، ففهم طبيعة العلاقة بين الله وعباده مرهون بفهم تصور العباد لإلههم، كما أن معرفة حقيقة العلاقة بين الإنسان وخالقه لا تتم إلا بمعرفة الإنسان لأصله وحقيقته ومكانته وحدوده،و مصيره العاجل والآجل ، لأن أي فهم خاطئ لحقيقة الإنسان ينتج عنه تصور خاطئ أيضا لعلاقة هذا الإنسان بخالقه .

وعليه فمن الضرورة المنهجية استقصاء مفهوم الألوهية، و مفهوم الإنسان في كل من التوراة والإنجيل و القرآن قبل استقصاء العلاقة بينهما.فمن هو الله تعالى؟ ومن هو الإنسان؟ وما علاقة الإنسان بالله تعالى في أبرز صورها في كل من التوراة والإنجيل والقرآن؟

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

النصوص الدينية اليهودية تعج بالحديث عن الله تعالى : سواء تعلق الأمر بصفاته و أسمائه المختلفة، أو تعلق الأمر بعلاقته بشعبه اليهودي(*) في وقت السراء والضراء . ومن نصوص توراة موسى و نصوص كتب أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام، خصوصا كتاب أشعيا، يوشع وأرميا، و مزامير داود نستطيع الوقوف على العقيدة الإلهية اليهودية بوضوح؛ فمن هو الله تبارك وتعالى في هذه النصوص ؟

(*) سأوظف هذه العبارة حسب تعبير النصوص اليهودية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

وجوده و طبيعته:

1-وجوده : يعد اسم « يهوه» (YAHWEH) اسم الجلالة الأعظم عند اليهود الدال على كينونة الله، فهو علم على الذات الإلهية، وقدسية هذا الاسم مبني على نص جاء في توراة الرسول موسى عليه السلام يؤكد هذا الاسم لله، و يجعله اسما أبديا :« وقال الله أيضا لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل، يهوه إله آبائكم، إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلني إليكم، هذا اسمي إلى الأبد وهذا ذكري إلى دور فدور --أي من جيل إلى جيل-»[1].

ويرجح بعض علماء التوراة، أن معنى هذا الاسم هو تأكيد على الكينونة الذاتية لله، فيرى، ابن ميمون (-600هـ -1204م) مثلا أن معناه: واجب الوجود باعتباره إسما دالا على ذاته وحده دون مشاركة أحد من مخلوقاته في تلك الدلالة، فهو اسم خاص به فقط[2] كما أن عبارة «أهيه الذي أهيه » الواردة في توراة موسى [3] هي تأكيد على طبيعة ذات الله الثابتة غير المتغيرة، و الدائمة ديمومة مطلقة[4]. كما أنها إثبات لكينونة الله مصدر كل كائن[5] في الوجود، و العبارة حسب قواعد النحو و الصرف العبرية تعني: « أنا هو الذي هو »أو : «أنا هو الكائن»[6].

وتعد مسألة الوجود الإلهي في نظر علماء الدين اليهودي مسألة بدهية لا تحتاج إلى برهان ، فوجود الكون أكبر شاهد على وجود الله دون حاجة إلى البحث عن أدلة أخرى [7]،لكن مع ذلك يوجد من علماء اليهود من حاول تأصيل العقيدة اليهودية بالعقل

(1) خر 15/3.

(2) موسى بن ميمون ، دلالة الحائرين، ترجمة حسين آتاي (القاهرة:مكتبة الثقافة الدينية، دت)،ص149.

(3) خر 14/3.

(4) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس(مصدر سابق)، ص 135.

(5) دي بورج، تراث العالم القديم ،ص:69، وباروخ سبينوزا ، رسالة في اللاهوت و السياسة (مصدر سابق)،ص:160.

(6) جمعيات الكتاب المقدس، كتب الشريعة الخمسة(مرجع سابق)،ص:157.

(7) A.cohen, le talmud(paris : paillote, 1950),P:43.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والنقل معا، و في مقدمتهم موسى بن ميمون، حيث اتبع في ذلك طريقة المتكلمين المسلمين في تأصيل العقيدة الإسلامية والدود هنا، مستخدما الاستدلال المنطقي، فنجده يبرهن على وجود الله تعالى كما يأتي :« العالم لا يخلو من أن يكون قديما أو محدثا. فإن كان محدثا فله محدث بلا شك ، و هذا معقول أول إن الحادث لا يحدث نفسه، بل محدثة غيره، فمحدث العالم هو الله، وإن كان العالم قديما، فيلزم ضرورة بدليل كذا، ودليل كذا أن ثم موجودا غير أجسام العالم كلها، ليس هو جسما ولا قوة في جسم، وهو واحد دائم سرمدي، لا علة له و لا يمكن تغيره، فهو الإله»[1]. لكن ما طبيعة وجود الله ؟

2- طبيعة وجود الله: من أجل تبيين طبيعة الوجود الإلهي يلجأ ابن ميمون إلى مقارنته بوجود غيره، متبعا في ذلك طريقة المتكلمين المسلمين، فالله سبحانه، وجوده لذاته،فهو واجب الوجود ، لأنه لا سبب في وجوده ، فوجوده ذاته ، و ذاته وجوده، ووجوده ليس معنى زائدا عن ذاته، بينما وجود غير الله ممكن الوجود، ووجوده مسبب لغيره [2].

وفي التعليق الوارد حول نص سفر التكوين:« في البدأ خلق الله السماوات والأرض»[3] يرى شراح التوراة : [أن البدأ الذي تحدثت عنه التوراة كان الله وحده و لم يكن معه شيء ، كما أن عملية الخلق هذه التي تمت في البدأ لا يعرف تاريخها][4] .

وتخلو النصوص اليهودية من ذكر كيفية الوجود الإلهي، لكنها تعج بذكر التواجد الإلهي وحركيته في كل مكان، وهذا سوف لا نتحدث عنه هنا وإنما أرى الحديث عنه مناسبا أثناء استقرائي لصفات الله في التوراة .

---

(1) موسى بن ميمون ، دلالة الحائرين (مصدر سابق)، ص 188.

(2) المصدر نفسه/221 .

(3) تك 1/1.

(4) Augustine chometon, Pages choisies tirés de la bible (commentaire en marge) (paris:1936), P.12.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني
صفات الله استقصاء و تمحيص :

الصفات الإلهية في النصوص اليهودية كثيرة ومتنوعة، وتسهيلا لاستقرائها و تمحيصها من جهة، وموازنتها بصفات الله في القرآن الكريم من جهة ثانية، فإنه من باب المنهجية تصنيفها إلى أنواع على غرار تصنيف الصفات الإلهية في العقيدة الإسلامية،و لما كانت صفات الله كثيرة ومتنوعة يتعذر استقصاؤها تفصيلا، فسأكتفي باستقصاء أهمها إجمالا، سواء كانت صفاة ذاتية أو فعلية بنوعيهما، الخبرية و المعنوية، متبعا التصنيف الآتي : الصفات الثبوتية ثم الصفات المعنوية.

1- الصفات الثبوتية : الصفة الثبوتية هي كل صفة تليق بالله تعالى يكون مضمونها نفي وسلب مالا يليق به من أضداد تلك الصفة، ولذلك تسمى أيضا بالصفات السلبية . و أهم هذه الصفات الوحدانية، القدم، البقاء، القيام بالذات، و المخالفة للحوادث:

أ- الوحدانية : الديانة اليهودية في نظر اليهود ديانة توحيدية أي تفرد الله تعالى بالتوحيد في الربوبية و الألوهية. ولا شك أن التوحيد الذي جاءت به التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام كان توحيدا خالصا نقيا من أي ضرب من ضروب الشرك و الضلالة مستجيبا لأمر الله تعالى حين خاطب رسوله موسى :﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [1]، و لا شك أيضا أن المؤمنين في عهد موسى والأنبياء الذين جاءوا بعده كانوا موحدين لله تعالى. وفي التوراة الحالية المنسوبة إلى موسى نجد نصوصا تصرح بتوحيد الله تعالى . وتنهى عن اتخاذ الند و الشريك مع الله تعالى :«لا يكن لك

---

(1) طه /12-13

آلهة أخرى أمامي (...) لا تسجد لهن ولا تعبدهن »[1]، « اسمع يا إسرائيل . الرب إلهنا رب واحد . فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك »[2]

وجاء في التلمود تعليقا على نص سفر التثنية السابق :[المقدس الواحد قال لإسرائيل : أبنائي كل واحد من الأشياء التي خلقتها في الكون جلية، أكانت السماء والأرض والشمس والقمر، أو آدم وحواء، وأيضا العالم و العالم الآخر، لكن أنا الوحيد الواحد في الكون [3]،[باستثنائي لا يوجد غيري][4]. و جاء في العقيدة الثانية من العقائد الثلاث عشرة التي وضعها موسى بن ميمون:«أنا أؤمن إيمانا تاما أن الخالق تبارك اسمه وحيد وليس لوحدانيته مثيل على أي وجه كان وهو وحده إلهنا »[5]. [فالتوحيد يعد أكبر مذهب متميز في اليهودية، إذ يجعلها تختلف عن باقي الأديان المعاصرة لها التي لا تدين بالتوحيد][6]. وفي سبيل تأصيل عقيدة التوحيد و الدفاع عنها، يسوق موسى بن ميمون أدلة عقلية طويلة يطول سردها، متبعا في ذلك طريقة المتكلمين المسلمين [7] .

لكن هل هذا التوحيد الذي نصت عليه التوراة، وأكد عليه علماؤها مازال توحيدا خالصا كما جاء به موسى عليه السلام ؟

إن حقيقة التوحيد تقتضي من الموحد إفراد الله سبحانه بالربوبية و الألوهية،والاعتقاد الجازم بأحقيته دون سواه بالعبادة مهما كان نوعها: أكانت توجها، دعاء، تقربا بعمل خير، أو غيرها، وتقتضي كذلك قيام العلاقة بين الخالق و المخلوق على أساس العبودية،أي عبودية المخلوقات للخالق لا على أساس النسب كالأبوة و البنوة، و لا على أساس المصاهرة، و لا

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1] خر 20/3-6.

[2] تث 4/6-6.

[3] A. cohen, (Ibid),PP.46-47.

[4] (Ibid),P.48.

[5] Encyclopédie judaica (jerusalem: BH,ND),v12,P.262, Et, Isaac senanes, petite encyclopédie relegieuse juive (S.E et S.D)P.9.

[6] A.cohen, (Ibid),P.48.

[7] موسى بن ميمون ،(مصدر سابق) ،ص 188.

على أساس المشاركة أو المشابهة، وعدم تنزيه الله عن واحدة من هذه الاعتقادات يلبس التوحيد لباس الشرك وإن ادعى صاحبه أنه موحد.

و استقراء النصوص اليهودية المقدسة يوقفنا على أغلب تلك الاعتقادات الإشراكية التي تمس صفة وحدانية الله، و تمس تفرده بالصفات العليا و الأسماء الحسنى كما سيتبين لنا بعد حين .

فقد كان لمجاورة اليهود للوثنين أثناء إقامتهم في فلسطين آثارا سلبية في عقيدهم الإلهية التي طبعت بطابع الوثنية، يقول دي بورج (de burgh) متحدثا عن اليهود :

« كما عرف المهاجرون البدو من جيرانهم عادات حياة الزراعة فإنهم استحوذوا معها على عبادات آلهة الكنعانيين (بعليم = أسياد البلاد)، و لم يكن هؤلاء البعليم على غرار يهوه، آلهة حرب ولكنهم كانوا آلهة طبيعية مسالمين تتمثل في شخوصهم قوى الخصب و الحياة المنتجة (...) و ظل يهوه بين كل ما تمثلوه من العبادات الكنعانية كالمرتفعات والصور الخشبية لعشتاروت أو العمد المقدسة، إله شعبه المختار»[1] .

و النصوص اليهودية الدالة على انحراف اليهود عن خط التوحيد منذ أن بعث فيهم موسى نبيا رسولا كثيرة في هذا الشأن:

أ – عبادة الأوثان :

جاء في سفر التثنية ما يثبت أن اليهود عبدوا الأوثان إلى جانب إيمانهم بالله تعالى:

«ذبحوا للأوثان ليست الله، لآلهة لم يعرفوها »[2] .

«وقال الرب لموسى ها أنت ترقد مع أبنائك فيقوم هذا الشعب و يفجر وراء آلهة الأجنبيين في الأرض التي هو داخل إليها (...) و ينكث عهدي الذي قطعته معه فيشتعل غضبي عليه في ذلك اليوم وأتركه وأحجب وجهي عنه فيكون مأكلة وتصيبه شرور كثيرة و شدائد

---

(1) دي بورج، تراث العالم القديم ترجمة زكي سوس، مراجعة يحيى المخشاب وصقر خفاجة(القاهرة: دار الكرنك، 1965)، ص67 .

(2)تث 17/32.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حتى يقول في ذلك اليوم أما لأن إلهي ليس في وسطي أصابتني هذه الشرور، وأنا أحجب وجهي في ذلك اليوم لأجل جميع الشر الذي عمله إذ التفت إلى آلهة أخرى»[1]،

«و لما رأى الشعب موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له اصنع لنا آلهة تسير أمامنا[*] . لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم و بنيكم و بناتكم وأتوا بها . فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون . فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلا مسبوكا. فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر، فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه. ونادى هارون وقال غدا عيد للرب. فبكروا في الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة . وجلس الشعب للأكل و الشرب ثم قاموا للعب »[2].

وقد أثرت عقائد بابل في العقيدة الإلهية اليهودية ، إذ تظهر المقارنة بين الأساطير المأخوذة من ألواح بابل [*] و بين ما ورد في النصوص اليهودية المقدسة [أن يهوه هو البعل عند اليهود][3] ، وأن [بعل الإسرائيلي هو نفسه بعل بابل الذي أصبح إله الخصوبة، ويهوه إله الفقر والبؤس والتقوى][4].

---

[1] تث 31/16-19.

[*] القرآن يذكر السامري بدل هارون .

[2] خر 31/1-7.

[*] كان البابليون يعتقدون بثلاثة آلهة عظيمة هي : أنو وهو رب السماء ، وبعل أو مردوخ خالق الأرض و الإنسان، وهيا رب الماء تحت الأرض. و تقابل هذه الآلهة الثلاث ثلاث إلاهات زوجات يعني أزواجهن الآلهة وهي : أنت ، بعليت، ودوميكينا، وهناك آلهة أخرى أقل شأنا من هذه [عبد المنعم خان، الأساطير والخرفات عند العرب(بيروت :دار الحداثة، 1981)،ص 117-118 نقلا عن:

OART ? THE WORSHIP OF BEALIM IN Israel /36.

[3] عبد المنعم خان ، الأساطير والخرافات عند العرب/119. ونجر عبد المجيد ، اليهودية/23،(القاهرة: مكتبة سعيد رأفت، 1978)، ص 23.

[4] (المرجع نفسه)،ص 123.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وهذا ما تؤيده النصوص الآتية:« وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم، وتركوا الرب إله آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر، وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرب. تركوا الرب وعبدوا البعل وعشتاروت »[(1)].

كما أن القرآن يثبت عبادة اليهود للبعل كما سنعرف فيما بعد.

2-الاعتقاد بآلهة أخرى غير الله الواحد :

جاء في سفر الخروج :« من مثلك بين الآلهة يا رب»[(2)].

« الآن علمت أن الرب أعظم من جميع الآلهة»[(3)].

«....و ساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم، وسجدوا لها وأغاظوا الرب....»[(4)].

« فسكن بنو إسرائيل في وسط الكنعانيين و الحثيين و الأموريين و الفريزيين و الحوريين و اليوسيين (...) و عبدوا آلهتهم (....) ونسوا الرب الههم، و عبدوا البعليم و السواري(...) فعبد بنوا إسرائيل كوشان ورشعتايم (ملك آرام) فعبد بنو إسرائيل عجلون ملك موآب ثماني عشرة سنة »[(5)].

3-الاعتقاد بأبوة الله تعالى:

جاء في سفر التكوين :« وحدث لما إبتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا »[(6)].

« وبعد ذلك أيضا إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادا هؤلاء هم الجبابرة»[(7)].

---

(1) قض2/10-15، و 18-23 ، وتث 3/4، و 1 مل 25/12-33.

(2) خر 11/15.

(3) خر 11/17.

(4) قض 13/2.

(5) قض 5/3-14،و6/10-17. و إر 17/7-18، و19/5.

(6) تك 1/6-3

(7) تك 4/6.

وقال الله مخاطبا موسى:« فتقول لفرعون هكذا يقول الرب إسرائيل إبني البكر. فقلت لك أطلق ابني ليعبدني فأبيت أن تطلقه، هاأنا أقتل إبنك البكر»[1].

و يقول عن شعب إسرائيل :« أنا أكون له أبا وهو يكون لي إبنا »[2].

«أنتم أولاد للرب إلهكم (...) لأنك شعب مقدس للرب إلهك »[3]..

ويقول التلمود :

«إذ خضع الإنسان للتوراة ونفذ إرادة أبيه الذي في السماء سيكون شبيها للمخلوقات التي في العلا، وكما جاء في الأثر المكتوب: قلت أنتم آلهة، وأنتم أبناء العالي جداً، لكن إذا لم تبصروا التوراة و لم تنفذوا إرادة أبيكم السماوي فأنتم مماثلون للمخلوقات السفلى. وكما قال: حينئذ ستموتون مثل الناس »[4].

4-نسبة الألوهية إلى الأنبياء:

-موسى إله هارون: يقول الله متحدثا عن موسى وهارون، والخطاب هنا موجه إلى موسى:« وهو يكلم الشعب عنك، وهو يكون لك فما وأنت تكون له إلها»[5].

-موسى إله فرعون:« وقال الرب لموسى أنظر. أنا جعلتك إلها لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك »[6].

ويعترف بعض علماء اليهود أمثال : إبن كمونة [*](-683هـ -1285م) بانحراف اليهود عن خط التوحيد والدخول في الشرك على يد بعض ملوكهم [حيث أقاموا الأوثان وتقربوا

---

(1) خر 4/22-24.

(2) 2 صم 14/17.

(3) تث 14/1و 32/19.

(4) Acohen, le talmud(Ibid),P114.Et alixandr weill , moise et le talmud (parisM imprimerie général de CH lahure,SD),PP 252-253.

(5) خر 4/16.

(6) خر 7/1.

(*) هو سعد بن منصور بن كمونة(-683 هـ -1285م) من يهود بغداد، دافع عن اليهودية ضد خصومها اليهود الذين أسلموا وأخصهم السموأل المغربي صاحب كتاب(إفحام اليهود). [عبد المنعم الحفني، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية (القاهرة: مكتبة مدبولي، دت)، ص 37-38].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إليها بالعبادة، لكنه يبرر ذلك بكون هذه المعبودات الوثنية تدر عليهم منافع دنيوية[1].و هذا التبرير من الناحية العقدية هو تبرير واه لا يبرئ عقيدة اليهود من وصمة الشرك التي لحقت بها، إذ لا يصح من صاحب عقيدة سماوية توحيدية المتاجرة بدينه وبعبادة ربه، وبيعها بثمن بخس هو عرض الحياة الدنيا الزائل .

5-تعاقب الأنبياء على بني إسرائيل يفسر انحراف اليهود عن خط التوحيد :

وانغماس اليهود في ضلالات الشرك بالله في الأحقاب المختلفة هو الذي يفسر تجدد رسالات الأنبياء المتعاقبة لتصحيح عقيدة الألوهية ومقاومة الوثنية وحركة الردة [2] المتفشية في اليهود، فمن أشهر الأنبياء الذين قاوموا عبادة اليهود لآلهة الكنعانيين (البعليم) النبي إلياس واليسع، فجاء على لسان إليا أو إلياس :

«إن بعلا إله لا ينفع ولا يضر ، وإن إله بني إسرائيل هو الإله الحق »[3] .

«فتقدم إيليا إلى جميع الشعب وقال حتى متى تعرجون بين الفرقتين، إن كان الرب هو الله فاتبعوه وإن كان البعل فاتبعوه. فلم يجبه الشعب بكلمة »[4] .«فقال لهم إيليا أمسكوا أنبياء البعل ولا يفلت منهم رجل فأمسكوهم فنزل بهم إلى نهر قيشون وذبحهم هناك »[5] .

ويلخص لنا دور الأنبياء وجهادهم ضد الشرك المتفشي في اليهود وتصحيح التوحيد، ما جاء في سفر إرميا عن الله تعالى وهو يتحدث عن اليهود:« من أجل شرهم الذي فعلوه ليغيظوني إذ ذهبوا ليبخروا و يعبدوا آلهة أخرى لم يعرفوها هم ولا أنتم ولا آباؤكم .فأرسلت إليكم كل عبيدي الأنبياء مبكرا ومرسلا قائلا لا تفعلوا أمر هذا الرجس الذي أبغضته، فلم يسمعوا ولا أمالوا أذنهم ليرجعوا عن شرهم فلا يبخروا لآلهة أخرى »[6].

---

(1) سعد بن منصور بن كمونة، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث (مصدر سابق)، ص32.

(2) محمد خليفة حسن احمد ، ظاهرة النبوة الإسرائيلية(القاهرة: دار الثقافة)،ص 12. ودي بورج ، تراث العالم القديم (مرجع سابق)، ص69.

(3) 1 مل 21/18.

(4) 1 مل 21/18.

(5) 1 مل40/18.

(6) إر 3/44-6.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

6-القرآن يكشف عن انحراف اليهود عن التوحيد ودخولهم في الشرك بالله:

1-روح الوثنية المتأصلة في اليهود: رغم المعجزة الإلهية التي شهدوها مع الرسول موسى إلا أن ذلك لم ينفعهم في الإيمان بالله تعالى وحده بل سرعان ما دبت فيهم روح الوثنية فطلبوا من موسى وهم يمرون على قوم وثنيين أن يجعل لهم إلها على غرار آلهة الوثنيين، ونسوا الله تعالى نهائيا.

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَامُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ(138)إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(139)قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (1).

-عبدوا العجل الذهبي الذي صنعه السامري، وموسى على مقربة منهم في الجبل، وهارون بينهم.

﴿ فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ(87)فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ(88)أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا(89)وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَاقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَانُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾ (2).

2-عبادة آلهة الشعوب المجاورة : القرآن أيضا أثبت على غرار ما ثبت في النصوص اليهودية المقدسة أن اليهود عبدوا البعل إله البابليين. وكان النبي إلياس في طليعة المجاهدين لحركة الردة التي تفشت في اليهود ومروقهم عن التوحيد ودخولهم في الشرك الوثني :

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ(123)إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ(124)أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ(125)اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ(126)فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ (3).

---

(1) الأعراف /138-140.

(2) طه /87-91والبقرة /51-54، 92-93 و النساء /153 و الأعراف/148-152.

(3) الصافات/ 123-128. و المائدة 78-83.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

و جاء في تفسير بن كثير لهذه الاية: [أن إلياس بعثه الله في بني إسرائيل بعد حزقيل، و كانوا يعبدون صنما يقال له بعل، فدعاهم إلى الله و نهاهم عن عبادة ما سواه][1].

3-نسبة البنوة إلى الله :﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [2].

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ فكان الرد مباشر مصححا لهذا الاعتقاد الإشراكي الفاسد ﴿ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾ [3].

4-اتخاذ الرهبان والأحبار والأنبياء أربابا من دون الله:﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [4].

7-استمرار اليهود في انحرافهم عن التوحيد الصحيح إلى يومنا هذا:

رغم أن الديانة اليهودية ديانة لا أيقونية (ANICONIC) أي تحرم عبادة الصور والتماثيل كما جاء ذلك في سفر الخروج: « لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما في السماء من فوق الأرض ومن تحت الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن »[5] [إلا أن بعض اليهوديعبدون صورا مجسمة منحوتة للملائكة، وهي المسماة بالكروبين (CHERUBIN) [*].و هي عبادة قديمة ثم تطورت على أيدي يهود مرموقين، وعبادها يسمون القبليين، أي أتباع الطريقة القبلية][6].

---

(1) إبن كثير، التفسير، ج33/6.

(2) التوبة /30.

(3) المائدة /18.

(4) التوبة /31.

(5) خر 3/20-5.

(*) في سفر الخروج 18/25-23 تفصيل واضح لمعنى الكروبين.

(6) سهيل ديب، التوراة بين الوثنية و التوحيد (بيروت: دار النفائس)، ص49.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وفي مقال للدكتور حسن ظاظا تحت عنوان « الحقيقة في البئر » ينفي إدعاء اليهود الزاعم أنهم أهل توحيد، مفندا ذلك بما يعتقده اليهود إلى اليوم في نبع يسمى: بئر سبع الذي جاء ذكره في التوراة [1]. إذ يعتقدون كما اعتقد الوثنيون من قبلهم الذين كانوا يجاورونهم، من العرب والكنعانين، والآراميين والبابليين بأرواح سبعة تسكن البئر، فكان الوثنيون لا يقسمون قسما غليظا إلا في البئر ، إذ يقسم الحالف باللعنات السبع عدد الأرواح الساكنة في البئر، فيدعو على نفسه، أن يموت غريبا،أن يموت أولاده، وتموت مواشيه، ويخرج من الدنيا بلا عقب، وأن تصيبه الصواعق، وأن تصيبه الأمراض، وأن تنهشه الأفاعي والعقارب والوحوش .

وكذلك يفعل اليهود إلى درجة أنهم إلى الآن لا يعرفون لليمين إلا كلمة واحدة هي (شبوعة) ، أي التسبيع. قال حسن ظاظا معلقا: « وكم من حقائق دفنها اليهود في أعماق الآبار»[2].

كما أن عدم اعتراف اليهود وجحودهم لرسالة الإسلام التي هي امتداد وخاتمة لجملة الرسالات التي وصلتهم ووصلت غيرهم من عند الله ، التي يكشف لهم فيها عن مواطن الشرك والضلالة في عقيدتهم الإلهية وفي عقائد غيرهم، وتقدم لهم ولغيرهم تصورا صحيحا لعقيدة الألوهية يدل على استمرارهم في الضلالة والإنحراف عن التوحيد الصحيح، وإن زعموا أنهم موحدون.

ب—صفتا القدم والبقاء :

القدم و البقاء الإلهي في اليهودية يعني كون الله هو الأول والآخر، يشهد على ذلك ما جاء في النصوص اليهودية المقدسة .

ففي سفر التثنية « الإله القديم ملجأ »[3] .

ويفسر موسى بن ميمون القديم بمعنى: (غير الحديث)[4].

---

[1] تك 21/31-34.

[2] حسن ظاظا ،« الحقيقة في البئر » مجلة الفيصل، ع 185، ذو القعدة 1412هـ/مايو 1992ص 127.

[3] تث 27/33.

[4] موسى بن ميمون ، دلالة الحائرين(مصدر سابق)، ص136.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والله عند بن ميمون دائم سرمدي لا علة له ولا يمكن تغيره[1].

وفي جواب موسى عن سؤال فرعون عن الله:

«وجد قبل أن يخلق العالم، وسيبقى بعد فناء العالم »[2].

وجاء كذلك :« المقدس الواحد قال: أنا الأول، لأنه لا رب لي، وأنا الآخر، لأنه لا أخ لي »[3].

و جاء في العقيدة الرابعة من العقائد التي وضعها موسى بن ميمون:

«أنا أؤمن إيمانا تاما أن الخالق تبارك إسمه هو الأول وهو الآخر »[4].

ونصوص التوراة التي تثبت هاتين الصفتين بشكل واضح وصريح معدومة ما عدا المشار إليها آنفا في سفر التثنية مما يؤكد إهمال التوراة الحالية لصفتين أساسيتين لهما مكانتهما في العقيدة الإلهية.

جـــ-القيام بالذات في التوراة :

قيام الله تعالى بذاته يقتضي أن يكون غنيا غنى تاما في أي شأن من شؤونه عما سواه، فلا يكون محتاجا لأغراض وأحوال المخلوقات أي كانت. فهو غني عن العالمين .

لكن الله تعالى في التوراة ليس هو الغني عن العالمين بل هو متصف بصفات تجعله مفتقرا أو محتاجا إلى غيره :

1 -وأولى هذه الصفات حاجته إلى البنوة أي نسبه الأبناء إلى نفسه كما عرفنا ذلك في صفة الوحدانية [5].

2-نقصان ملك الله بضياع ملك بني إسرائيل :

إذ يقول اليهود في صلاة لهم:« يا إلهنا وإله آباءنا أملك على جميع أهل الأرض، ليقول كل ذي نسمة: الله إله إسرائيل قد ملك ومملكته وفي الكل متسلطة ». ويعنون بذلك كما قال

(1) المصدر نفسه ،ص188.

(2) A. COHEN ,LE TALMUD (Ibid),P43.

(3) (Ibid)/48.

(4) ISAAC SENANES petite encyclopedie religieuse. Juive (Ibid),P 32.

(5) صفة الوحدانية في التوراة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ابن القيم الجوزية :« إنه لا يظهر الملك لله تعالى إلا إذا صارت الدولة لليهود الذين هم صفوته وأمته، فأما ما دامت الدولة لغير اليهود فإنه سبحانه وتعالى خامل الذكر عند الأمم، مطعون في ملكه، مشكوك في قدرته» [1].

3-والقرآن الكريم أثبت أن اليهود ألحدوا في صفة قيام الله بذاته بما نسبوا إليه من افتقار إلى غيره [2].

4- كما أن الاعتقاد بآلهة أخرى، والإلتجاء إليها بالعبادة والقرابين إلى جانب الله يقتضي بداهة كون المشرك بالله لا يعتقد بقيوميته بكل شيء، ولا بغناه المطلق عن كل شيء وإلا لما توجه إلى غيره بالعبادة التي هي خوف ورجاء وطمع، وطلب وخضوع.

والشرك المتفشي في بني إسرائيل شاهد على ذلك كما بينا في صفة الوحدانية .

5-والله في حاجة إلى اتخاذ شعبه اليهودي إرثا خاصا: « فاغفر إثمنا وخطيئتنا واتخذنا ميراثا لك »[3].

د- صفة المخالفة للحوادث :

ليس هناك نص صريح في التوراة ينفي عن الله أي شبه أو مثل لكن هناك بعض النصوص تشير إلى عدم مماثلة الله للإنسان في بعض الصفات، لكن كم كان مؤسفا أن نجد نصوصا أخرى تعج بها التوراة تناقض مثل هذه النصوص النادرة التي تحاول أن تتره الله تعالى !

وأول هذه النصوص تلك التي توحي أن المطلوب من بني إسرائيل أن يترهوا الله تعالى ويقدسوه عما لا يليق به من صفات المحدثات مثل ما نجده في سفر اللاويين :« إني أنا الرب إلهكم فتتقدسون وتكونون قديسين ، لأني أنا قدوس » [4]، وفي سفر العدد:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] ابن القيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ج2. تح محمد حامد الفقي (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة،دت)،ص 340-341.

[2] آل عمران /181، وكذلك ما سبق إثباته حول هذه الصفة في القرآن .

[3] جمعيات الكتاب المقدس،، كتب الشريعة الخمسة(مرج سابق)، ص212

[4] لا 44/11.

« ليس الله إنسانا فيكـــذب. ولا ابن إنسان فيندم هل يقول ولا يفعل أو يتكلم ولا يفي »[1].

و يبدو من معاني هذه النصوص أنها البقية الباقية من الوحي التوراتي المنزل على موسى عليه السلام .

ويرى موسى بن ميمون أشد علماء الشريعة اليهودية دفاعا عنها : [أن الله منزه عن أية جسيمة، وعن أي انفعال، وينفي عنه أي شبه بأي شيء من الموجودات][2] . ملتمسا دليلا نصيا على ذلك لا من التوراة ولكن من كتب الأنبياء مثل:

« فبمن تشبهون الله وأي شبه تعادلون به »[3] .

«فبمن تشبهونني فأساويه يقول القدوس »[4] .

« إنه لا مثيل لك يا رب »[5] .

وجاء في العقيدة الثالثة من العقائد الثلاث عشرة اليهودية :

« أنا أؤمن إيمانا تاما أن الخالق تبارك اسمه ليس جسما ولا عرض جسم »[6] .

ومن أجل أن يؤصل ابن ميمون عقيدة التتريه الإلهي وينفي شبهة التجسيم و التشبيه للإله في النصوص اليهودية فإنه يعمد إلى ما يأتي:

1 -ينفي صفات الله الثبوتية ويرى أن وصف الله بالسوالب أفضل وصف لتتريهه عن الشرك وما يلحقه من صفات النقص [7].

---

(1) عد 19/23.

(2) موسى بن ميمون ، دلالة الحائرين (مصدر سابق)، ص132.

(3) أش 18/40.

(4) أش 25/40.

(5) إر 6/10.

(6) ISAAC SINENES, petite encyclopédie religieuse juive (Ibid),P.31 .

(7) موسى بن ميمون ، دلالة الحائرين (مصدر سابق)، ص136-139.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2 يؤول الصفـــات الخبرية الموهمة بالتشبيه و التجسيم حتى ولو كان التأويل بعيدا عن مدلول النص [1].

3- يفرق بين حقيقة ما يوصف به الله وما يوصف به الإنسان من صفات مشتركة، [فهي ليست بمعنى واحد، فهي تنسب إلى الله فقط بالأعظم ، والأكمل، والأدوم، والأثبت][2].

لكن السؤال الواجب طرحه : هل التوراة تثبت التنزيه الإلهي على الأقل كما يراه بعض علماء العقيدة اليهودية كابن ميمون؟ إن أول إطلالة على أي سفر من أسفار التوراة الخمسة تشعرنا بأن الحديث عن الإله في التوراة لا يختلف كثيرا عن الحديث عن الإنسان، أو عن بعض الظواهر الطبيعية كالريح و السحاب و الغمام والنار ......؟

يتبين لنا ذلك من خلال استقراء بعض نصوص التوراة على سبيل المثال لا الحصر :

تشبيه الله وتجسيمه على غرار صفات الإنسان المادية والمعنوية :

الإنسان على صورة وشبه الله [3].

الله يمشي في الجنة ويمشي أمام الشعب نهارا في السحاب و ليلا في النار[4].

الله يخشى عما أختص به من صفات هي ملكه[5] من أن تسلب منه .

الله يتعب ويستريح ويتنفس[6] .

الله يحزن و يتأسف[7].البدا [8].

نزول الرب للإطلاع [9].

---

[1] المصدر نفسه، ص23-175.

[2] المصدر نفسه، ص133-134.

[3] تك 27/1 و 5/1 و 6/9.

[4] تك8/3 وخرو 13/21-22.

[5] تك 22/3.

[6] تك2/2-4. وخرو 10/20 .

[7] تك6/6-8

[8] تك 8/ 20-22.

[9] تك11/15.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إنهاء الرب الكلام مع إبراهيم وصعوده [1].

ظهور الرب لإبراهيم بمعيه شخصين، وقبوله الدعوة للمأدبة و تناوله الطعام و الحوار الذي جرى بينهما[2].

مصارعة الله يعقوب وغلبة يعقوب له [3].

الله يأمر بسلب النساء المصريات وتجريدهن من حليهن[4].

عتاب موسى لله وجداله له، و كأنه يجادل إنسانا مثله ولا يتكلم مع رب العالمين[5].

الرب رجل الحرب[6].

تآمر الرب على الشعوب المتاخمة لإسرائيل للقضاء عليها من أجل بني إسرائيل [7].

الله يحتاج إلى سكن وسكناه في عقر دار بني إسرائيل [8].

ألواح الشهادة كتبها الله بأصابعه وسلمها لموسى [9].

الله يملأ خيمة الاجتماع إلى درجة أن موسى ضاقت به الخيمة فلم يستطع دخولها[10].

الله يتراءى على غطاء التابوت في المعبد[11].

الله يتكلم إلى موسى فما إلى فم وعيانا لا بالألغاز [12].

---

(1) تك 22/17.

(2) تك 18/1-23.

(3) تك 24/32.

(4) خر 21/3.

(5) خر 22/5.

(6) خر 3/15 وتث 30/1-34.

(7) خر 23/23-34.

(8) خر 8/25.و 45/29-46.

(9) خر 17/31و 17/32.

(10) خر 24/40-27.

(11) لا 2/16.

(12) عد 5/12-8 .

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الله أخرج شعبه من مصر بقوته العظيمة وبذراعه الرفيعة [1].

ابن يامين يسكن بين منكبي الرب [2].

و لتعيين مكان الله يقول التلمود :

« مثلما تملأ النفس كل البدن يملأ الواحد المقدس العالم بأكمله.

مثلما تطعم النفس كل البدن كذلك يطعم الواحد المقدس كل العالم.

مثلما هي النفس صافية كذلك الواحد المقدس صافي .

مثلما هو استقرار النفس في داخل الجسم كذلك يسكن الواحد المقدس المركز الداخلي للكون »[3].

و يورد ابن حزم(-548هـ-1153م) من تلمود اليهود نصوصا كثيرة مشبهة ومجسمة لله تعالى منها :« أن في رأس خالقهم تاجا فيه ألف قنطار من الذهب وفي أصبعه خاتم تضيء منه الشمس و الكواكب، وأن الملك الذي يخدم ذلك التاج إسمه صندلفوت تعـالى الله عن هذه الحماقات»[4] لكن فما موقف العلماء اليهود من مثل هذه النصوص ؟

يعترف بعض علماء التلمود بكون نصوص كتبهم المقدسة تصف الله وصفا مجسما مشبها بخلقه، لكنهم مع ذلك يصرون على أن الله ليس بجسم، وأنه مخالف لذلك الوصف المادي، ويرون ورود تلك النصوص بذلك الوصف المشبه المجسم بكون ذلك الوصف استعارات تسهل فهم الألوهية[5] .فما مدى صحة هذا التبرير؟

إن هذا التبرير لا يبرئ التوراة الحالية من شبهة التجسيم والتشبيه للصفات الإلهية للشواهد الآتية :

1-التناقض الواضح بين نصوص الصفات الإلهية.

---

(1) تث 29/9.

(2) تث 12/33.

(3) A.Cohen , le talmud (Ibid),p.48.

(4) أبو محمد بن حزم، الفصل في الملل و الأهواء والنحل ، م1 ، ج1 (مصدر سابق)،ص 221 و على عبد الواحد وافي ، اليهودية واليهود (مصر: مكتبة النهضة، 1964)، ص 38-39.

(5) A.cohen , le talmud(Ibid),P. 48-49.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إذ ليست جميع نصوص التوراة مشبهة ومجسمة فنعتقد مجازيتها بل هناك نصوص مناقضة للنصوص المجسمة و المشبهة .

ففي نصوص الرؤية مثلا نجد النص الأول المثبت لرؤية موسى لله عيانا« ويكلم الرب موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه »[1] .

وكذلك:« وأما عبدي موسى فليس هكذا بل هو أمين في كل بيتي ، فما إلى فم وعيانا أتكلم معه لا بالألغاز»[2].

وكذلك نص ظهور الله لإبراهيم[3] و مصارعته ليعقوب[4]كلها تثبت رؤية الله.

لكن نجد في نص آخر أن الله منزه عن أن يراه غيره :

« لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش(...) وأما وجهي فلا يرى »[5].

فلا يمكن أن يتكلم الله عن نفسه بأنه يرى بتعبيرات تجسمية تشبيهية ثم ينفي ذلك عن نفسه في نفس الوقت، وهذا يقودنا إلى استنتاج مؤداه أن النص المثبت لرؤية الله تجسيما وتشبيها نص موضوع وليس وحيا من الله، ويرى الكسندر وايل أحد النقاد المعاصرين للنصوص اليهودية (Alixandre Weill) أحد النقاد المعاصرين للنصوص اليهودية أن:| أحد النصين حتما مضاف وليس أصليا، أي خاطئ |.[6]

و يرى سبينوزا | أن الله لم يظهر لموسى في أية صورة، كما أن عدم إمكانية رؤية الإنسان لله يرجع إلى طبيعته البشرية الضعيفة |[7].

كما أن العالم اليهودي إبن كمونة (-683هـ - 1285م) أشد المدافعين عن التوراة وأشد المناوئين لغيرها من الكتب السماوية يرى :| أن رؤية الأنبياء لله ليست رؤية مادية مباشرة بل

---

(1) خر 12/33.

(2) عد 5/12-9.

(3) تك 1/18-23

(4) تك 24/32.

(5) خر 18/33-23.

(6) Alixandre Weill , moise et le talmud (Ibid), P20.

(7) باروخ سبينوزا ، رسالة في اللاهوت و السياسة (مصدر سابق)، ص163.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

هي من قبيل الأحلام الصادقة التي يراها غيرهم أثناء النوم لكنها بدرجة أكبر من اليقين وعدم الارتياب خلافا لغيرهم][1] .

ومثل هذا التناقض يستطيع المتتبع لنصوص التوراة أن يكتشفه في كثير من الصفات الإلهية.

2- لو كانت النصوص التوراتية المشبهة و المجسمة لله هي على سبيل الاستعارات كما زعم، ومن ثم فهي بحاجة إلى تأويل طبعا كما فعل إبن ميمون لكان هناك من النصوص المحكمة في التوراة نفسها ترجع إليها النصوص المتشابهة الموهمة بالتشبيه و التجسيم حتى يكون تأويلها حينئذ ممكنا، على غرار ما هو في القرآن الكريم من كون الله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [*]لكن مثل هذا النص المحكم تفتقده التوراة. وقد عرفنا سابقا أن العلماء اليهود حين يستشهدون بنصوص تنزه الله فإنهم يلجأون إلى غير التوراة.و المؤولون منهم للصفات الخبرية كإبن ميمون ، تأويلهم بعيد عن روح النص، كتأويله[للرجل بالسببية][2].

ويؤول(السكن بالثبات واللزوم)[3].فما صلة الثبات ولزوم مكان واحد بنص التوراة:« فيصنعون لي مقدسا لأسكن في وسطهم »[4] .« و أسكن في وسط بني إسرائيل»[5]؟ فهل لا مكان لله إلا الثبات ولزوم المقدسات التي يصنعها الإسرائيليون؟ أو أن عنايته محيطة بهم فقط؟ وإذا كان المعنى الأخير هو المقصود فأين النص المحكم من التوراة الذي يبرر كون السكن في يعني: العناية بي....؟ والذي لم يثبته إبن ميمون.

3-بعض تلك النصوص المشبهة والمجسمة لله لها صلة باعتقادات الشعوب الأخرى المجاورة لإسرائيل :

---

[1] سعد بن منصور بن كمونة، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث(مصدر سابق)، ص10.

[*] الشورى/ 11.

[2] موسى بن ميمون، دلالة الحائرين (مصدر سابق)، ص 61.

[3] المصدر نفسه ، ص57.

[4] خر 8/25.

[5] خر 45/29.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جاء في سفر التثنية:« ليس مثل الله يا يشرون يركب السماء في معونتك و الغمام في عظمته »[1].

إن وصف التوراة لله بحلوله في الغمام له صلة قوية [باعتقاد الكنعانين في إلههم البعل، وهو إله العاصفة و المطر المسمى براكب الغمام][2] ويبدو أن كاتب التوراة الذي يصور الله حالا في الغمام أو الضباب لم يتقيد بالعهد الذي قطعه النبي سليمان عليه السلام على نفسه الذي يرويه سفر الملوك الأول والمتمثل في بناء مسكن للرب ليحل فيه بدل سكناه في الضباب: « حينئذ تكلم سليمان قال الرب إنه يسكن في الضباب إني قد بنيت لك بيت سكنى مكانا لسكنك إلى الأبد»[3].

كما أن فكرة سكن الله في السماوات وإنتقاله منها وإليها و الحاضرة بقوة في النصوص المقدسة اليهودية[4]يرجعها سبينوزا إلى الشعوب المجاورة لليهود التي كانت منتشرة عندهم على أوسع نطاق [5].

وفكرة تجلي الرب لإبراهيم مع شخصين آخرين على الأرجح أنهما ملكان كما جاء ذلك في الخروج[6] هي [فكرة أخذها مؤلف التوراة من أسطورة قديمة تروي حادثة تدمير سدوم، حيث شارك في هذه العملية ثلاثة أشخاص إلهيين. وقد عُدت هذه الرواية التوراتية فيما بعد نواة لرجال الكنيسة للإعلان عن سر فكرة الثالوث في المسيحية][7].

4-القرآن يكشف عن الروح التشبيهية و التجسيدية لليهود :

---

(1) تث 26/33. وأنظر كذلك خر 12/13 و 5/34.

(2) صموئيل هنري هوك، منعطف المخيلة البشرية،ترجمة صبحي حديدي(سورية: دار الحوار، 1983)، ص67. وإسطفان شربنتية ، دليل إلى قراءة الكتاب المقدس (مرجع سابق)، ص 19.

(3) 1 مل 12/8-14.

(4) مثلا خر 40/32، يش 11/2 و تث 26/33.

(5) باروخ سبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة(مصدر سابق)، ص 162.

(6) خر 1/18-23.

(7) **الرهبانية اليسوعية، كتب الشريعة الخمسة(مرجع سابق)، ص 92-93(تعليقات على نصوص سفر الخروج في الهامش) .**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

القرآن أثبت أن اليهود لا يتورعون عن اعتقادهم في الله أنه جسم يمكن رؤيته، فقد طلبوا من موسى عليه السلام أن يريهم الله جهرة :

﴿ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ ﴾ (1).

يقول الشهرستاني (-584هـ - 1153م): « فإن التشبيه فيهم طباع »(2).

«و لقد كان التشبيه صرفا خالصا في اليهود لا في كلهم بل في القرائين منهم »(3).

و بناء على ما سبق إيضاحه يتبين لنا بشكل جلي التشبيه و التجسيد التوراتي لله تبارك وتعالى، و أن الله تعالى مشابه للحوادث لا مخالفا لها .

2- **الصفات المعنوية :**

الصفة المعنوية هي كل صفة يمكن أن يكون العقل وسيلة لإدراكها واثباتها إلى جانب النص، وأهم هذه الصفات العلم، الإرادة، القدرة، السمع ، البصر، الكلام و الحياة.

أ-صفة العلم :

المستقصي لنصوص التوراة، يصعب عليه العثور على نصوص صريحة تثبت العلم الإلهي، وحتى العلماء اليهود الذين يثبتون هذه الصفة لله فإنهم يلجأون أساسا إلى نصوص من غير التوراة كأسفار الأنبياء . وقد عثرت على نص في سفر التكوين يشير إلى العلم الإلهي :« فقالت الحية للمرأة لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان عارفين الخير والشر»(4) .

---

(1) النساء/153.

(2) الشهرستاني، الملل و النحل، تح وتقديم محمد سيد كيلاني (بيروت: دار المعرفة، 1984)، ص 106/1.

(3) المصدر نفسه /93. و القراءون (Karaites) فرقة دنية يهودية، من أشهر مبادئها الإعتقادية الإيمان بالتوراة مصدر وحيد للتشريع دون سواها من التراث الشفهي (موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود مرجع سابق، ص 177).

(4) تك 3/ 4 -6.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وجاء في سفر من أسفار الأنبياء:« قبلما صورتك في الرحم عرفتك »[1].ويرى بن ميمون [في العناية الإلهية دليلا ساطعا على العلم الإلهي، هذه العناية التي يشهد عليها نظام الكون البديع، مستندا في ذلك إلى رأي أرسطو(-321 ق م) في العناية] [2].

لكن ابن ميمون كعادته في نفي الصفات الثبوتية لله لا يرى في علم الله أنه معنى زائدا عن الذات [بل علم الله هو ذاته][3].

والعلم الإلهي عنده ليس كالعلم الإنساني، فهما متباينان كل المباينة، والمشاركة في الإسم فقط [4].

وعلم الله في تصور علماء العقيدة اليهودية علم شامل لا حد له[فكما أنه لا يوجد وجه يشبه الوجوه الأخرى، فكذلك فإن كل العقول تختلف عن بعضها، لكن الله مطلع عليها جميعا، كما قال دانيال « هو يكشف العمائق والأسرار، ويعلم ما هو في الظلمة، وعنده يسكن النور»[5]. فالطبيعة الخارقة للعلم الإلهي يعبر عنها بقوة في مثل هذه الحكم :« فحتى قبل أن يصور الكائن في بطن أمه، سبق وأن علم الله فكره ».«فحتى قبل أن توجد فكرة في قلب الإنسان كانت سابقة في علم الله ».« و قبل أن يتكلم الإنسان، سبق أن علم الله ما في قلبه »، فالله يعرف ما هو كائن، وما كان وما سيكون« فكل شيء سابق العلم عنده »[6].

[فعلم الله شامل لا تخفى عنه خافية][7].

وموسى بن ميمون يؤكد ما أكده حكماء التلمود في كون علم الله محيطا بكل شيء وليس هناك ما يخفى عنه [8]. لكن ابن ميمون ينقض هذا التصور بنفسه، إذ نجده في موضع

---

(1) أر 5/1.

(2) موسى بن ميمون، دلالة الحائرين (مصدر سابق)، ص 521-523.

(3) المصدر نفسه، ص544.

(4) المصدر نفسه، ص540-542.

(5) دان 22/2.

(6) A .cohen , le talmud (Ibid),pp56-57.

(7) ISIDOR epstein . le judaism (paris: payot , SD) p129.

(8) موسى بن ميمون، دلالة الحائرين(مصدر سابق)، ص520.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

آخر ينتقص من شمولية هذا العلم الذي لا يفصل بينه وبين العناية الإلهية [1].ويسلب عن الله القضاء و القدر و العناية بما يحدث من وقائع في عالم الكائنات غير العاقلة، ويرجع حدوثها إلى المصادفة العمياء متبعا في ذلك رأي أرسطو ، فيقول ابن ميمون :

« أما سائر الحيوانات ناهيك النباتات وغيره ، فإن رأيي فيها رأي أرسطو، لا أعتقد بوجه أن هذه الورقة سقطت بعناية بها، ولا أن هذا العنكبوت افترس هذه الذبابة بقضاء الله وإرادته (...) ولا أن هذه السمكة لما اختطفت هذه الدودة من وجه الماء إنما كانت ذلك بمشيئة إلهية شخصية، بل هذا كله عندي بالاتفاق المحض كما يراه أرسطو »[2] .

ويبرر ابن ميمون هذا المذهب [*]بكون شريعته اليهودية تخلو من نص ينص على عناية الله وإحاطته بالكائنات غير الإنسان[3] .

وهذا اعتراف صريح من فيلسوف يهودي كبير يدل على إجحاف الشريعة اليهودية وفي مقدمتها التوراة للعلم الإلهي الشامل بكل شيء .

ونحن إذا غضضنا الطرف عن انحرافات ابن ميمون في تصوره للعلم الإلهي ومضينا في استقصاء نصوص التوراة فسنكتشف تصورا قاصرا وناقصا للعلم الإلهي غير المحيط بجميع الأبعاد الزمكانية.

فالله كما تصوره التوراة :

أ-لا يعلم ما هو حاضر من أشياء ووقائع إلا وفق علامة تساعده على ذلك:« فإني أجتاز في أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم واصنع

---

(1) المصدر نفسه ، ص518.

(2) المصدر نفسه ، ص528.

(*) يشترك مع ابن ميمون في القول بعدم علم الله وإحاطته بالجزئيات فيلسوف يهودي آخر هو ليفي بن جرسون .(LEVIBENGERSON)(-744هـ -1344م) متأثرا بأرسطو هو أيضا . (علي سامي النشار وعباس أحمد الشربيني، الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية (مصر: منشأة المعارف ، 1972)، ص250.)

(3)موسى بن ميمون، دلالة الحائرين (مصدر سابق)، ص 592 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أحكاما بكل آلهة المصريين. أنا الرب ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر »[1] .

2- الله لا يعلم المستقبل:« ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم فحزن الرب أنه عمل الإنسان وتأسف بقلبه فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته »[2].

وكأن الله تعالى لا يعلم مستقبل الإنسان فلم يقرر يومئذ قبل خلقه إزالته لكن لما خلقه تبين له بعد ذلك إزالته، لأنه كان يجهل ما سيصدر عنه من شرور[3]!

3-علم الله يشبه علم الإنسان لكون هذا الأخير قادر على احتوائه:

«فقالت الحية للمرأة لن تموتا بل الله عالم يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر »[4].

وهكذا يتبين لنا قصور العقيدة التوراتية وإلحادها في علم الله تعالى! فهل هي كذلك في إرادة الله؟ .

ب-الإرادة :

لا نجد في التوراة نصا يصرح بإرادة الله تعالى وحتى موسى بن ميمون أشد المدافعين عن التوراة لم يجد في التوراة ما يسند إليه إثبات الإرادة لله تعالى، فاضطر إلى النصوص المقدسة في غير التوراة مثل ما جاء في المزامير :

«كل ما شاء الرب صنعه »[5] .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) خر 12/12-14. وتك 5/11.

(2) تك 5/6-8.

(3) تك 21/8.

(4) تك 4/3-6، 22/3.

(5) مز 6/134.

لكن ابن ميمون لم يفته أن يسد أية ثغرة وينفي أية شبهة عن التوراة [فزعم أن كل قول أو كلام منسوب لله فهو يعني الإرادة و المشيئة][1].لكن هل إرادة الله مطلقة أم مقيدة؟ استنادا إلى نص المزمور السابق[2] .يرى موسى بن ميمون:

[أن ما أراده الله كان، وليس هناك ما يمنع من نفاذ إرادته، لكن إرادته مقيدة بما هو ممكن، و الممكن هو ما اقتضت حكمته أن يكون على كيفية ما، فوجود العالم مثلا كان بإرادة الله وحكمته، مستندا أيضا في آرائه هذه إلى رأي علماء اليهود][3] .

لكن استقراء بعض نصوص التوراة يوقفنا على ما يفيد أن إرادة الله الضمنية غير المصرح بها مقيدة بإرادة غيره :

1 - ففي سفر التكوين نقرأ ما يفيد أن إرادة الله مقيدة بفعله الحسن الذي لا يعرف الله حسنه إلا بعد فعله، وكأنه يجهل حقيقة ما يريد قبل فعله، فكلما أنهى عملية من عمليات الخلق المختلفة يظهر له أن فعله حسن :

« وقال الله ليكن نور فكان نور ورأى الله النور أنه حسن ...»[4].

2-إرادة لا تنفذ بسبب أمر موسى:

بعد غضب الله على بني إسرائيل بسبب عبادتهم للعجل شاء الله أن يفنيهم لولا ما يأتي:

«ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك، أذكر إبراهيم وإسحاق و إسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم أكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد. فندم الرب على الشر الذي قال أنه يفعله بشعبه»[5].

---

(1) موسى بن ميمون، دلالة الحائرين(مصدر سابق)، ص 162-163.

(2) كذلك أي 13/23.

(3) المصدر السابق ، ص567-568.

(4) تك 1/1-31 .

(5) خر13/32-15.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فمشيئة الله إذن حسب مثل هذه النصوص هي مشيئة إكراه واضطرار ، ومشيئة تحتاج إلى مراجعة ما دام صاحبها ينسى يحتاج إلى تذكير، فسبحان الله عما يقال عنه علوا كبيرا! وليس هناك في التوراة ما يفيد تكييف إرادة الله تعالى.

جـ- صفة القدرة:

صفة القدرة الإلهية مثبتة في التوراة في أكثر من نص واحد فنقرأ مثلا في سفر التكوين:«ظهر الرب لأبرام وقال له أنا الله القدير »[1] .و في الخروج : «ثم كلم الله موسى وقال له أنا الرب. وأنا ظهرت لإبراهيم و إسحاق ويعقوب بأني الإله القـــادر على كل شيء»[2] .ومظاهر ودلائل قدرته كثيرة:

1-قدرته على الخلق: فالله خالق السماوات والأرض، والنور والظلمة و النهار والليل، والمياه والشجر و النبات، وخلق كل ذوات الأنفس الحية، وخلق الإنسان، وخلق جنة عدن....فكل مظاهر الخلق تشهد على قدرته.[3].كما أن ظواهر الطبيعة من النجوم والزلازل، و الرعد والعواصف، والبرق تنطق بهذه الصفة قائلة:« تباركت يا أيها السيد إلهنا، ملك الكون يا من قوته وقدرته تملأ العالم»[4]. فالله هو الخالق و ليس غيره .

2-معجزات الأنبياء: المعجزات التي أجراها الله على أيدي أنبيائه المرسلين إلى بني إسرائيل دليل على قدرته، كانشقاق البحر لموسى ليمر الإسرائيليون ويغرق الفرعون وجنوده، وتوقف الشمس و القمر ليشوع، وإطعام الغربان لإيليا و الأسود التي لم تؤذ دانيال. والحوت الذي التقم يونس ثم لفظه حيا].[5]

كما أن [قدرته لا حد لها إلا إرادته، فكل ظواهر الطبيعة خاضعة لإرادته، وكل الأحداث مهما كانت طبيعتها هي عمل مباشر لعمل يديه][6]، وجاء في سفر إرميا :« آه أيها

---

(1) تك 1/17.
(2) خر 2/6-3.
(3) تك/1، 2 .

(4) A.cohen .le talmud(Ibid),p.53.
(5) Ibid p.54.
(6) ISIDOR epstein, le judaisme (Ibid), P.128.

السيد الرب ها إنك قد صنعت السماوات و الأرض بقوتك العظيمة وبذراعك الممدودة لا يعسر عليك شيء»[1] . فالتصور العقدي السابق لصفة القدرة الإلهية والذي يرجح أنه من البقية الباقية من الوحي الإلهي الذي أنزل على موسى عليه السلام ، والذي تمثله الرؤية الإيلوهيمية، أقرب الروايات التوراتية للتصور العقدي الإسلامي[2] سرعان ما يتبدد وتذهب ريحه حينما نكتشف نصوصا أخرى تهدم ما هو قائم في تصور علماء اليهود حول القدرة الإلهية المطلقة .

فالتوراة تصور الله تصويرا يطعن في قدرته المطلقة على كل شيء، فتصفه على غرار حال الإنسان بأنه يحتاج إلى استراحة، و التنفس بعد العمل الشاق المجهد، وهذا الوصف لا يكون إلا لحال العاجز، المحدود الجهد و القدرة الذي تتوقف استطاعته عند حد معين من الأعمال وإلا أهلك نفسه:«وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل، وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقا »[3] .

«لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، واستراح في اليوم السابع»[4].

«و أما اليوم السابع ففيه سبت عطلة مقدس للرب(...) لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفي اليوم السابع استراح وتنفس »[5].

ولا يتوقف الأمر عند كون الله يحتاج إلى استراحة وتنفس بل يتعداه إلى خشيته من أحد مخلوقاته وهو الإنسان أن يسرق منه سر الحياة فيحيا إلى الأبد كما سرق منه قبل ذلك سر المعرفة، وهذا الوصف لا يكون إلا لمن هو محدود القدرة في كل شيء؟!

---

(1) إر 17/32.

(2) محمد خليفة حسن، علاقة الإسلام باليهودية (القاهرة: دار الثقافة، 1985)، ص51.

(3) تك 2/2-3.

(4) خر 11/20 .

(5) خر 15/31-17.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

«و قال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الأبد ....».

و لا يكفي الله أن يطرد الإنسان بعد هذه السرقة بل يقيم حراسا على الطريق المؤدي إلى شجرة الحياة في جنة عدن ربما لأنه ظن أن الإنسان قد يعود ويفوت عليه الفرصة كما فوتها من قبل ؟!

«فطرد الإنسان، وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم(*) ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة »[1].

ومما سبق يتبين لنا فظاعة الطعن التوراتي في قدرة الله تعالى وإلباسها لباس اللغوب، وعدم الهيمنة عل كل شيء.

د-السمع و البصر :

السمع و البصر ثابتان لله تعالى في التوراة :

1-السمع : جاء في سفر الخروج «إني أسمع »[2].

«وسمع الرب فحمي غضبه »[3].

وسمع الله في التصور اليهودي كما يثبته التلمود سمع مطلق يفوق كل سمع ولا يمكن مقارنته في هذا المجال بغيره أبدا :« المقدس الواحد يسمع في نفس الآن عشر طلبات سمعا تاما لكن الكائن البشري لا يستطيع أن يسمع في آن واحد صراخ فردين، أما المقدس الواحد يصغي لصرخات كل من في العالم »[4] لكن سمع الله تعالى في التوراة لا يبرأ من الشروط الفيزيائية والفيزيولوجية التي بواسطتها يتم سمع المخلوقات، فالله سبحانه له أذن يسمع بها :

« وكان الشعب كأنهم يشتكون شرا في أذني الرب »[5].

(*) معناه المفصل في : خر 25/18-23.

(1) تك 3/22-24.

(2) خر 28/22.

(3) عد 1/11.

(4) A.cohen, le talmud(Ibid),p.53.

(5) عد 1/11، 18.

« دعوت الرب وإلى إلهي صرخت، فسمع من هيكله صوتي وصراخي دخل أذنيه »[1].

2–البصر:

صفة الرؤية ثابتة لله تعالى في التوراة لكن بشروط فيزيائية وفيزيولوجية كما هو الحال في صفة السمع، إضافة إلى ذلك فهي في بعض الأحيان رؤية قاصرة تحتاج إلى مسافة مناسبة حتى تتم كما هو الحال في رؤية الكائنات المخلوقة.إذ جاء في سفر التكوين:« وقال الرب إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت جدا، أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتي إلي »[2].

ولا تكتفي التوراة بإثبات الحاسة فقط التي يمكن حملها على المجاز إن أمكن بل تفحش في إثبات ما يداخل حاسة الرؤية وهي الحدقة إذ لا يبقى حينئذ مجال للتأويل المناسب، فعن رعاية الله ليعقوب تقول التوراة :« وصانه كحدقة عينه »[3]. وجاء في تعاليم التلمود :« الله الساكن في السماوات عيونه تبصر وتراقب أبناء الإنسان»، « من أعلى السماوات، الله يبصر أفعال مخلوقاته»[4].

هـــ–صفة الكلام:

| الكلام يعني القول في العبرية، فهما بمعنى واحد |[5].

وصفة الكلام حاضرة بقوة في التوراة ، فنقرأ في سفر الخروج:« وقالوا كل الأقوال التي تكلم بها الرب نفعل »[6].

و« كلم الرب موسى»[7]، « فقال الرب لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل. أنتم رأيتم أنني من السماء تكلمت معكم »[1].

---

(1) 2 صم 4/22.

(2) تك 30/18-32.

(3) تث 10/32.

(4) A.cohen, le talmud(Ibid),P.56.

(5) موسى بن ميمون ، دلالة الحائرين(مصدر سابق)، ص 164.

(6) خر 3/24.

(7) خر 1/25.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

هذه النصوص المثبتة لصفة الكلام الإلهي انتقيت من بين سائر النصوص التي تشبه وتجسم كلام الله تعالى، وهروبا من التشبيه الفظيع للكلام الإلهي الذي تعج به التوراة ذهب موسى ابن ميمون إلى تأويل كل ما ينسب إلى الله من قول أو كلام [بالمشيئة، أو الإرادة، أو عده كناية عن المعنى المفهوم من قبل الله دون النطق به][2].

لكن نجد أن بعض النصوص التوراتية الصريحة تستبعد هذا التأويل مثل :« ويكلم الرب موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه »[3]،« وأنا أجتمع بك هناك واتكلم معك من على الغطاء من بين الكروبين اللذين على تابوت الشهادة بكل ما أوصيك به إلى بني إسرائيل»[4].

يقول باروخ سبيوزا (-1087هـ -1677م) معلقا على نص الخروج الأخير:«فهذا يدل على أن الله استخدم صوتا حقيقيا »[5].

فتكليم الله لموسى إذا لم يكن من وراء حجاب، ولا بواسطة رسول الوحي، ولا بالرؤيا بل كان عيانا، ووجها لوجه، يؤيد ذلك بشكل لا مراء فيه ما جاء في سفر العدد :

« فنزل الرب في عمود سحاب ووقف في باب الخيمة ودعا هارون ومريم فخرجا كلاهما. فقال إسمعا كلامي. إن كان منكم نبي للرب فبالرؤيا أستعلن له، في الحلم أكلمه، وأما عبدي موسى فليس هكذا بل هو أمين في كل بيتي، فما إلى فم وعيانا أتكلم معه لا بالألغاز »[6].

واكثر من ذلك يصور التلمود طبيعة صوت الله تصويرا لا يختلف عن طبيعة بعض الظواهر الطبيعية، فهو شبيه بالأصوات القوية التي تمزق وتقلع، وتفجر الأشياء المادية :

---

(1) خر 22/20. لا 1/1 و عد 16/11، 25/11.

(2) المصدر السابق ، ص162-163.

(3) خر 12/33.

(4) خر 22/25.

(5) باروخ سبينوزا، رسالة في اللاهوت و السياسة (مصدر سابق)، ص 126.

(6) عد 5/12-9.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

« صوته يمزق النيران الملتهبة، يقلع الجبال، يتطاير مفجرا الصخور» [1] .

فليس هناك موانع شرعية، ولا أدبية ولا غيرها في كلام الله لغيره، فكلام الله لا يختلف كثيرا عن كلام الرجل لصاحبه. ومسألة قدم الكلام الإلهي أو حدوثه كانت محور اهتمام في الفكر اليهودي على غرار الاهتمام بها في الفكر الإسلامي، إذ يعتقد موسى بن ميمون اعتقاد جازما أن [التوراة مخلوقة بإجماع أمته][2].

وهذا الاعتقاد نابع من مذهب ابن ميمون في نفي الصفات الثبوتية، فمن أجل أن يتوصل إلى كون كلام الله ليس صفة قديمة قائمة بذاته ومعنى زائدا عن الذات عد التوراة التي هي كلام الله عنده محدثة على غرار مذهب المعتزلة في نفي الصفات. وهناك من يعارض ابن ميمون من الفلاسفة اليهود في هذا الاعتقاد مثل الفيلسوف هسداي كرسكاس[3](-812هـ -1410م).

و-صفة الحياة :

رغم أنه [لا مكان لموت الإله في التصور العقدي اليهودي كما يرى إزيدور إبشتاين عميد المجمع اليهودي بلندن ، فالله حي و موجود إلى الأبد][4].

لكن هذه الصفة لا نكاد نعثر لها على نص يؤكدها بشكل أكثر في التوراة ما عدا النص الوارد في سفر التثنية :

« لأني أرفع إلى السماء يدي وأقول حي أنا إلى الأبد»[5] .

و صفة الحياة الإلهية عند ابن ميمون [لا ينسب معناها إلينا كما تنسب إلى الله، فهي لله أعظم ، وأكمل، وأدوم، وأثبت][6]. و من ثم فحياة الله لا تشبه حياة البشر أو حياة غيره من المخلوقات .

---

(1) H.cohen, le talmud(Ibid), p.43.

(2) موسى بن ميمون، دلالة الحائرين (مصدر سابق)، ص 162.

(3) علي سامي النشار وعباس أحمد الشربيني، الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية (مرجع سابق)، ص 264.

(4) Esidor epstein ,le judaisme (Ibid), p.129.

(5) تث 40/32. دان 7/12.

(6) موسى بن ميمون، دلالة الحائرين (مصدر سابق)، ص 133-134.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لكن ابن ميمون ينفي هذه الصفة عن الله على غرار ما فعلت المعتزلة في الفكر الفلسفي الإسلامي،[إذ لا يعدها معنى زائدا على الذات بل هي الذات نفسها، فلا يقال في نظره الله الحي،ولا : حياة الله، لأن حياته ليست شيئا سوى ذاته][1] .

والله سبحانه في التوراة ليس هو الله الذي يفرد نفسه فقط بصفة الحياة الأبدية دون خشية من منازع له فيها بل هو إله يخشى أن يسرق منه سر الحياة الأبدية فيكون غيره يشاركه فيها.

« وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر.والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الأبد فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها »[2].

---

(1) المصدر نفسه، ص167.

(2) تك 22/3 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث :

أسماء الله استقصاء وتمحيص:

كثير من أسماء الله تعالى في التوراة هي أعلام على الذات والمناظرة لصفاته العليا .

لكن ابن ميمون يرى أن أسماء الله في العقيدة اليهودية [هي أسماء مشتقة من أفعاله إلا اسما واحدا. خاصا بذاته][1]، كما سنعرف. و الحقيقة أن مذهب ابن ميمون هذا تابع لمذهبه في نفي الصفات الإلهية، وعدها إما صفات ذاتية أو صفات فعلية .

وقد ساقني بحث و تتبع أسماء الله في التوراة إلى اكتشاف نوعين من أسماء الله، نوع منها أعلام على الذات وهي محدودة جدا ، والنوع الآخر هي أسماء مشتقة من الأفعال المنسوبة إلى الله وليست أسماء حقيقية سمى الله بها نفسه :

---

[1] موسى بن ميمون، دلالة الحائرين(مصدر سابق)، ص 149.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

النـــوع الأول:

الله[1]، الإلـــه[2]، الـــرب[3]، القـــادر[4]، الـــرؤوف[5]، الـــرحيم[6]، القـــدوس[7]، الأمـــين[8]، الحـــافظ للعهـــد العظـــيم[9]، الجبـــار[10]، الـــصديق والعـــادل[11]، العلـــي[12]، الحـــي[13]، القـــدير[14] ،المجـــازي[15]، ومالـــك السماوات والأرض[16]، والسرمدي[17] .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) خر 2/3، 6، 11، 12، 15.
(2) تك 6/17.
(3) تك 5/11.
(4) خر 2/6
(5) خر 27/22.
(6) تت 31/4
(7) لا 44/11.
(8) تث 9/7.
(9) تث 21/7.
(10) تث 17/10
(11) تث 4/32
(12) تث 8/32.
(13) تث 40/32.
(14) تك 17/1، 3/28.
(15) تث 10/7.
(16) تك 19/14.
(17) تك 23/21.

النوع الثاني : الأسماء المستشفة من الأفعال المنسوبة لله:

المعطي[1]، الحافظ[2]، المحب[3]، المانع[4]، القاضي[5]، الواهب[6]، المنعم[7]، المنسي[8]، العليم[9]، الفاعل[10]، الجالب[11]، المضل[12]، المرسل[13]، المالك[14]، المخرج[15]، الموصى[16]، المحسن[17]، الحاكم[18]، المكفر[19]، المغني[20] ، السميع[21]، القاسم[22]، المبغض[23]،

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) تك 4/25
(2) تك 20/28
(3) تك 22/29
(4) تك 2/30.
(5) تك 6/30.
(6) تك 20/30.
(7) تك 11/33.
(8) تك 56/41.
(9) خر 25/2.
(10) خر 6/9.
(11) خر 13/10.
(12) خر 17/13.
(13) خر 7/15.
(14) خر 18/15.
(15) خر 1/18.
(16) خر 23/18.
(17) خر 6/20.
(18) خر 8/22.
(19) خر30/32.
(20) عد 45/16.
(21) تث 24/1 وعد1/11.
(22) تث 26/1.
(23) تث 27/1.

المقضي[1]، الآمر[2]، المبصر[3]، الجاعل[4]، الصانع[5]، العارف[6]، اللاعن[7]، الممحي[8]، المبارك[9]، الفاتح[10]، المبدد[11]، المسلم للأعداء[12]، المخفي[13]، المهلك[14]، الشافي[15] ، الممتحن[16]، المستجيب[17]، المتكلم[18]، الوفي[19] ، القوي[20]، الخالق[21]، المبارك [22].

لكن إلى جانب هذه الأسماء الحسنى، نجد في التوراة أيضا أسماء أغلبها لا تليق بمقام الله تبارك و تعالى ، و هي نوعان على غرار سابقتها .

---

(1) تث 17/1.

(2) عد 5/36.

(3) تك 10/1.

(4) تك 17/1.

(5) تك 21/3.

(6) تك22/3.

(7) تك 30/5.

(8) تك 7/6.

(9) تك 26/9.

(10) تك27/9.

(11) تك11/8.

(12) تك 20/14.

(13) تك 17/18.

(14) تك 22/18، 14/19.

(15) تك 17/21.

(16) تك 1/22.

(17) تك 21/25.

(18) عد 7/12 ، 16/11.

(19) عد 19/23.

(20) تث 29/9.

(21) تث 32/4.

(22) تث 7/2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

النوع الأول :إيل إله إسرائيل[1]، إله السماء [2]،يهوه[3]، الرب رجل الحرب[4]، المحارب[5]،السيد[6]، إله إسرائيل[7]، الغيور« لأن الرب اسمه غيور »[8]، المخوف[9]، إله الآلهة، رب الأرباب، و المهيب[10]، نار آكلة« لأن الرب إلهك هو نار آكلة »[11]، إله العبرانيين[12].

النوع الثاني: المستشف من الأفعال المنسوبة لله :

الموبخ[13]، الخائف[14]، الصاعد[15]، المنسي[16]، المفتقد[17]، المقاتل[18]، المحطم[19]، المهدم[20]،

(1) تك 20/33.
(2) تك 7/24.
(3) خر3/15، 2/6.
(4) خر3/15.
(5) تث 22/3.
(6) خر 4/10-14.
(7) خر 27/32، 24/34.
(8) خر 14/34 و تث 24/4.
(9) تث 21/7.
(10) تث 17/10.
(11) تث 24/4.
(12) خر 18/3، 3/5
(13) تك 42/31.
(14) تك 5/35.
(15) تك 13/35.
(16) تك 56/41.
(17) تك 20/50.
(18) خر14/14.
(19) خر 6/15.
(20) خر 7/15.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

السادم[1]، الضارب [2]،المكفر[3]، المفرز[4]، الآتي[5] ، الساكن في وسط إسرائيل[6]، المستريح[7]، الغارس[8]، المنادي[9]، الحازن[10]، المتأسف[11]، الذاكر[12]، المتنسم للروائح[13]، النازل[14]، الظاهر للعيان[15]، السائر«لأن الرب إلهك سائر في وسط محلتك »[16]، الأب[17]، المترائي«لأني في السحاب أتراءى على الغطاء »[18].

الأسماء الشرعية المشهورة في اليهودية:

يرى موسى بن ميمون أن أسماء الله تعالى قسمين :

1-اسم الذات: و هو اسم غير مشتق، ويعبر عن لفظ الجلالة، وهذا الاسم يعرف بالكتابة لا بالقراءة، أي لا يلفظ ولا يقرأ بحروفه الخاصة به، وإنما يستعاض عنه بحروف أخرى،

---

(1) خر 14/32.

(2) خر 35/32.

(3) خر 30/32.

(4) عد 9/16.

(5) عد9/22.

(6) عد 34/35.

(7) تك2/2.

(8) تك2/8.

(9) تك 9/3.

(10) تك 6/6.

(11) تك 6/6.

(12) تك 1/8.

(13) تك 21/8.

(14) تك 5/11، 7.

(15) تك 7/12، 1/18.

(16) تث 14/23.

(17) تث 6/32، خر 21/4.

(18) لا 2/16.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويحق للكاهن الأعظم فقط أن ينطق به بحروفه الأصلية ويجب أن يكون في مكان خاص هو المقدس أو المعبد، وفي يوم خاص هو يوم الصوم، وهذا الإسم هو « يهوه». ويذكره ابن ميمون بحروفه على الترتيب : الياء- والهاء- والواو- والهاء- أما الاسم الذي يحل مكانه أثناء إرادة النطق به فهو « أدوناي» [1] .و قد ذكر هذا الاسم في عدة مواضع من التوراة منها: « فقال موسى لله ها أنا آتي إلى بني إسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلني إليكم، فإذا قالوا لي ما اسمه فماذا أقول لهم. فقال الله لموسى أهيه الذي أهيه (....) وقال الله أيضا لموسى: هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلني إليكم .هذا إسمي إلى الأبد وهذا ذكري إلى دور فدور» [2] .

ومعنى هذا الاسم مختلف فيه، وما يهمنا هنا هو معناه عند اليهود، فإبن ميمون مثلا يرجح أن معناه [واجب الوجود باعتباره اسما دالا على ذاته وحده دون مشاركة أحد من مخلوقاته في تلك الدلالة. فهو اسم خاص به فقط][3].

و هناك تفسيرات كثيرة لهذا الاسم مثل: [الكائن غير المتغير][4].

أو [الأزلي][5]، أو [هو الذي يوجد ، أي الخالق][6] أو [السيد أو المولى].[7]

2- أما باقي الأسماء فهي مشتقة من أفعال الله كما يوجد مثلها عند الإنسان ومثل هذه الأسماء خصوصا :

أ-آدني : المشتق من السيادة و الذي يعني: سيدي و هو أخص الأسماء المشهورة لله تعالى.

ب-آدناي: بمد النون مدا طويلا لا بكسرها ويعني : ربي

---

(1) موسى بن ميمون ، دلالة الحائرين(مصدر سابق)، ص 152.

(2) خر 3/13-16.

(3) المصدر السابق، ص149

(4) Isaac sinanes, petite encyclopédie religieuse juive/21et alixandr weill, mois et le talmud (Ibid), P.321.

(5) Isidor epstein , le judaisme(Ibid), P.127.

(6) سبتوني موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ترجمة يعقوب بكر(القاهرة: دار الكتاب العربي: 1957)، ص148.

(7) Traduction occumenique de la bible /138.

ج-أما باقي الأسماء في نظر ابن ميمون مثل: ديان ، صادق، رؤوف، رحيم، وإلوهيم فهي عامة و مشتقة [1].

و من الأسماء المشهورة كذلك :

أ- «يه» أو أهيه الوارد في سفر الخروج :« فقال الله لموسى أهيه الذي أهيه »[2].و الذي يدخل[في معنى أزلية الوجود][3].

ب- شداي : أي القدير[المشتق من داي الذي يعني الكفاية والشين بمعنى: الذي. فيكون المعنى الكلي: الذي يكفي، أي الذي لا يحتاج في وجود ما أوجد،وإستمراره، لسواه][4].

جـ- حسين: يعني: القوي، وهو مشتق من كلمة: حسون العبرية التي تعني الصلابة][5]

د- إيلوهيم : وينسب إلى الرواية الإيلوهية، أي المصدر الإلوهي أحد المصادر المعتمدة في نسخ التوراة [6]. و يعني: الله أو إله [7]، أو « القوة المتعالية »[8].

المتأمل في أسماء الله تعالى الواردة في التوراة بنوعيها المبين سالفا يتبين له أن ما لله من أسماء حسنى تنزه الله عما لا يليق به. تهدمها تلك الأسماء التي لا تليق بذاته تعالى، والتي أغلبها أسماء أعلام بشرية مشبهة ومجسمة، وهي نموذج من إلحاد كاتبي التوراة في أسماء الله تبارك وتعالى.

كما أن أسماء الله تعالى الشرعية و المشهورة عند اليهود المثبتة سابقا تحتمل تأويلات كثيرة ترجح عدم أصالتها وعدم سماويتها، ونبدأ بأقدس إسم وأعظمه و أشهره عند اليهود وهو:

---

(1) موسى بن ميمون، دلالة الحائرين(مصدر سابق)، ص 149-150.

(2) خر 13/3.

(3) المصدر السابق، ص160.

(4) المصدر السابق، ص 159.

(5) المصدر السابق، ص159.

(6) سهيل ديب، التوراة بين الوثنية و التوحيد (مرجع سابق)، ص 14.

(7) Isidor epistien , le judaisme (Ibid), P.127.

(8) Elexandre weill, moise et le talmud (Ibid), P.321.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-« **يهوه**»: أول ملاحظة تثير الشك في شرعية هذا الاسم هو التناقض في تحديد حقيقة هذا الاسم.ففي الوقت الذي تؤكد فيه التوراة أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب لم يعرفوا الله بهذا الاسم :« وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بأني الإله القادر على كل شيء و أما باسمي يهوه فلم أعرف عندهم »[1].

يؤكد نص آخر أن يهوه هو إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب:« يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب»[2].. ومما يؤيد هذا النص الأخير ليتبين التناقض بشكل واضح أن إبراهيم ذكره في حادثة فداء الذبيح ، إذ دعا إبراهيم المكان الذي استلم فيه كبش الفداء :

« يهوه يرأه»[3].فإما أن يكون هذا النص الأخير في سفر التكوين إسم الله فيحصل التناقض بين معرفة إبراهيم ليهوه وبين عدم معرفته بهذا الاسم فتصبح بالتالي النصوص المثبتة لهذا الاسم غير شرعية، وإما أن يكون ذكر إبراهيم « ليهوه» لا يعدو أن يكون إسما لموضع الفداء وليس اسما لله تعالى كما جاء في سفر التكوين « فدعا إبراهيم اسم ذلك المكان يهوه يرأه »[4].

وقيل: أن اسم يهوه [كان لدى العبريين في الأصل إله العاصفة والرعد والبرق والمطر][5].

و مما يؤيد هذا التفسير الإشتقاق اللغوي لهذا الاسم.

[فهو مشتق من الفعل هوى في العبرية كما في العربية بمعنى : سقط ، ثم نسب إلى الله فعل السقوط فأصبح هو المسقط للمطر و الصواعق فهو إلاهها][6] .و قيل أن يهوه من الصفات المطردة للإله بعل الكنعاني في الأساطير الكنعانية[7].أو هو إله البراكين الذي كانت إحدى الشعـــوب المجاورة لليهود تقدسه فنقله اليهود بفعل التـــأثر بمعتقداتهم[8].

---

(1) خر 3/6.

(2) خر 15/3.

(3) تك 14/22.

(4) تك 14/22.

(5) سبتونو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة(مرجع سابق)، ص 347.

(6) نمر عبد المجيد ، اليهودية(مرجع سابق)، ص 9.

(7) روبير بندكتي، التراث الإنساني في التراث الكتاب(بيروت: دار المشرق، 1990)، ص70.

(8) سيغموند فرويد ، موسى و التوحيد) ترجمة عبد المنعم الحفني(القاهرة: دار الشباب،1990)، ص76.

ومع تعدد الآراء في تفسير هذا الاسم حتى عند اليهود أنفسهم، وعدم وضوح أصل هذا الاسم في نصوص التوراة كما سبق وأن بينا تبقى أصالة هذا الاسم مشكوكا فيها.

2-إيلوهيم: هذا الاسم هو جمع لاسم إيلوها الذي يعني، إله بالعبرية ، وبناء على صيغة الجمع التي ورد وفقها هذا الاسم فإن دائرة المعارف اليهودية نفسها ترجعه إلى أصل تعدد الآلهة[1] . و يرى سهيل ديب أن هذا الاسم [أطلقه التعدديون الذين فهموا التوحيد إنما هو انصهار جميع الآلهة في إله واحد][2].

3-إيل:هو أقدم اسم للإله عند الساميين: وقد عرف عند الأكديين بـــ:«إيلو » وعند الكنعانيين : « إيل»، ويعتقد أن هذا الاسم إنحدر من أصل «يل» أو «ول» (W/) ويعني : القوي [3].

كما أن هذا الإسم في أساطير أو غاريت هو إله على رأس الآلهة الكنعانية، إذ يمثل الإله الأزلي الذي تنحدر منه جميع الآلهة [4] و أصبح هذا الاسم يستخدم كعلم على الذات الإلهية في التوراة كما في سفر التكوين :« وأقام هناك مذبحا ودعاه إيل إله إسرائيل »[5].

و يرى إسطفان شربنتية، [أن اسم إيلوهيم هو جمع إيل وهو أكبر الآلهة عند الكنعانيين، فالإسرائيليون ولا سيما سكان مملكة السامرة تأثروا كثيرا بآلهة الكنعانيين][6].

4-شداي : هذا الاسم ترجم إلى العربية في نسخ الكتاب المقدس إلى: القدير، وهو الـــمعنى الذي عرفناه عند ابن مـــيمون ســابقا- وترجم إلى الفرنســية بمــعنى (le puissant) [7]، أي القدير. وفي نسخة الكتاب المقدس بالإنجليزية المطابقة لطبعة الملك جيمس (1611م) ترجمت بمعنى : (ALMIGHTY) ، أي القدير المقابلة لـــ: الشداي العبرية

---

(1) Encyclopaedia judica , v 12(jurasalam: C-BH,N.D), p.679.

(2) سهيل ديب، التوراة بين الوثنية و التوحيد (مرجع سابق)، ص 16.

(3) Op. Cit, p.674.

(4) Op. Cit, p.675.

(5) تك 20/33.

(6) أسطفان شربنتيه ،دليل إلى قراءة الكتاب المقدس (مرجع سابق)، ص 19.

(7) Alxandre weill, moise et le Talmud (Ibid),p. 10.

(1) وهذا الاسم جاء من أصل الكلمة الأكدية « شادو » و التي تعني :« الجبل» وهذا المعنى له صلة ببعض التفسيرات العبرية لاسم الشداي بمعنى : إله الجبل [2].

5-أدوناي: هذا الاسم له اشتقاقه في العبرية و هي كلمة :« أدون»، و التي تناظرها في الإنجليزية كلمة :

« لورد »، وتعني: السيد، أو من له السلطة في البلد أو البيت أو غيرهما، والاسم بهذا اللفظ يعني: سيدي [3].و هو المعنى المستعمل في اللغات السامية ، كما أنه الاسم الذي أطلقه الكنعانيون على الإله « تموز » الذي تحول إلى «أودنيس »عند اليونانيين [4].

و من خلال هذا العرض الموجز لأصل الأسماء التوراتية يبدو أنه لا مكان للوقف في أسماء الله في التوراة ، أي ليست وحيا إلهيا، بل هي أسماء متواضع عليها. والاختلاف الشديد في تحديد هويتها دليل على ذلك .

وفي هذا الإطار تقول دائرة المعارف اليهودية :[هناك ألفاظ مختلفة تسمى بها الله في الكتاب المقدس، ومعظم هذه الألفاظ استخدمت أيضا من قبل الكنعانين لتعيين آلهتهم المتعددة، وهذا ليس من قبيل الغرابة، إذ أن الإسرائلين منذ أن وطئوا الأرض الموعودة بدأوا في استعمال اللغة الكنعانية كلغة خاصة بهم ، فاللغة العبرية بعد ذلك وبطبيعة الحال ستوظف بعض الأسماء الكنعانية لتعيين إلهها الخاص »[5].

ومما سبق تمحيصه في عقيدة الألوهية في التوراة يتبين لنا درجة الإلحاد اليهودي في هذه العقيدة ، فسبحان الله عما يقال عنه علوا كبيرا!

جمعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) The bible (revised standard version)(Ibid), p.12.
(2) Encycloyaedia judaica, v 12(Ibid), p.677.
(3) OP.cit, p.679.
(4) سهيل ديب: التوراة بين الوثنية و التوحيد(مرجع سابق)، ص 16.
(5) **Op .cit, p.674.**

الفصل الثالث

الإنسان في التوراة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

مفهومه ومكانته ووظيفته ومصيره :

قبل الشروع في استقصاء النصوص التوراتية الخاصة بالإنسان بودي الإشارة إلى أن تلك النصوص نادرة جدا إلا ما تعلق منها بالإنسان الأول في قصة الخلق الواردة في سفر التكوين، إذ تخلو التوراة من الحديث عن الإنسان كمحور واضح يثير الاهتمام ، ويغطي جميع أبعاده ،على غرار ما هو موجود في القرآن الكريم مثلا، الأمر الذي يجعل استخلاص فلسفة إنسانية توراتية تمس الجوانب المختلفة للإنسان عسيرا على الباحث. وجملة ما يتعلق بفلسفة الإنسان في التوراة لا تتعدى في عمومها الحديث عن الأحكام التشريعية المختلفة التي تحكم الشعب اليهودي جملة في إطار علاقته بربه ،وبأفراده، وبالغرباء، وهذا النوع من النصوص يصلح لصياغة فلسفة تشريعية لا لفلسفة إنسانية، ورغم هذه العقبة المعرفية إلا أني حاولت أن أستقصي فلسفة الإنسان في المصادر الملحقة للتوراة، كالتلمود مثلا مستكملا بذلك النقص الكبير الموجود في التوراة فيما يتعلق بالإنسان من حيث نشأته الأولى وطبيعته ودوره في هذا الكون ومصيره النهائي.فما مفهوم الإنسان؟ وما مكانته ووظيفته ومصيره النهائي في التوراة؟

1-مفهومه:

فالإنسان من حيث مفهومه ونشأته الأولى وطبيعة خلقته كائن حي من بين سائر الكائنات التي خلقها الله تعالى، مكون من طبيعتين مادية وروحية، أما المادية، فهي من أصل ترابي أرضي، وأما الروحية فهي نفخة إلهية في ذلك الجسم المادي الترابي التي بسببها دبت الحياة في ذلك الجسم، وهذه العملية الخلقية تمت أول الأمر في آدم، أول مخلوق إنساني ، لتعمم بعد ذلك وتستمر في نسله من بعده :« وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفسا حية »(1) ، ومن آدم أبي الإنسانية خلق الله حواء أم الإنسانية :« فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما، وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم »(2) .و انطلاقا من النص الأول يرى علماء

جمعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) تك 2/7.

(2) تك2/21-22.

التوراة أن [الإنسان مجبول على طبيعتين متناقضتين تبعا لعنصري الخلقة المادية والروحية، فإحدى الطبيعتين خيرة، تدفع الإنسان إلى الخير، وهي المسؤولة عن ميل الإنسان إلى الاستقامة كما قيل:« أنا وقلبي مجروح في داخلي »[1]والأخرى شريرة ، وهي التي تتعلق بالتكوين المادي الترابي للإنسان،فتدفع الإنسان إلى الشر ، وهي المسؤولة عن ميل الإنسان إلى العصيان كما كتب في مزامير داوود : «نأمة معصية الشرير في داخل قلبي أن ليس خوف الله أمام عينيه »[2]][3].

وجاء في التلمود أيضا: [أن الجسد هو مقر الخطيئة لأنه نجس، أمـــا الروح فهي طاهرة][4]، فالروح التي تملأ الجسد طاهرة لأن الله طاهر[5].وطبيعة الإنسان هذه المتصلة بالله جعلته يرتقي إلى مكانة سامية بين مخلوقات الله، فما هي هذه المكانة ؟

2–مكانته:

بناء على نص سفر التكوين الذي ينص على أن الإنسان خلقه الله تعالى على صورته وشبهه، رفع الله الإنسان وفضله وباركه على سائر مخلوقاته، ومكنه من كثير من مخلوقات الأرض في البر و البحر والجو تسخيرا وإكراما:« وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا، فيتسلطون على سمك البحر وعلى طيور السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض ، فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكرا وأنثى خلقهم وباركهم الله »[6].والصورة و الشبه في النص مختلف في معناه الحقيقي في التفسيرات اليهودية ،[فقيل أنها الصورة والشبه المادي استنادا إلى كل نص تجسيمي تشبيهي لله في النصوص اليهودية[*]، وقيل أن معنى الصورة و الشبه الإنساني لله هو فقط في تسلط الإنسان بإرادة من الله على الكائنات المسخرة استنادا إلى السياق الوارد في النص السابق، إذ أن التسلط الإنساني على الكائنات جاء عقب عبارة « على صورتنا كشبهنا»، فيكون المعنى

(1) مز109/22.

(2) مز36/1.

(3) A.cohen , le Talmud(Ibid), p.135.

(4) س.ليفي، كنوز التلمود ترجمة خليفة التونسي، ط2(القاهرة: مكتبة التراث، 1991)، ص46.

(5) المصدر نفسه /76.

(6) تك 1/ 26– 28.

(*)يراجع صفة المخالفة للحوادث في فصل الله في التوراة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بالتالي : أن الإنسان شبيه ومماثل لنا في تسلطه على الكائنات][1] ووفق معنى الصورة والشبه الإلهي الذي خلق عليه الإنسان أي كان هذا المعنى، يرى علماء الدين اليهودي: [أن الإنسان أعلى من جميع المخلوقات الأرضية، فكل المخلوقات المخلوقة المخلوقة من الأرض هي أجسام ونفوس من أصل أرضي، باستثناء الإنسان الذي ترجع نفسه إلى أصل سماوي .

ومما يزيد الإنسان تكريما وعلوا، الإلتزام بالتوراة، وتنفيذ إرادة أبيه الذي في السماء، فيكون حينئذ شبيها للمخلوقات العليا!

كما قيل: « أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلي كلكم »[2]لكن من لم يراع التوراة يكون قد أعرض عن إرادة أبيه السماوي، فيكون حينئذ مشابها للمخلوقات السفلى كما قيل:« مثل الناس تموتون »[3]][4] .

فهذا العالم خلق من أجل الإنسان ليجد فيه سكنه وراحته، ومن أجل حياة طيبة للإنسان في هذا العالم ، جاءت التوراة ترسم خطة الحياة الطيبة [5].

وهذا التكريم الإلهي للإنسان هو امتداد للتكريم الأول حين كان الإنسان الأول في جنة عدن قبل أن يخطئ ويطرد من الجنة ، لكن لا شك هو دون الأول بكثير، لأن الأول كما تصوره التوراة كان فيه الإنسان يحتل مكانة مرموقة عند الله من حيث نوعية التمكين ونوعية العلاقة بالله، فمن حيث التمكين كان الإنسان في جنة عدن التي هيأها الله للإنسان بنفسه وما تحويه من أنواع الثمار والكائنات المسخرة للإنسان، ومن حيث علاقة الإنسان بالله كانت علاقة محبة وقرب وطاعة قبل أن يخطئ ويطرد[6].لكن غفلة الإنسان الأول الممثل في آدم وحواء عن الالتزام بأوامر الله ونواهيه وهما في الجنة، واتباع غواية الحية أدى به إلى الخطيئة، حين عصى الله بأكله من الشجرة المنهي عنها، فأخرج من الجنة وأسكن الأرض الملعونة بسببه ، ليشقى فيها

---

(1) P.Van.I mschoot, théologie de l'Ancien testament , V.II, l'homme(paris: Edition paris, 1965), p.7-9.

(2) مز82/6.

(3) حز 82/7.

(4) A.Cohen.le Talmud(Ibid), p.114

(5) Ibid, p.153.

(6) تك2/15-21 .

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من أجل أن يعيش، حتى يأتيه الموت الذي كتب على الإنسان بسبب معصيته[1] .ورغم قساوة العقوبة الإلهية للإنسان حين طرد من الجنة إلى الأرض لا ترى التفسيرات اليهودية في ذلك أن علاقة الإنسان بربه إثر هذا الطرد قد انفصمت وقطعت نهائيا، وأن التكريم زال كما تتصور المسيحية ذلك ، وإنما ترى أن الطرد والعقوبة المذكورة في سفر التكوين بأنواعها هي نتيجة منطقية للعدالة الإلهية، وأن كل نوع من العقوبة تحمل نعمة، فالمرأة التي حكم عليها بأن تقاسي آلام الحمل والولادة [2]، يتناسب وطبيعتها في استمرار النوع البشري، وتعب الرجل وشقاؤه لا يتضمن بالضرورة كون العمل دائما هو عقاب، بل هو ضرورة حياتية وأخلاقية كما نص على ذلك التلمود: « العمل عظيم، لأنه يدفئ صاحبه ويكسب صاحبه ازدهارا، وهو عظيم أيضا لأنه يجلب لصاحبه الشرف »[3].

كما أن الموت الذي عوقب به الإنسان لم يعدم النوع الإنساني، بل استمر معه النوع عن طريق التكاثر[4]. و هذا التصور له صلة بتصور اليهود للخطيئة الأولى التي إرتكبها آدم، فهم عكس المسيحيين، لا يرون أن الخطيئة الأولى تنتقل بالوراثة من آدم وحواء إلى ذريتهما من بعدهما، ولا يرون في الإنسان الأول قبل الخطيئة الطهارة والقداسة والبراءة، بل أن تكوينه الترابي النزاع إلى الشر لا يعصمه من الوقوع في الخطأ استنادا إلى نصوص كثيرة مثل :« لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته»[5]، «من يقول أني زكيت قلبي تطهرت من خطيتي»[6]، [فالخطيئة لا محالة واردة في النوع الإنساني، وهي السبب في إخراج الإنسان من الجنة وشقائه وموته في الأرض، وخطيئة الإنسان عموما حاجبة وفاصلة لعلاقة الإنسان بربه ما لم يتب ويكفر عنها :« آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا

---

(1) تك 3/1-24 .

(2) تك3/16.

(3) س.ليقي ، كنوز التلمود (مرجع سابق)، ص54.

(4) جرهاردوش فوس، علم اللاهوت الكتابي. ترجمة عزت زكي(القاهرة: دار الثقافة، 1982)، ص76.

(5) تك 8/21،6/5.

(6) أم 20/9.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يسمـــــع»[1]][2] ولكن رغم ذلك فإن الخطيئة الأولى غير مورثة ، لأن ذلك لا يستقيم وحرية الاختيار، ووقوع المسؤولية على الإنسان، اللتان نصت عليهما التوراة. فالخطيئة ما هي إلا عصيان وتمرد على الله، وليست استجابة وراثية للخطيئة الأولى، كما قال يوسف:-عليه السلام- «فكيف أصنع هذا الشر –الاستجابة لمراودة امرأة العزيز- العظيم وأخطئ إلى الله»[3]. على اعتبار أن صنع الشر هو اختيار لا استجابة لخطأ وراثي[4]. وفي نصوص أنبياء بني إسرائيل ما ينفي فكرة الخطيئة الموروثة كما في حزقيال: « النفس التي تخطئ فهي تموت، والابن لا يحمل إثم الأب ، والأب لا يحمل إثم الابن »[5]و معنى الشطر الثاني من هذا النص يلتقي مع قوله تعالى في القرآن الكريم ﴿ أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ [6] ثم أن هناك نصوص كثيرة تؤكد مغفرة الله لذنوب الإنسان، وهذا دليل على عدم وراثة الإنسان للخطيئة الأولى :« فرجع موسى إلى الرب وقال آه قد أخطأ هذا الشعب خطيئة عظيمة وصنعوا لأنفسهم آلهة من ذهب. والآن إن غفرت لهم خطيئتهم وإلا فامحني من كتابك الذي كتبت ...»[7]،«لأن عندك المغفرة»[8]« أما هو فرؤوف يغفر الإثم ولا يهلك وكثيرا مارد غضبه ولم يشعل كل سخطه »[9]. وإذا كانت الخطيئة الأولى رغم نتائجها السلبية على الإنسان لا تنتقل بالوراثة ، وان مغفرة الله لأخطاء الإنسان المتنوعة واردة في الاعتقاد التوراتي، فإن علاقة الإنسان بخالقه لم تنفصل ، الأمر الذي يجعله مؤهلا لأن يؤدي رسالة ووظيفة في هذا العالم، فما هي وظيفته؟

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) أش 2/59.

(2) P.van.Imschoot , théologie de l'Ancien testament, V.II, l'homme (Ibid), p.293. Et , A.cohen , le Talmud (Ibid), p.144.

(3) تك 9/39 .

(4) Le talmud (Ibid), p.145.

(5) حز 20/18.

(6) النجم /35-37.

(7) خر 32/31-32.

(8) مز 3/130.

(9) مز 38/78..

3-وظيفته :

إن الوظيفة الرئيسة للإنسان حسب ما نص عليها سفر التكوين في قصة خلق الكون والإنسان هي عمارة الأرض واستغلالها، عن طريق التزاوج والتكاثر، وبذل الجهد لتطويع ما خلق الله فيها من تربة قابلة للغرس والزرع والإثمار، وما فيها من كائنات متنوعة هي مصدر الرزق والعيش: « فخلق الله الإنسان(...) وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض. وقال الله إني أعطيتكم كل بقل يبزر بزا على وجه كل الأرض وكل شجر فيه ثمر، شجر يبزر بزرا لكم يكون طعاما »[1]، ثم يلخص هذا التفصيل في نص آخر حين طرد الإنسان من الجنة: « فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها »[2] وباستثناء هذه النصوص تخلو توراة موسى من الوظيفة أو الوظائف الأخرى المحتملة غير عمارة الأرض، التي يمكن للإنسان أن يؤديها كتكليف إلهي بعد أن خلقه واستعمره في هذا الكون، لكن يجد الباحث في النصوص اليهودية غير توراة موسى ما يشير إلى أن الإنسان مكلف بوظيفة أخرى سامية إلى جانب عمارة الأرض، وهي عبادة الله وتقواه، والعمل بشرائعه ووصاياه :«... إتق الله واحفظ وصاياه لأن هذا هو الإنسان كله »[3] . وبناء على مثل هذه النصوص يرى علماء اليهود [أن غاية الخلق هي تهيئة الفرصة للإنسان ليمجد خالق الكون، لأنه في بداية خلق الله للعالم، صعد الثناء إلى المقدس الواحد سبحانه من وسط المياه كما قيل:« من أصوات مياه كثيرة، من غمار أمواج البحر، الرب في العلى أقدر »[4]. المقدس الواحد أعلن : إذا كانت هذه المياه التي لا تملك أفواها ولا لغة تثني علي فكم بالحري حين أخلق الإنسان. وعلى ضوء هذا المعنى يجب فهم وتوجيه الحياة ، وكما هو موضح في نص آخر:

« ليس الأموات يسبحون الرب (...) أما نحن فنبارك الرب من الآن وإلى الدهر. هللويا»[5]، و عليه فإن على الإنسان اليهودي أن يشتغل دائما بالتوراة والوصايا قبل موته،

---

(1) تك 1/27-29

(2) تك3/23.

(3) جا 12/13.

(4) مز 93/4.

(5) مز 115/17-18.

لأنه حين يموت، ينقطع عمله بهما، فينقطع ثناؤه على الله][1] .ولا شك أن هذه الوظيفة السامية التي نصت عليها الشريعة اليهودية، المتمثلة في عبادة الله و تقديسه تهدف إلى غاية أخيرة في التصور العقدي اليهودي، غاية ترتبط بالمصير النهائي للإنسان، فما حقيقة هذا المصير؟

4–مصيره:

حسب نص سفر التكوين فإن الموت هو النهاية الأخيرة لحياة الإنسان الحافلة بالتعب و الشقاء من اجل العيش:« بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك (...) حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها لأنك تراب وإلى تراب تعود»[2]وفي نصوص يهودية أخرى في غير التوراة نقرأ :« لأنه لا بد أن نموت ونكون كالماء المهراق على الأرض الذي لا يجمع أيضا»[3].وعن تحديد اجله الموعود الذي لا يقدم ولا يؤخر نقرأ :« الإنسان مولود المرأة قليل الأيام وشبعان تعبا (...) إن كانت أيامه محدودة و عدد أشهره عندك وقد عينت اجله فلا يتجاوزه فأقصر عنه ليستريح ...»[4] .و طبيعة موت الإنسان هي خروج النفس من الجسد كما جاء في سفر التكوين: « ... وكان عند خروج نفسها لأنها ماتت ...»[5] .وموت الإنسان استنادا إلى التوراة يعد كنتيجة للخطأ، فرغم أن الإنسان في الإعتقاد اليهودي لا يرث خطيئة أبويه الأولى إلا أن الموت الإنساني هو نتيجة للحكم الإلهي الأول على آدم حين أخرجه من الجنة مطرودا إلى الأرض [6]،وهذا ما يراه علماء التلمود: إذ لا موت خارج الخطأ، ودليل ذلك {أن الملائكة تساءلت مرة أمام الله عن سر إحلال الموت بآدم كعقوبة،فكان جواب الله: أن سر ذلك يرجع إلى مخالفته لقانون الله، ولو أن آدم لم يعص الله ويـأكل من الشجرة المحضورة لكان من الخالدين[7]. و أجل الإنسان أي موعد موته لا يعرفه ولا يحدده إلا الله[8]. أما عن مصير الإنسان بعد الموت، وانتقاله من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة ليحاسب على أعماله ويجازى خيرا

---

(1) A. Cohen, le talmud (Ibid), p.114.

(2) تك3/17- 19.

(3) 2صم 14/14.

(4) أي 14/1-6.

(5) تك35/18.

(6) تك3/17-19.

(7) A.Cohlen , le Talmud (Ibid) p.119.

(8) Ibid, p.121.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أو شرا ، فلم أجد له في توراة موسى ذكرا ما عدا نصين يحتمل أنهما يشيران إلى يوم القيامة والجزاء الإلهي وهما : « لو عقلوا لفطنوا لهذه وتأملوا آخرتهم »[1]،« لي النقمة و الجزاء في وقت تزل أقدامهم » [2]، ومذهب التلمود في المصير النهائي للإنسان يؤكد هذا الاحتمال، فهو يقسم البشر إلى فريقين أمام الجزاء الإلهي العادل: فريق الأخيار الذين سينالون أجرهم وفق استحقاقاتهم، وفريق الأشرار الذين سينالون عقابهم وفق استحقاقاتهم أيضا ووفق مبدأ العدالة الإلهية في الحكم و الجزاء النهائيين المؤسسين على شعار :« الجزاء من جنس العمل». وواقع القصاص النهائي يكون كالآتي : ينزل الفريقان إلى الهاوية الكبرى (Grande Abîme) فيعاقب الخيرون على ما اقترفوا من صغائر الأفعال القليلة في حياتهم الدنيا ليضمنوا بذلك حياة مستقرة وجزاء حسنا في العالم الآخر. بينما الشر يرون، بعد أن ضمن لهم الله حياة الاستقرار في هذه الدنيا ، وعجل لهم ثوابهم فيها على أفعالهم الخيرة القليلة، فإنهم سينالون عقابهم في العالم الآخر جزاء ما اقترفوا من شرور[3].

أما عن طبيعة وأنواع السعادة والشقاوة اللتان سينالهما كل من البار والعاصي، فهي أيضا غير واردة في توراة موسى، لكن التلمود يشير إلى طبيعة الحياة الأخروية، فعلى سبيل المثال لا الحصر يرى أن الأبرار المنعمين لا مطعم لهم في العالم الآخر، ولا مشرب، ولا عشق ولا عمل، ولا حسد، ولا حقد ولا شحناء، أهل الحق سيجلسون وعلى رؤوسهم التيجان وهم يمجدون في بهاء جلال الله[4] ، أما الأشرار فهم في أعماق الهاوية في جهنم، حيث الظلمات العتمة، والغبار، و الفوضى والآلام، هناك لا يستطيع أحد الهروب، ولا أن يحصل على مساعدة من أحد [5]

---

(1) تث 28/32.

(2) تث 35/32.

(3) Ibid, p.160-161.

(4) س. ليفي، كنوز التلمود(مرجع سابق).33.

(5) P.van.Imschoot , théologie de l'Ancien testament, V.II, l'homme (Ibid), p.50.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني

تمحيص ومناقشة :

سأناقش في هذا المبحث الأفكار الواردة في المبحث الأول حسب ترتيبها السابق ابتداء من مفهوم الإنسان إلى غاية مصيره، فمن جهة ما يتعلق بمفهوم الإنسان يمكن التساؤل عما إذا كانت نزعة الشر فيه نزعة قطعية مطلقة مردها الجسم المادي فقط كما أكده سابقاً الفكر التوراتي، أم أنها نزعة نسبية تتحكم فيها أسباب شتى؟

1-الطبيعة الإنسانية ونزعة الشر :

كون الإنسان مركبا من طبيعتين مادية وروحية لا يعني بالضرورة أن الطبيعتين متضادتين متنازعتين، تمثل الروح الجانب الخير في الإنسان والبدن يمثل فيه الجانب الشرير المنازع للروح، والحقيقة أنهما متكاملان، و متقاسمان طبيعة عمل صاحبهما، لأن الروح والبدن معا خلقهما الله بحكمة وعلم بشكل. يتناسب ورسالة الإنسان في الكون، وسلب الصلاح والخير عن واحد منها طعن في العلم والحكمة الإلهية، وأن نزعة الشر الطاغية في الإنسان ليس شرطا أن يكون مردها فقط إلى جانبه المادي الجسمي، وإنما مردها إلى أسباب أخرى، كإرادته في اختيار الشر وسلك طريقه بدل اختيار الخير وسلك طريق الله ، وتزيين الشيطان (*) الشر وطرقه للإنسان مثلما فعل بأبوي الإنسانية الأولين، وهو ما أكدته التوراة نفسها في قصة خطيئة آدم في الجنة[1]و أن مسألة الشر أو الخير التي تلحق الإنسان راجعة حسب التوراة إلى معرفة الإنسان لهما، وإلى قدرته في تفضيل أحدهما عن الآخر :« وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار (...) عارفا الخير والشر »[2]. ثم أن نجاسة الجسد في التصور التلمودي لا مبرر لها في الميزان النصي التوراتي نفسه إلا إذا كان صاحبه نجسا في أفعاله، فالأصل في الجسد كخلق إلهي الطهارة والجمال، لأن كل ما خلق الله بديع وجميل:« ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جدا »[3].

(*) في النص التوراتي الذي يروي قصة الخطيئة، الحية هي رمز الشر وسبب خطيئة آدم وحواء .

(1) تك3/4-19

(2) تك3/22.

(3) تك1/26-31.

2-مكانة الإنسان وعلاقتها بالله :

مكانة الإنسان اليهودي المرموقة لا تكتمل في التصور التوراتي إلا في إطار الإعتقاد بأبوة الله تعالى كما سبق وأن عرفنا، لكن نوع هذه العلاقة للإنسان بخالقه لا تستقيم وشريعة العبودية الإنسانية لله من جهة، ولا تستقيم ووحدانية الله تعالى وقد استه من جهة أخرى ، اللتين أكدت عليهما النصوص التوراتية، فقد نسب الله العبودية إلى أشرف إنسان وسط اليهود وهو نبيه ورسوله موسى عليه السلام، فقال: « وأما عبدي موسى »[1] ، ولم يقل له ابني موسى، حتى ولو كانت هذه البنوة على سبيل المجاز، فكيف يقبل الله سبحانه نسبة الأبوة له من اتباع موسى؟! وقال الله سبحانه مخاطبا اليهود، على لسان موسى مؤكدا وحدانيته في الذات و الاسم والصفة :« اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد ، فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ...»[2].

فأكد سبحانه على ربوبيته وإلهيته ولم ينص على أبوته، وخوطب الإسرائيليون بكنيتهم الحقيقية ولم يخاطبوا بالبنوة، وأمثال هذه النصوص كثيرة في التوراة.وأصل فكرة بنوة اليهود لله مأخوذة من الشعوب التي عاش اليهود في وسطهم أو في جوراهم، خاصة المصريين القدامى، والبابليين، حيث أن الملك عند هاتين الأمتين يتوج من الكاهن، وأثناء التتويج يباركه باسم الإله القومي فينسب إليه أبوة الله قائلا:« أنت ابني وأنا والدك ولتبرير هذا الاعتقاد، نسبه اليهود إلى الله وإلى أنبيائه إفتراءا »، فعلى غرار الطريقة التي ينصب بها الملك في تلك الشعوب، لم ير الله حرجا أن يفعل اليهود مثلهم، فأوحى الله إلى ناتان النبي أنه أذن لبني إسرائيل قبول عبارة الأبوة المنسوبة لله في تتويج أي ملك يأتي بعد داوود ليتسمى باسم:« ابن الله »[3]

3- الأرض الملعونة وعلاقاها بمكانة الإنسان المكرم:

فكرة الأرض الملعونة التي وردت في قصة الطرد الإلهي لآدم وزوجه[4]لا تتناسب والتكريم الإلهي للإنسان في هذه الأرض المسخرة له بنص التوراة، حيث بارك الله نوحا وبنيه وذلل لهم الأرض وما فيها من خيرات وكائنات، وحثهم على تكثير النسل وعمارة الأرض،

---

(1) عد7/12.

(2) تث4/6-5 .

(3) اسطفان شربنتييه، دليل إلى قراءة الكتاب المقدس(مرجع سابق)، ص34.

(4) تك 16/3-19.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وكان ذلك بمثابة عهد وميثاق بين الإنسان وخالقه [1]. وجاء في مزامير النبي داوود :«أما الأرض فأعطاها لبني آدم »[2]. وخطيئة آدم وحواء التي بسببها لعنت الأرض، لها صلة بالكائن الذي أفلح في غوايتهما ومعصيتهما لله، هذا الكائن الذي يرمز إلى الشر ، الممثل في الحية له صلة وثيقة بأساطير الشرق الأدنى القديم، فالحية في ملحمة كلكامش [*] ، هي خاطفة شجرة الحياة، وكانت الحية رمز قوة الشر عند سكان بلاد ما بين النهرين-دجلة والفرات- وكانت رمز آلهة الكنعانيين الذين استولى اليهود على أرضهم بعد جوار طويل معهم أثناء الحرب والسلم، فلا عجب أن يستخدمها مؤلف سفر التكوين لتجسيد قوة شريرة محتالة معادية للإنسان، تسعى إلى إفساد العلاقة بينه وبين الله [3] ، وتأصيل التوراة لفكرة الشر بإيعازها إلى كائن ما، سواء كان الحية أو غيرها بالأسلوب الوارد في سفر التكوين يؤول إلى ثغرة عقدية خطيرة، هي الاعتقاد في ذلك الكائن أنه يملك بعض صفات الألوهية، كصفة القدرة على إحداث اختلال في نظام الكون دون أن يقدر الإله الحقيقي على منعه، خاصة وأن الشر كثير في هذا العالم، فيحصل الاعتقاد في الأخير بوجود منافس لله تعالى يضاهيه في كل صفاته، أو في بعضها. وهذا التصور لا نجده مثلا في القرآن الذي يثبت أولا أن طرف الإغواء في زلة آدم هو الشيطان وليس الحية، وثانيا أن هذا الكائن الشرير الذي أراد أن يفسد العلاقة بين الإنسان وربه بدافع الغيرة والحسد، مخلوق ضعيف من مخلوقات الله، لله كامل السيطرة عليه، بدليل أنه حينما عصاه في عدم الإمتثال إلى أمره بالسجود لآدم قضى الله في شأنه أمرا عادلا مستحقا في الدنيا والآخرة، فطرده من الجنة ذليلا وتوعده بمصير شقي لا يستطيع التخلص منه [4]. والموت الذي تعده التوراة عقابا على الخطيئة لا يستقيم ومنطق الكون بما فيه، إذ كل الكائنات الحية في موت مستمر، فهل أخطأت هي الأخرى فعاقبها الله بالموت؟! إن الموت سنة من سنن

---

(1) تك9/1-17.

(2) مز115/16.

(*) هي أقدم ملحمة في التاريخ، كتبت على ألواح طينية في أوائل (2000 ق.م) بالخط المسماري تحت رعاية الملك آشور بانيبال الذي حكم الإمبراطورية الآشورية في العراق. وصاحب الملحمة -كلكامش -كان ملكا عظيما وشجاعا، نسجت حوله قصص أسطورية في القوة والشجاعة، سجلت في هذه الملحمة .

(3) طه باقر ،ملحمة كلكامش (الجزائر: موفم للنشر،1990)، ص102.

(4) الزمر/70-83.

الله الكونية المبثوثة في هذا العالم، مثله مثل سنة الميلاد، والصحة والمرض، والشيخوخة..... لا يخلو من حكم كثيرة وإن غابت عنا، ومنها على سبيل المثال لا الحصر أن البشر لو لم يكتب عليهم الله سنة الموت كم سيكون عددهم من يوم أن استعمر الله الإنسان الأول في الأرض إلى ما شاء الله أن يستمر هذا الإنسان ؟!إن الأرض ستضيق بنا إلى درجة استحالة الحياة فيها وحينئذ سيضطر الإنسان إلى تسليط الموت على أخيه الإنسان، أو يسلطه على نفسه. إن ما قرره وسنه الله في عالم الأنفس والآفاق لا يخلو من علم وحكمة وتقدير...لكن هذا كثيرا ما غاب عن فهم وإدراك كتبة التوراة وقارئيها من اليهود رغم عظمة رسالة موسى ومن بعده من الأنبياء :« التجارب العظيمة التي أبصرتها عيناك وتلك الآيات والعجائب العظيمة ،ولكن لم يعطكم الرب قلبا لتفهموا وأعينا لتبصروا وآذانا لتسمعوا إلى هذا اليوم .....»[1]، «إنهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم »[2]. و قد جاء في مزامير النبي داوود عليه السلام ما يدل على أن أفعال الله كلها مؤسسة على الحكمة والتقدير: « ما أعظم أعمالك يا رب ،كلها بحكمة صنعت »[3]،« لأن كلمة الرب مستقيمة وكل صنعه بالأمانة »[4].

4-غموض عقيدة الجزاء الأخروي:

رغم الإشارات النصية القليلة الواردة في النصوص اليهودية عن اليوم الآخر، والغموض الذي يكتنفها فإنها بناء على شروحات التلمود وتأصيلاته يمكن التسليم بأن الإنسان في الفقه العقدي اليهودي سيلقى مصيرا أخيرا بعد الموت يجازى فيه خيرا أو شرا بناء على طبيعة عمله في الدنيا، لكن طبيعة الحياة الأخروية تلك غامضة من جهة، ومتناقضة في بعض جوانبها من جهة أخرى. فمن حيث كونها غامضة ليس فيها تفصيل عن طبيعة حياة الأبرار السعداء، وحياة الفجار الأشقياء، وما فيهما من أنواع النعيم والعذاب الذي سيلقاه كل فريق من أهل الجنة والنار مثلما هو مفصل وواضح في القرآن الكريم مثلا . ومن حيث كون عقيدة الجزاء الأخروي متناقضة في العقيدة التوراتية التلمودية، نجد أن التوراة تصرح مثلا أن الجنة التي سبق الله وأن أعدها لآدم وأبنائه مغروسة بأنواع من الثمار والأشجار، وفيها من الأنهار، وأنواع

(1) تث 29/3-4.

(2) تث 32/28.

(3) مز 104/24.

(4) مز 33/4.

الفصل الرابع

علاقة الإنسان بالله في التوراة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

علاقة الإنسان بالله تعالى في التصور التوراتي قائم على مفهوم وتصور الله والإنسان وفق التبيان السابق، أما الإنسان فهو الإسرائيلي بصفة خاصة، وأما الله فهو يهوه رب إسرائيل، أما عن علاقة الإنسان اليهودي وطبيعتها بربه يهوه فتتمثل في عدة التزامات يجب على اليهودي أن يفي بها ويجسدها طوال حياته برهانا على انتمائه إلى يهوه لا إلى آلهة أخرى خاصة بالشعوب الأخرى التي لا تنتمي إلى اليهود ولا إلى إلهها. هذه الالتزامات التي على الإنسان اليهودي أن يتشبث بها لتبقى علاقته بربه موثوقة هي في مجملها منحصرة في : خلوص وخصخصة اليهودي نفسه فردا وشعبا لإلهه يهوه دون سائر الآلهة، وضرورة معرفته، ومحبته، وضرورة الالتزام بوحيه اعتقادا وسلوكا. وتقوى هذه العلاقة وتضعف حسب درجة الوفاء بتلك الالتزامات .

والمعيار الذي يحدد ويقيم مدى الوفاء أو عدم الوفاء، الذي يترتب عن كل واحد منهما الجزاء الإلهي، أي جزاء يهوه لليهود بالثواب أو العقاب، بالرفعة والعزة أو الضعة والذلة أمام الشعوب الأخرى، هو مبدأ العدالة الإلهية، أو يهوه العادل، الذي يعز أو يذل، يعفو أو ينتقم، ينصر أو يهزم شعبه اليهودي وفقا لعدله الذي يعد هو الآخر مظهرا من مظاهر العلاقة بين الإنسان اليهودي وربه يهوه، وهذه الالتزامات التي تعد أجلى مظاهر علاقة الإنسان بربه في الفكر التوراتي هي التي ستكون محور الاستقصاء والتمحيص في هذا الفصل ،وأولها طبيعة العلاقة التي تربط بين الإنسان والله تعالى، إذ كيف تصور التوراة هذه العلاقة، فهل تصورها في إطار إنساني كوني شامل تشمل جميع الناس على أساس كون البشر كلهم عبادا لله وهو ربهم، أم تصورها في نطاق محلي قومي ضيق يخص اليهود فقط دون سواهم؟

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

الله هو رب اليهود، وهم خاصته :

من العقائد الرائجة بقوة في التوراة بصفة خاصة وكتب الأنبياء بصفة عامة، عقيدة خصوصية الإله لشعب إسرائيل دون غيرهم، وخصوصية شعب إسرائيل لله، ولكثرة النصوص التي تؤصل هذه الفكرة، تبدو عقيدة الألوهية في التوراة عقيدة محتكرة لخاصة من البشر دون سائرهم، لليهود وحدهم فقط. وتتجلى هذه الخصوصية في مظاهر شتى، يظهر فيها الله تارة كطرف فاعل، ويظهر فيها الإنسان اليهودي تارة أخرى كطرف فاعل .

فمن حيث كون الله فاعلا ومؤسسا لهذه الخصوصية يتجلى في إطار العلاقة الحبية الأبوية الرحيمة العطوفة للشعب الإسرائيلي الناتجة عن الرغبة الشديدة في اختيار واقتناء شعب يكون خاصا بالله سبحانه ! وهذا الشعب الجدير بأبوة الله وتقديسه ورحمته وعطفه ونعمته هو الشعب الإسرائيلي فقط دون غيره ! والنصوص الآتية تجلي هذا المعنى :« أنتم أولاد للرب إلهكم (...) لأنك شعب مقدس للرب إلهك وقد اختارك الرب لكي تكون له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض»[1].

« أليس هو أباك ومقتنيك، هو عملك وأنشأك (....) إن قسم الرب هو شعبه (...) وجده في أرض قفر وفي خلاء مستوحش خرب. أحاط به ولاحظه وصانه كحدقة عينه (...)كما يحرك النسر عشه وعلى فراخه يرف ويبسط جناحه ويأخذها و يحملها على مناكبه هكذا الرب وحده اقتاده و ليس معه إله أجنبي ....»[2].« وقال الرب لموسى (...) فتقول لفرعون هكذا يقول الرب إسرائيل ابني البكر .فقلت لك أطلق ابني ليعبدني فأبيت أن تطلقه....»[3] ،« أعلم أن الرب هو الله ، هو صنعنا، وله نحن شعبه وغنم مرعاه »[4] .

ومن حيث كون هذه الخصوصية مفعولة ومختارة من إسرائيل أيضا، تتمثل في إرادة الإسرائيليين في الاستئثار بالله على حساب الشعوب الأخرى ، وترك تلك الشعوب في الضلال تعبد آلهة أخرى :«فقال يشوع

---

(1) تث 1/14-2.

(2) تث 6/32-12.

(3) خر4/21-23.

(4) مز 3/100.

حمود الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

للشعب أنتم شهود على أنفسكم أنكم قد اخترتم لأنفسكم الرب لتعبدوه . فقالوا نحن شهود. فالآن انزعوا الآلهة الغريبة التي في وسطكم وأميلوا قلوبكم إلى الرب إله إسرائيل ...»[1]. وهي مفعولة أيضا من جهة كون إسرائيل تعمل على تهيئة كل متطلبات هذه الخصوصية من بناء المحرقات الخاصة بقرا بين الله، وتهيئة خيمة لاجتماع الرب مع موسى و بني إسرائيل، وتخصيص مسكن لله في وسط بني إسرائيل:«رائحة سرور وقود للرب، محرقة دائمة في أجيالكم خيمة الاجتماع أمام الرب حيث اجتمع بكم لأكلمك هناك، وأجتمع هناك ببني إسرائيل فيقدس بمجدي وأقدس خيمة الاجتماع والمذبح (...) وأسكن في وسط بني إسرائيل وأكون لهم إلها»[2]وهذه الخصوصية الإصطفائية قائمة بدورها في الفكر العقدي اليهودي على ميثاق تاريخي بين الله وبين بني إسرائيل ، ترجع بدايته إلى إبراهيم الخليل، الذي يعده اليهود أباهم الروحي الأول ثم أبناؤه من بعده، إسحاق ويعقوب، حيث وعد الله إبراهيم بتكثير نسله[3]، وأعطاه كل الأرض التي تمتد من النيل إلى الفرات:« في ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقا قائلا لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات »[4]وهذا العهد مستمر بعد ابراهيم مع نسله إلى الأبد: « وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبديا لأكون إلها لك ولنسلك من بعدك وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكا أبديا وأكون إلههم (...) وأما أنت فتحفظ عهدي أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم »[5] ولكن هذا العهد مستثنى منه إسماعيل بن إبراهيم وابن هاجر، فهو خاص فقط بأبناء إبراهيم من سارة :« ولكن عهدي أقيمه مع إسحاق الذي تلده لك سارة"[6]، و تجدد هذا العهد بعد إبراهيم مع إسحاق [7]ثم تجدد هذا العهد مع يعقوب[8]. وهذا العهد التاريخي الذي سجلته التوراة، وأقامت عليه قومية الإله وقومية الشعب يعده علماء التوراة أبرز علاقة بين الإنسان والله، لأنه ميثاق غير قابل للنقض بناء على أبديته المذكورة في نص هذا العهد [9]. هذه الخصوصية القائمة بين الرب وشعبه، المؤسسة بدورها على العهد التاريخي بين آباء هذا الشعب وربهم تتطلب اقترابا أكثر من هذا الرب بالمحبة والمعرفة

(1) يش 24/22-23.

(2) خر 29/41-45.

(3) تك 12/2.

(4) تك 15/18.

(5) تك 17/7-9.

(6) تك 17/ 21.

(7) تك 26/ 1-6.

(8) تك28/1-4 ، 13-5..

(9) R.Le Deaut (et Ale), le judaisme .VII (paris :E, Beauchesme, 1975), P.105

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والولاء كدليل على الرغبة في توثيق العهد والثبات عليه:« اسمع يا إسرائيل إن الرب إلهنا رب واحد فتحب الرب إلهك من كل قلبك وكل نفسك ومن كل قوتك(...) فاحترز لئلا تنسى الرب الذي أخرجك (...) من بيت العبودية»[1]، لذلك كانت معرفة الإسرائيلي لربه من ألزم الواجبات وأجلى مظاهر علاقة الإنسان بربه،ولاستقصاء هذه العلاقة يمكن طرح السؤال الآتي: هل هناك طريق يسلكه المؤمن للوصول إلى معرفة الله واليقين به في التوراة؟

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) تث6/4-12 .

المبحث الثاني

طريق معرفة الله:

معرفة الله في الدين اليهودي ليست ثمرة التفكير العقلي ولكن ثمرة الوحي الذي أنزل على الأنبياء المتعاقبين[1]،كما أن معرفة الله تستمد من مظاهر قدرته على الخلق والإيجاد في عالمي الأنفس والآفاق، وتستمد من نعمه المختلفة المسخرة للإنسان، ومن المعجزات التي أظهرها لليهود.

1-معرفته عن طريق الخلق والإبداع :

فبالنسبة لمظاهر القدرة على الخلق والإبداع نجد سفر التكوين يسرد عمليات الخلق المختلفة من سماوات وأرض وأنوار وظلمات وكواكب وبشر ودواب و مياه وغيرها كدليل واضح على وجود خالق قادر مهيمن على هذا الكون [2] .

كما أن تأمل آيات الله في الكون وما فيها من مظاهر الإبداع هو طريق إلى معرفة الله واليقين به :« السماوات تحدث بمجد الله، والفلك يخبر بعمل يديه، يوم إلى يوم يذيع كلاما، وليل إلى ليل يبدي علما »[3] وقد جاء في تفسير هذا النص أن: الإنسان محاط بظواهر خلق الله الرائعة الباهرة التي تستدعي التدبر، وفي مقدمة هذه الظواهر السماوات، التي تعلن بصورة واضحة عن وجود الله وقدرته وعنايته، فما أحمق القول بأن الكون وجد بمحض المصادفة، فتركيبه المعقد، وتناسقه دليل على وجود الخالق القدير[4]. فاليهودية لا ترى للمصادفة وجودا فكل شيء يرجع إلى عمل الله [5].ودعوة التأمل هذه في آيات الله للوصول إلى معرفته لفت إليها الانتباه رسولا الله موسى وهارون في أول لقاء لهما بفرعون حين سألهما عن ربهما قائلا:«من يكون إلهكم حتى أستطيع أن أصغي إليه بأذني»؟ فأجابا:« الكون يعج بقدرة وإرادة إلهنا، وجد قبل أن يخلق العالم، وسيبقى بعد فناء العالم، هو الذي صورك ونفخ فيك الروح .

---

(1) Van Imschoot, Théologie de l'ancient testament , VI, Dieu (Ibid), p.6 .

(2) تك1/1-30 .

(3) مز19/1-2.

(4) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس (مصدر سابق)، ص1153.

(5) Isidor Epsteine , le judaisme (ibid), P.127.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

هو الذي مد السماوات ووضع أسسا للأرض(...) شكل الجبال والتلال وكساهم عشبا، وأنزل المطر و الطل، أنبت النبات . صور الجنين في بطن أمه، وأخرجه حيا»[1]

2-معرفته عن طريق المعجزات:

المعجزة في مفهوم اليهودية، هي الحدث العظيم الخارق للسنن الطبيعية المعتادة، يتم بتدخل إلهي مباشر، كدليل على نفاذ إرادته ، وإظهار قدرته، وقد أظهر الله معجزاته في الطبيعة عموما، و في تاريخ اليهود خصوصا حيث أيد بها أنبياء بني إسرائيل لتأكيد صدقهم فيما يبلغون عن الله[2]، وقد جاءت نصوص كثيرة في التوراة تصف مثل هذه المعجزات من جهة ، وتبين نوعها من جهة أخرى .

فمن حيث وصف المعجزة نقرأ:«يا سيد الرب أنت قد ابتدأت تري عبادك عظمتك ويدك الشديدة. فإنه أي إله في السماء وعلى الأرض يعمل كأعمالك وكجبروتك»[3]. «ولكني أقسي قلب فرعون وأكثر آياتي وعجائبي في أرض مصر»[4].« حالما ترجع إلى مصر تذكر أن تجري أمام فرعون جميع العجائب التي منحتك القوة على إجرائها »[5]، و من حيث تعيين نوعها: «واعلموا اليوم أني لست أريد بنيكم الذين لم يعرفوا ولا رأوا تأديب الرب إلهكم عظمته ويده الشديدة (...) وآياته وصنائعه التي عملها في مصر بفرعون ملك مصر وبكل أرضه، والتي عملها بجيش مصر، بخيلهم و مراكبهم حيث أطاف مياه بحر سوف على وجوههم حين سعوا وراءكم فأبادهم الرب إلى هذا اليوم، والتي عملها لكم في البرية»[6].

وهناك معجزات أخرى مذكورة في التوراة أجراها الله على يد موسى عليه السلام إنذارا لفرعون كانت في مجموعها ابتلاءات يبتلي بها الله فرعون، كآية الدم و الضفادع والبعوض والذباب، وإهلاك المواشي، والدمامل المتقيحة، وسقوط البرد والجراد [7].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) A. Cohen, le talmud(Ibid), P.43.
(2) Théologie de l'incient testament ,VI .Dieu (Ibid), P.113-114.

(3) تث /24/3.
(4) خر 3/7.
(5) خر 21/4.
(6) تث2/11-5.
(7) خر/7، 8، 9، 10، 11.

لقد كانت هذه الآيات وغيرها في بني إسرائيل أسبابا قوية لمعرفة الله أكثر، إلى جانب كونها تأييدا إلهيا لصدق رسالة موسى، وإنذارا واضحا لفرعون وملائه من عاقبة تكذيبه بالله وبرسوله[1].

3-معرفة الله عن طريق الدعاء و الإجابة كمظهر من مظاهر العبادة :

لا يوجد في توراة موسى ما يشير بوضوح إلى وجود علاقة عبادية مباشرة بين المؤمن اليهودي وربه بحيث يلهج اليهودي بالدعاء إلى ربه ، فيجيب دعاءه، وإنما كانت طلبات اليهودي تتم عن طريق الرسول موسى عليه السلام، خاصة في أوقات الشدائد، وهذا ما تؤكده كثير من النصوص مثل النصوص الآتية:« فاشتعلت فيهم نار الرب وأحرقت في طرف المحلة، فصرخ الشعب إلى موسى فصلى موسى إلى الرب فخمدت النار »[2] . وفي مناسبة أخرى حين كره اليهود من أكل المن واشتاقوا إلى أكل اللحم لم يتوجهوا إلى الله بالدعاء، وإنما احتجوا على موسى بطريقة خاصة: « فلما سمع موسى الشعب يبكون بعشائرهم كل واحد في باب خيمته وحمي غضب الرب جدا ساء ذلك في عيني موسى فقال موسى للرب لماذا أسأت إلى عبدك ولماذا لم أجد نعمة في عينيك حتى أنك وضعت ثقل جميع هذا الشعب علي(...) من أين لي لحم حتى أعطي جميع هذا الشعب لأنهم يبكون علي قائلين أعطنا لحما لنأكل»[3]وحتى في كتب الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى لا نجد هذا الطريق كمعلم واضح يلجأ إليه المؤمن اليهودي ليتعرف من خلاله إلى الله ماعدا عند الأنبياء الذين تلهج ألسنتهم بالدعاء إلى الله وتهتز أنفسهم بمناجاته والتضرع إليه، كما هو واضح في أدعية النبي داوود عليه السلام وهو يتضرع إلى الله خاصة في أوقات الشدائد و الكروب:« انتظارا انتظرت الرب فمال إلي وسمع صراخي، وأصعدني من جب الهلاك، من طين الحمأة (...) ثبت خطواتي (...) طوبى للرجل الذي جعل الرب متكله ولم يلتفت إلى الغطاريس والمنحرفين إلى الكذب»[4]. « اللهم باسمك خلصني وبقوتك أحكم لي، اسمع يا الله صلاتي، أصغ إلى كلام فمي لأن غرباء قد قاموا علي

[1] التفسير التطبيقي للكتاب المقدس (مصدر سابق)، ص377.

[2] عد 11/1-3.

[3] عد 11/10-14.

[4] مز 40/1-4.

وعتاة طلبوا نفسي (...) أحمد اسمك يا رب (...) لأنه من كل ضيق نجاني وبأعدائي رأت عيني »[1].« أصغ يا الله إلى صلاتي ولا تتغاض عن تضرعي، استمع لي واستجب لي، أتحير في كربتي واضطرب، من صوت العدو، ومن قبل ظلم الشرير »[2].« أما أنا فإلى الله أصرخ و الرب يخلصني، مساء وصباحا وظهرا أشكو وأنوح فيسمع صوتي، فدى بسلام نفسي من قتال علي لأنهم بكثرة كانوا حولي، يسمع الله فيذلهم (...) ألق على الرب همك فهو يعولك »[3].

وفي دعاء للنبي إرميا (627 ق .م) يقول فيه :« أنت يا ربي عرفت ، اذكرني وتعهدني وانتقم لي من مضطهدي، بطول أناتك لا تأخذني» فيستجيب الله له قائلا:« وأجعلك لهذا الشعب سور نحاس حصينا فيحاربونك ولا يقدرون عليك لأني معك لأخلصك وأنقذك يقول الرب»[4]. و في القرآن الكريم نجد ما يشير إلى أن اليهودي كان يفتقد في أغلب الأحوال إلى اللجوء إلى الله مباشرة، وإنما يعتمد الأنبياء كوسائط بينه وبين الله تعالى للتعبير عن مطالبه، إذ نقرأ مثلا في شأن البقرة التي أمروا أن يذبحوها قوله تعالى﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾[5]،وتتكرر هذه الصيغة القرآنية ثلاث مرات في موضع واحد. وفي مناسبة أخرى يطلبون من موسى عليه السلام أن يدعو الله أن يبدل لهم طعاما آخر بالمن والسلوى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾[6] .

إن معرفة الله تعالى هو بدوره طريق الإنسان إلى الالتزام بوحي الله تعالى ، فما مكانة هذا الوحي ودوره في حياة الإنسان الإسرائيلي وعلاقته بربه ؟

[1] مز 54/1-7.
[2] مز 55/1-3.
[3] مز 55/16-22.
[4] إر 15/19-21.
[5] البقرة 67-69.
[6] البقرة /60.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث

الإلتزام بوحي الله :

من أحلى مظاهر علاقة الإنسان بخالقه الالتزام بشريعته، اعتقادا وسلوكا ، كدليل على الإيمان به وحبه و معرفته ، وتوثيق الصلة به، رغبة في رضاه ورهبة من غضبه، فوزا بثوابه ونجاة من عقابه. ولتحقيق هذه الغايات السامية جاءت التوراة تحظ بني إسرائيل على طاعة الله والالتزام بشريعته ووصاياه واعدة بالعاقبة الحسنى في حالة امتثال بني إسرائيل بتلك الشريعة، متوعدة في حالة عدم امتثال بني إسرائيل بها بخاتمة سيئة :

« أنا واضع أمامكم اليوم بركة ولعنة. البركة إذا سمعتم لوصايا الرب إلهكم التي أنا أوصيكم بها اليوم، واللعنة إذا لم تسمعوا لوصايا الرب إلهكم وزغتم عن الطريق التي أنا أوصيكم بها اليوم..»[1] ،« أنظر قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير والموت والشر بما أني أوصيتك اليوم أن تحب الرب إلهك وتسلك في طرقه وتحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه لكي تحيا وتنمو ويباركك الرب إلهك في الأرض (...) فإذا انصرف قلبك ولم تسمع بل غويت وسجدت لآلهة أخرى وعبدتها فإني أنبئكم اليوم أنكم لا محالة تهلكون(...) أشهد عليكم اليوم السماء والأرض قد جعلت قدامك الحياة والموت. البركة و اللعنة ، فاختر الحياة لكي تحيا أنت ونسلك. إذ تحب الرب إلهك وتسمع لصوته وتلتصق به لأنه هو حياتك ...»[2].

« طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار وفي طريق الخطاة لم يقف، وفي مجلس المستهزئين لم يجلس، لكن في ناموس الرب مسرته وفي ناموسه يلهج نهارا وليلا فيكون كشجرة مغروسة عند مجاري المياه. التي تعطي ثمرها في أوانه . وورقها لا يذبل وكل ما يصنعه ينجح»[3]،« طوبى للكاملين طريقا السالكين في شريعة الرب. طوبى لحافظي شهاداته من كل

---

(1) تث 11/26-28.

(2) تث 30/15-20.

(3) مز 1/1-3.

قلوبهم يطلبونه. أيضا لا يرتكبون إثما . في طرقه يسلكون. أنت أوصيت بوصاياك أن تحفظ تماما. ليت طريقي تثبت في حفظ فرائضك . حينئذ لا أخزى ...»[1].

والملاحظ في وصايا التوراة السابقة التشديد على الالتزام بالتوحيد، لأنه أساس كل التزام آخر، والانحراف هو نقض لعلاقة الإنسان بربه الذي يستوجب اللعن والغضب الإلهي «..واللعنة إذا لم تسمعوا لوصايا الرب إلهكم وزغتم (...) لتذهبوا وراء آلهة أخرى لم تعرفوها»[2]. ولأهمية وخطورة هذه الفريضة العقدية في حياة بني إسرائيل جاءت في مقدمة الوصايا العشر الواردة في التوراة ، التي هي وصايا جامعة لشريعة الوحي الإلهي التي كلف بنو إسرائيل بالالتزام بها:« أنا الرب إلهك (...) لا يكن لك آلهة أخرى أمامي . لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما (..) لا تسجد لهن و لا تعبدهن (...) لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا (...) أذكر يوم السبت لتقدسه (...) أكرم أباك وأمك (...) لا تقتل لا تزن. لا تسرق، لا تشهد على قريبك شهادة زور. لا تشته بيت قريبك. لا تشته امرأة قريبك، ولا عبده ولا أمته ...»[3]، ويختم سفر التثنية الذي وردت فيه هذه الوصايا بمخاطبة بني إسرائيل:« فاحترزوا لتعلموا كما أمركم الرب إلهكم. لا تزيغوا يمينا ولا يسارا. في جميع الطريق التي أوصاكم بها الرب إلهكم تسلكون لكي تحيوا ويكون لكم الخير ...»[4]. ويقر التلمود بمضمون الشريعة الموسوية كلها بما تتضمن من وصايا وأحكام يجب على بني إسرائيل الالتزام بها ،[إذ تبلغ عدد الوصايا الشرعية التي أعطيت إلى موسى ستمائة وثلاث عشرة وصية، منها ثلاثمائة وخمس وستين نواه، وهي بعدد أيام السنة الشمسية، ومائتين وأربعين أوامر، ثم جمعها النبي داوود في أحد عشر مبدأ [5]، ثم جاء أشعيا النبي فلخصها في ستة[6] ثم جاء النبي ميخا، الذي لخصها بدوره في ثلاثة مبادئ :« وماذا يطلبه منك الرب إلا أن تصنع الحق، وتحب الرحمة، وتسلك

---

[1] مز 119/1-6 .

[2] تث 28/11.

[3] خر 20/3-17، تث5/7-21.

[4] تث 5/22-23.

[5] مز 15.

[6] أش 33/15-16.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

متواضعا مع إلهك »[1] ، ثم لم يبق النبي أشعيا إلا اثنتين :« هكذا قال الرب . احفظوا الحق وأجروا العدل»[2]، وأخيرا صاغ حبقوق النبي وصية وحيدة :« البار بإيمانه يحيا»[3] . وهذا يعني أن الإيمان هو المرجعية و الأساس لكل الوصايا الإلهية، وقد كان الإيمان هو المعول عليه عند أبينا إبراهيم كما جاء في التوراة :« فآمن بالرب فحسبه له برا»[4]. ومن بين الوصايا المعطاة لموسى تلك المتعلقة بغرس الإيمان في اليهود، وكدرس عملي لغرس الإيمان في وسط بني إسرائيل كان موسى أثناء إحدى المعارك مع الأعداء يهرع من حين إلى أخرى إلى التضرع والدعاء، رافعا يديه إلى السماء، فيكون النصر لموسى وجنده كلما تضرع، بينما ينكسر الجنود كلما أبطأ في الفزع إلى الدعاء والتضرع [5]][6] . ومجمل القول في علاقة الإنسان اليهودي بربه عن طريق الالتزام بوحيه أن المؤمن بالله وبالتوراة ملزم بتمثيل وتجسيد أحكام ووصايا التوراة في واقعه المعيش إظهارا للخضوع لله وتقواه من جهة الإنسان، وحفظا للعهد والميثاق الذي قطعه الله على نفسه في تمكين بني إسرائيل من الأرض الموعودة و النصرة على الأعداء، والقوة والعزة على حساب الشعوب الأخرى: « فاحفظ الوصايا و الفرائض والأحكام التي أنا أوصيك اليوم لتعملها(...) ومن أجل أنكم تسمعون هذه الأحكام وتحفظونها وتعملونها يحفظ لك الرب إلهك العهد و الإحسان»[7]،« وهذه هي الوصايا والفرائض والأحكام التي أمر الرب إلهكم أن أعلمكم لتعملوها في الأرض التي أنتم عابرون إليها لتمتلكوها، لكي تتقي الرب إلهك وتحفظ جميع فرائضه ووصاياه »[8]. ويقول التلمود: [إذا خضع الإنسان للتوراة ونفذ إرادة أبيه الذي في السماء سيكون شبيها للمخلوقات التي في العلا... لكن إذا لم تبصروا التوراة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) مي 8/6.

(2) أش 1/56 .

(3) حب 4/2.

(4) خر 6/16.

(5) خر 11/17-13.

(6) A.Conen , le talmud (Ibid), P.125-126.

(7) تث 13/7.

(8) تث 1/6-3.

ولم تنفذوا إرادة أبيكم السماوي فأنتم مماثلون للمخلوقات السفلى. وكما قيل: حينئذ ستموتون مثل الناس»[1].

أمام هذا التكليف الشرعي الإلهي نجد صنفين من البشر، أحدهما يقف تجاه الوحي الإلهي موقف القبول و الالتزام، وهم القلة القليلة في بني إسرائيل، والآخر وهو الأغلبية العظمى يقف موقف الرفض والعصيان، وهو الذي سيكون محور الحديث في مبحث التمحيص والمناقشة. والإنسان أمام وحي الله بين مطيع بار، خير ، من جهة، وعاص، فاجر، شرير من جهة ثانية طرح إشكالية علاقة الفعل الإنساني بالفعل الإلهي في بعض الأوساط الفكرية اليهودية، كما هو معروف مثلا عند موسى بن ميمون، الذي نقل، مضمون هذه الإشكالية من الفكر الإسلامي إلى الفكر الديني اليهودي،متأثرا في ذلك بصفة خاصة بالمعتزلة، الذين عالجوا هذه الإشكالية بإسهاب في إطار ما يسمى عندهم بعلوم العدل، وظهور هذه الإشكالية في الفكر اليهودي يقودني إلى استقصائها ولو بشكل مقتضب حسب ما تسمح به المادة العلمية المتوفرة، وهي قليلة ضحلة في هذا المجال ، لأن الحديث عنها شديد الصلة بعلاقة الإنسان بالله .

(1) A .Cohen , le talmud(Ibid), P.114. Et , Alixandre weill, moise et le talmud (Ibid), P.252-253.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الرابع

علاقة الإنسان بالله في إطار عدله :

تسهيلا لاستقصاء هذا الإشكال يمكن صياغته كالآتي: هل ما يصدر عن الإنسان من أفعال الخير و الشر في إطار التكليف الإلهي كان بناء على اختيار حر، ومن ثم كان الجزاء الذي يلقاه في الدنيا و الآخرة من الله جزاء عادلا مستحقا، أم أن أفعاله لا يملك لها اختيارا، وعليه فإن العقاب الذي يلحقه من أفعاله الشريرة يعد ظلما لا يستحقه ؟

مصدر هذا الإشكال في الفكر اليهودي [1]هو وجود تعارض ظاهري بين نصين مختلفين، أحدهما يستشف منه أن حياة الإنسان أعدت ملحمتها بشكل سابق وفق إرادة إلهية سابقة، قضاها وقدرها، لا يمكن للإنسان مخالفتها، وكون الإنسان رهن قضاء سابق خطه الله القادر المريد، فإنه لا يتمتع بأية حرية، وهذا الاعتقاد الجبري يتضمن نتيجة مؤداها أن أفعال الإنسان مفعولة بالله، وإذا سأله وعاقبه عنها كان ذلك ظلما منه سبحانه، وهذا المذهب الجبري يستند إلى نصوص في التوراة وغيرها لتبرير آرائه، وعلى سبيل المثال لا الحصر فإنه يتخذ من قصة يوسف مع إخوانه دليلا على ذلك، إذا أن كيد اخوة يوسف وتآمرهم على قتله، وتنفيذ ذلك عمليا حين وضعوه في البئر وكذبهم على أبيهم، وهي كلها أعمال شر، تمت بفعل إلهي معد سابقا حسب ما ورد في النص ، إذ قال يوسف لاخوته:« والآن لا تتأسفوا ولا تغتاظوا لأنكم بعتموني إلى هنا. لأنه لاستبقاء حياة أرسلني الله قدامكم (...) فقد أرسلني الله ليجعل لكم بقية في الأرض وليستبقي لكم نجاة عظيمة، فالآن ليس أنتم أرسلتموني إلى هنا بل الله»[2] وعن القضاء الإلهي السابق أيضا نقرأ: « هذا هو القضاء المقضي به على كل الأرض وهذه هي اليد الممدودة على كل الأمم، فإن رب الجنود قد قضى فمن يبطل ويده هي الممدودة فمن يردها»[3]، « لأني أنا الله (...) مخبر منذ البدء بالأخير ومنذ القدم بما لم يفعل قائلا رأيي يقوم

---

(1) بخيت متى ، عقيدة الإختيار ، ط2(القاهرة: دار الثقافة، 1990)، ص8. وبيار غرولو، من أنت أيها الإنسان ؟ (بيروت: دار المشرق)، ص 65.

(2) تك45/5-8.

(3) أش 14/26-27.

وأفعل كل مسرتي (....) قد تكلمت فأجريه. قضيت فأفعله »[1]. أما النص الآخر، فيستشف منه حرية الإرادة الإنسانية في اختيار أفعاله بعيدا عن أي جبر سابق ومن ثم فهو مكلف، ويحاسب ويجازى على أفعاله خيرا بخير و شرا بشر تحقيقا للعدالة الإلهية ، ويستند أصحاب هذا المذهب على نصوص تتضمن مبدأ الاختيار في الفعل مثل: « إذا سلكتم في فرائضي وحفظتم وصاياي وعملتم بها أعطي مطركم في حينه (...) وأجعل سلاما في الأرض فتنامون وليس من يزعجكم(...) لكن إن لم تسمعوا لي ولم تعملوا كل هذه الوصايا وكرهت نفوسكم أحكامي فما عملتم كل وصاياي بل نكثتم ميثاقي(...) فإني أسلط عليكم رعبا»[2]،«و إن ساء في أعينكم أن تعبدوا الرب فاختاروا لأنفسكم من تعبدون»[3]. ومضمون الإشكال بهذه الصورة يشبه كثيرا مضمونه في الفكر الإسلامي كما سنعرف، ومن ثم فإنه يحتمل أن أصل هذه المسألة في الفكر الإسلامي مردها إلى الفكر اليهودي لأن معبد الجهني وغيلان الدمشقي اللذين أثارا مسألة خلق القرآن والتي [أخذاها عن لبيد بن الأعصم اليهودي ساحر النبي ﷺ][4]، حيث كان اليهود يقولون بخلق التوراة، يكونان قد نقلا فكرة الجبر والاختيار أيضا فكانت إشكالية القدر أو الجبر والاختيار مثار جدل بين اليهود على غرار وجودها في علم الكلام الإسلامي، [ففرقة الربانيين عند اليهود كالمعتزلة عند المسلمين تثبت الحرية الإنسانية، وتحمل الإنسان مسؤولية أفعاله، وتدافع عن العدل الإلهي. وفرقة القرائين كالمجبرة والمشبهة في الفكر الإسلامي حيث ينسبون أفعال الإنسان إلى الله، بالمفهوم القدري الجبري][5].

كما أن فرقة الصدوقيين اليهودية التي تنسب إلى صادوق الكاهن الأعظم لداود بن سليمان[6] تنكر فكرة الجبر وتؤمن بأن الإنسان هو خالق أفعال نفسه بناء على حريته في

(1) أش 46/9-11.

(2) لا 26/3-16.

(3) يش24/15 .

(4) أحمد أمين، ضحى الإسلام ج1، ط10(بيروت: دار الكتاب العربي، دت)، ص334.

(5) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج1(مصدر سابق)، ص212.

(6) 1 مل32/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الاختيار[1]، كما أن فرقة الأسنيين التي كانت أهم الفرق اليهودية أيام المسيح تؤمن بالقضاء والقدر الإلهي[2] كعقيدة دينية لا كمفهوم فلسفي متعمق يحتاج إلى جدال .وقد وجدت مسألة القدر الإلهي مكانة كبيرة عند الفيلسوف اليهودي الكبير موسى بن ميمون، حيث يمثل أنصار العدل الإلهي، وأنصار حرية الإنسان في أفعاله التي تترتب عنه مسؤولية كاملة .

فيرى ابن ميمون أن [الله سبحانه لا يفعل الشر[*] ، أي لا يقصد قصدا أوليا أن يفعله، بل أفعاله كلها خير محض، لكن أوجد المادة التي هي عناصر لوجود الشر، لذلك قال الله في التوراة :« ورأى الله جميع ما صنعه فإذا هو حسن جدا »[3] وإنما الشرور من صنع الإنسان باختياره وينسبها إلى الله خطأ وجهلا تعالى الله عن ذلك .

وقد بين سليمان(عليه السلام) ذلك بقوله:« سفه الإنسان يفسد طريقه وقلبه يحنق على الرب »[4] .«هذا كان من أيديكم»[5] وقال داوود(عليه السلام):« إن سبل الرب جميعها رحمة وحق لحافظي عهده وشهادة»[6]][7] .

وبناء على آراء أحبار اليهود انطلاقا من فهم نصوص شريعتهم يرى ابن ميمون أن [الإنسان ذو حرية واستطاعة في فعل ما أراده، فلا يجوز على الله الجور، وأن كل ما يصل الإنسان من البلايا أو النعم فهي على وجه الاستحقاق مع جهلنا نحن بوجوه ذلك الاستحقاق ، ومن يعاقب منا فهو يستحق العقاب كما أن الابتلاء وارد في حياة الإنسان من الله كما حدث لإبراهيم .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) رشاد الشامي ، محاضرات في اليهودية /(الفرق اليهودية) ألقيت على طلبة شعبة مقارنة الأديان،(قسنطينة: جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية 1987) .

(2) المرجع السابق .

(*) يقصد الشر الأخلاقي الذي وضحه في دلالة الحائرين، ص 499-500.

(3) تك 31/1.

(4) أم 3/19.

(5) ملا 9/1 .

(6) مز 10/24.

(7) موسى بن ميمون، دلالة الحائرين(مصدر سابق)، ص192-501.

وقد نصت التوراة على ذلك كما جاء في التثنية :« فأذلك وأجاعك وأطعمك[1] »[(*)]][2].

وبناء على فكرة الابتلاء نجد ابن ميمون لا يجرد أفعال الله من الغائية فيقول:« فكل ما فعله الله تعالى من أجل شيء » .

[كما لا يجردها من الحكمة أيضا مستشهدا بنص المزمور:

« ما أعظم أعمالك يا رب لقد صنعت جميعها بالحكمة »[3]][4].

وهذه الأفكار التي دافع عنها ابن ميمون لإثبات العدل الإلهي في شؤون عباده كفكرة حرية الإنسان وفكرة الابتلاء قد دافع عنها قبله فيلسوف يهودي آخر هو : سعديا بن يوسف الفيومي [5](-942م).

ونجد في الفكر اليهودي المعاصر من ينكر فكرة القضاء و القدر المسبق بالمفهوم الجبري الذي يمس العدالة الإلهية، إذ يرى إيزيدور إبشتاين [أن اليهودية تنكر فكرة تحمل الإنسان للخطيئة الأولى التي ارتكبها آدم وحواء كما هو الحال في العقيدة المسيحية، ويعد الإنسان فاعل للخير والشر بإرادته الحرة.

وأن الله بفضله الواسع يقبل توبة المذنب متى تاب إليه، وأن العلاقة بين الإثم ومعاناة الآثم في هذا العالم ليست دائمة حتمية وإنما تجري بإرادة إلهية عادلة يتعذر سبرها[6] .

[و التلموديون، بناء على تصورهم للطبيعة الإنسانية ، التي تتكون من جانب خير وآخر شرير فإن الإنسان في مذهبهم بإمكانه أن ينزع إلى أحدهما بإرادة حرة، كما يمكنه أن يتجنب فعل الشر بما يملك من رقابة ذاتية، هذه الرقابة التي تقوى كلما أخضع الإنسان نفسه للتوراة.

---

(1) تث 3/8.

(*) لكن نص التثنية هذا ينطبق على العقاب لا على الابتلاء، لأنه في سياق عصيان بني إسرائيل لله، فجزاهم عقابا بالإذلال والجوع على المعصية .

(2) موسى بن ميمون ، دلالة الحائرين (مصدر سابق)، ص501-528.

(3) مز24/104.

(4) المصدر السابق، ص567-569.

(5) علي سامي النشار وعباس أحمد الشربيني ، الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية (الأسكندرية: منشأة المعارف، 1972)، ص110-113.

(6) Esidor Epistein, le judaisme (Ibid), P.134.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ومثلما يرى الفريسيون أن[*](Pharisees) إسناد الأفعال و الحوادث التي تخضع إلى القدر لا ينفي عن الإنسان حريته، « فكل شيء مقدر، والإرادة مع ذلك حرة، وبالعناية ينتظم العالم وكل شيء مع ذلك يعتمد على الأعمال »[1]. ويضيف علماء التلمود أيضا أن نص سفر التثنية القائل: «أنظر أنا واضع أمامكم اليوم بركة ولعنة، البركة إذا سمعتم لوصايا الرب إلهكم التي أنا أوصيكم بها اليوم، واللعنة إذا لم تسمعوا لوصايا الرب إلهكم وزغتم عن الطريق التي أنا أوصيكم بها»[2]دليل على امتلاك القدرة على الاختيار، وهذا النص يبرره نص آخر: « انظر قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير والموت والشر(...) فاختر الحياة لكي تحيا أنت ونسلك. إذ تحب الرب إلهك وتسمع لصوته وتلتصق به لأنه هو حياتك»[3] وكما قال موسى-عليه السلام- نفسه إلى الإسرائيليين :« إنكم ترون العاصي معافى، هذا سيدوم يومين أو ثلاثة في هذه الدنيا، لكن في الأخير سيرمى، وترون أيضا المستقيم الذي يعاني، هذا سيدوم يومين أو ثلاثة في هذه الدنيا لكن في الأخير سيؤول إلى السعادة »، وفي إطار نفس الفكرة التي يتضمنها قول موسى، وهي حرية الاختيار التي تبنى عليها المسؤولية والجزاء الأخير جاء في التوراة: « وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير و الشر»[4]][5].

ويبدو من خلال هذا الآراء وهي الغالبة في الفكر اليهودي أن هناك عدالة إلهية واضحة لا شك فيها وأن الغالب في العلاقة بين الإنسان وخالقه في التفكير التوراتي في هذه الإشكالية هي علاقة عدل، لا علاقة جور وظلم بناء على ما يتمتع به الإنسان من حرية الإرادة في الالتزام بالتكليف الإلهي أو عدم الالتزام به.

ووفقا لمبدأ العدالة الإلهية هذا في علاقة اليهودي بربه، ووفقا للوعد والوعيد اللذين نصت عليهما التوراة، واللذين يترتب عنهما الجزاء الإلهي فإن اليهود يرون في العقاب الإلهي

(*) فرقة دينية يهودية، إسمها مشتق من الكلمة الآرمية: (فرس)، أي صار ذا رأي وعلم، من أهم أفكارها الإيمان بحرية الإنسان (الحفني، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، مرجع سابق، ص ص 160-161).

(1) س.ليفي، كنوز التلمود(مرجع سابق)، ص31.

(2) تث 11/26-29.

(3) تث 30/15-20.

(4) تك3/22.

(5) A.Cohen,le talmud(Ibid), P.140-142.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الذي يلحقهم في تاريخهم الطويل هو جزاء مستحق عادل. وهذا العقاب الإلهي لليهود جزاء عصيانهم لله كسنة إلهية عادلة له ما يبرره من التوراة وغيرها من كتب أنبياء بني إسرائيل، وتبرره في نفس الوقت الوقائع التاريخية التي مرت بالإسرائيليين ومن قبلهم من البشر حتى آدم.فآدم عصى الله فعاقبه بالطرد والتعب في الحياة ، ثم الموت كما تبين لنا ذلك سابقا، وتعاظم خطايا الإنسان في عصر نوح أدت بالإنسانية إلى الهلاك الشامل حين أغرق الله الأرض بالطوفان [1]، ولم ينج إلا نوح ومن آمن معه ليبدأ معهم الله عهدا و ميثاقا جديدا، حيث مكنهم في الأرض ليعمروها[2]. ويكثروا فيها دون أن يغرقهم مرة أخرى .

وبنوا إسرائيل حين عصوا وأفسدوا علاقتهم بالله سلط الله عليهم المصائب والمحن، فتعرضوا لغزوات متتالية في تاريخهم الطويل من قبل شعوب وثنية فقتلوهم وخربوا هياكلهم المقدسة ومعابدهم، وأذلوا من تبقى واستعبدوه، إذ غزاهم الآشوريون (743 ق م) والبابليون (586 ق م)، و اليونان (333 ق م)، ثم الرمان (70 ق م)، ويصور لنا النبي إرميا وهو يتحدث بما أوحى الله إليه عن عصيان بني إسرائيل ، وعقاب الله لهم جزاء ذلك:« فقال الرب على تركهم شريعتي التي جعلتها أمامهم ولم يسمعوا لصوتي ولم يسلكوا بها، بل سلكوا وراء عناد قلوبهم ووراء البعليم(*) التي علمهم إياها آباؤهم. لذلك هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل هاأنا ذا أطعم هذا الشعب أفسنتينا واسقيهم ماء العلقم، وأبددهم في أمم لم يعرفوها هم ولا آبائهم وأطلق وراءهم السيف حتى أفنيهم»[3]. و من وقائع هذا التبديد وتسليط السيوف عليهم ما أوحي إلى النبي إرميا أيضا :« من أجل أنكم لم تسمعوا لكلامي . هاأنذا أرسل فآخذ كل عشائر الشمال(...) و إلى نبوخذ راصر (*) عبدي ملك بابل وآتي بهم على هذه الأرض وعلى كل سكانها و على كل هذه الشعوب حواليها فأحرمهم وأجعلهم دهشا

(1) تك6/5-22،تك8،7 .

(2) تك9.

(*) آلهة كنعانية وثنية .

(3) إر 9/13-16.

(*) الملك البابلي الذي غزا إسرائيل .

وصفيرا وخربا أبدية . وأبيد منهم صوت الطرب وصوت الفرح(...) وتصير كل هذه الأرض خرابا ودهشا وتخدم هذه الشعوب ملك بابل سبعين سنة ..»[1].

ومع اعتراف بني إسرائيل بإفساد علاقتهم بالله بالخروج على طاعته وعدم الالتزام بشرعه، واعترافهم أن ما لحقهم من عقاب ومحن هو جزاء إلهي عادل فإنهم كانوا ومازالوا دوما يتطلعون إلى الخلاص الإلهي الذي يخرجهم من محنهم ، ويعيد توثيق الصلة به، إيمانا منهم بأن وراء كل كسر جبر، ووراء كل محنة منحة كما علمتهم تجربتهم التاريخية الطويلة مع أنبيائهم الكثيرين الذين كانوا دوما مخلصين لهم ومصححين لمسارهم لأن المخلص أو الخلاص مظهر من مظاهر علاقة الإنسان بربه. فما مفهوم هذا الخلاص إنطلاقا من النصوص الدينية اليهودية؟

(1) إر 25/ 8-11.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الخامس

الأمل في الخلاص:

فكرة الخلاص فكرة محورية في النصوص اليهودية، تعبر عنه اللغة العبرية بكلمة (ياشع)، وقد تشكلت هذه الفكرة في البنية الذهنية اليهودية خلال تاريخها الطويل، وما أسماء كثير من أنبياء بني إسرائيل التي كانت تحمل في معناها الخلاص إلا دليل على تأصل فكرة الخلاص في الذهنية اليهودية : فيشوع يعني (يهوه مخلص)، أشعيا يعني(يهوه خلصهم)، واليشع يعني (إيل خلصهم)، وهوشع يعني(يهوه مخلص)[1].

وفكرة الخلاص في التوراة هي صورة لعلاقة الإنسان اليهودي بربه، هي الأمل في مغفرة الذنوب التي ارتكبها شعب الله :« ..أنتم أخطأتم خطيئة عظيمة .فأصعد الآن إلى الرب لعلي أكفر خطيتكم »[2]، « ...أحمدك يا رب لأنه إذا غضبت علي ارتد غضبك فتعزيني . هو ذا الله خلاصي فأطمئن ولا أرتعب لأن ياه يهوه قوتي وترنيمتي وقد صار لي خلاصا »[3]، وهي رجاء هذا الشعب من الله أن ينصره على أعدائه بتدخل وتأييد إلهي: « تاقت نفسي إلى خلاصك (...) متى تجري حكما على مضطهدي (...) حسب رحمتك أحيني فأحفظ شهادات فمك »[4]. وبناء على هذه المعاني ارتبطت فكرة الخلاص بأحداث تاريخية كثيرة في حياة الشعب اليهودي، وأهم خلاص نموذجي تم للشعب اليهودي خلاصهم من عبودية فراعنة مصر على يد الرسول موسى عليه السلام، لذلك يذكر اليهود هذا الخلاص في كل عام في ذكرى عيد الفصح اليهودي :«و أنا أيضا قد سمعت أنين بني إسرائيل الذين يستعبدهم المصريون وتذكرت عهدي. لذلك قل لبني إسرائيل أنا الرب .وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين وأنقذكم من عبوديتهم وأخلصكم بذراع ممدودة ...»[5]. وعلى غرار النبي موسى المخلص

---

(1) روبير بندكتي ، التراث الإنساني في التراث الكتابي (مرجع سابق)، ص91 .

(2) خر 32/30.

(3) أش 12/1-2.

(4) مز119/ك .

(5) خر 6/5-6.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الذي خلصهم من عبودية الفراعنة فإن هناك مخلص آخر يأتي في آخر الزمان ليجدد عهد بني إسرائيل مع الله ويستعيد لهم مجدهم المفقود، استنادا إلى تأويل نص في التوراة:«لا يزال قضيب (صولجان) من يهوذا (...) حتى يأتي شيلون(*) وله يكون خضوع الشعوب (...) بخلاصك انتظرت يا رب »[1] لكن هناك اختلاف كبير في شخصية هذا المخلص، فقيل أنه النبي إلياس أو إيليا، أو إيليا هو كما يسميه اليهود، ويعتقد فيه أنه رفع إلى السماء ليعود في آخر الزمان قبل يوم الرب(يوم القيامة) استنادا إلى نص للنبي ملاخي الذي عاش في (القرن الخامس ق م) :«هاأنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم و المخوف. فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم لئلا آتي واضرب الأرض بلعن »[2]، وقيل أن هذا المخلص هو عيسى بن مريم، وزعم آخرون أن هذا المخلص لا هو إيليا ولا عيسى[3]، ولغموض شخصية هذا المخلص إدعى كثير من اليهود أنهم مخلصون[4]. وما يهمنا في فكرة الخلاص أنها مازالت إحدى مظاهر علاقة الإنسان اليهودي بالرب يهوه .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(*) معناه من له الأمر (التفسير التطبيقي/121) .

(1) تك 49/10-18.

(2) ملا 4/5-6.

(3) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس (مصدر سابق)،ص121 .

(4) حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي(مرجع سابق)، ص98-128.

المبحث السادس

تمحيص ومناقشة :

سأناقش في هذا المبحث جملة الأفكار الرئيسة الواردة في المباحث الخمسة التي سبقته وفق ترتيبها السابق:

1-فكرة خصوصية الإله وخصوصية الشعب :

إنطلاقاً من هذه الفكرة في علاقة الإنسان بالله في التوراة يمكن طرح السؤال الآتي: هل فكرة قومية الشعب فكرة يبررها الوحي الإلهي الصحيح ؟

إن هذه الفكرة التي تعج بها نصوص التوراة لا يمكن أن تكون وحيا إلهيا للأسباب الآتية:

أ-فكرة قومية الإله وقومية الشعب فكرة دخيلة إلى بني إسرائيل من الشعوب الوثنية التي كان الإسرائيليون يحيون بين ظهرانيهم، وبجوارهم في وقت الحرب والسلم والأسر، إذ أظهرت المقارنات التي قام بها علماء الأنتربولوجيا بين معتقدات الشعوب الوثنية القديمة كمعتقدات بلاد ما بين النهرين، وبين نصوص العهد القديم أن هناك تشابها كبيرا بينهما فيما يتصل بفكرة الإله القومي الذي يصارع ويحمي قومه ضد الآلهة الأخرى والشعوب الأخرى[1]، بل الأكثر من ذلك أن بني إسرائيل في مجاورتهم للوثنيين تأثروا بطقوسهم الدينية ووظفوها في عبادتهم لله[2].

ب-إن هذه الفكرة تناقض عقيدة الإله الواحد التي يدعيها التوراتيون، لأن من مقتضيات توحيد الله تعالى عدم تقزيم هيمنته وقدرته وعلمه ورحمته وكل صفاته، وعدم حصرها في جماعة واحدة فقط من البشر أو غيرهم ، بل يجب أن تكون شاملة لجميع خلقه وإلا أصبح هذا الإله إلها عنصريا قوميا لا تتعدى صفاته جماعته أو شعبه، وهذا يؤدي بالشعوب الأخرى غير شعب الإله العنصري إلى كره هذا الإله والنفور منه، والبحث عن إله آخر غير هذا الإله المنحاز إلى قوم دون آخر،ففكرة خصوصية الرب إذن هي خطر على التوحيد وعلى الإنسانية ، إذ من عوامل الأخوة الإنسانية وتعايشها سلميا، الإيمان برب واحد هو رب العالمين جميعا، ومن عوامل عداوتها وتطاحنها الإيمان بآلهة شتى. لذلك قال الله تعالى في القرآن الكريم:

---

(1) بيار غرولو، من أنت أيها الإنسان (مرجع سابق)، ص13-15.

(2) دي بورج ، تراث العالم القديم(مرجع سابق)، ص67.

﴿ يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [1].

جـ-هذه الفكرة أيضا هي تكريس لفكرة الأفضلية والتفوق اليهودي على الشعوب الأخرى، المبنية على البنوة للإله ومحبته . وقد رفض القرآن الكريم هذه العلاقة بين الإنسان وخالقه، ورد على كل من يدعيها من أهل الكتاب يهودا أو نصارى:﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾[2]. والأفضلية التي يدعيها اليهود كانت لفترة زمنية معينة في عهد النبي موسى، وهي أيضا مشروطة بمدى التزامهم بتوحيد الله وطاعته، فلما زال واختل الشرط زال المشروط، وهذا ما نصت عليه التوراة نفسها:«و إن سمعت سمعا لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه(...) يجعلك الرب إلهك مستعليا (...) ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك (...) تاتي عليك جميع هذه اللعنات وتدركك (...) يرسل الرب عليك اللعن والاضطراب(...) وتكون قلقا في جميع ممالك الأرض(...) وكما فرح الرب لكم ليحسن إليكم ويكثركم كذلك يفرح الرب لكم ليفنيكم ويهلككم فتستأصلون من الأرض التي أنت داخل إليها لتستلكها ويبددك الرب في جميع الشعوب من أقصاء الأرض إلى أقصائها...»[3] وقد ثبت لنا بنص التوراة خروج بني إسرائيل عن هذا الشرط في بحث الألوهية.

د-قيام هذه الفكرة على احتواء نسب إبراهيم الخليل، واحتواء ما أكرم الله به هذا النبي العظيم من مكارم وفضائل، مرفوضة من الله تعالى، وجعل أقرب الناس لإبراهيم وأولاهم بالانتساب إليه الذين يتبعون نهجه في الإيمان بالله وتوحيده وتقواه، واتباع رسالة محمد عليه الصلاة والسلام كما جاء في القرآن :﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا

---

(1) يوسف/ 39.

(2) المائدة /18.

(3) تث28/1-64.

مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (1).

هـــ-قيام هذه الفكرة على العهد بين الله وأبناء إبراهيم من سارة دون أبنائه من هاجر زوجتي الخليل إبراهيم، فكرة تطعن في العدل الإلهي الذي نصت عليه التوراة ، لأن مضمون هذا العهد هو انحياز الله تعالى إلى شخص دون آخر، وإلى امرأة دون أخرى مع عدم وجود مبرر لذلك. ويطعن أيضا في عصمة الأنبياء، لأن مضمون العهد يظهر إبراهيم الخليل مثال الأب المحابي لأحد أبنائه على حساب الآخر، والزوج الذي يستجيب لنزوات زوجته الحاسدة الحاقدة على ضرتها . فمثل هذا الإلحاد إذن في وحدانية الله وعدله، والطعن في عصمة أنبيائه لا يمكن أن يكون وحياً، ولا يصح أن تبرر به فكرة عنصرية الإله، وهذا الإلحاد في حق الله لا شك أن له صلة بمدى معرفة الله، فإلى أي حد كانت معرفة اليهود لله معرفة صحيحة ؟

2-معرفة الله :

أ-عن طريق المعجزات :

بالنسبة لوجود المعجزات أو الآيات التي أظهرها الله لبني إسرائيل كطريق لمعرفة الله، نجد أن القرآن نفسه أكدها كدليل على وجود الله تعالى وصدق رسله وكتبه. فمن حيث الإشارة إلى وقوع الآيات عموما نلمسه في قوله تعالى:﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(2) ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: «يقول تعالى مخبرا عن بني إسرائيل: كم شاهدوا مع موسى من آية بينة، أي حجة قاطعة بصدقه فيما جاءهم به، كيده وعصاه وفلقه البحر وضربه الحجر وما كان من تظليل الغمام عليهم في شدة الحر، ومن إنزال المن والسلوى، وغير ذلك من الآيات الدالات على وجود الفاعل المختار، وصدق من جرت على يديه ، ومع هذا أعرض كثير منهم عنها وبدلوا نعمة الله كفرا، أي استبدلوا بالإيمان بها الكفر بها والإعراض عنها »(3).

(1) آل عمران /66-67.

(2) البقرة /209.

(3) ابن كثير ، التفسير ج1 (مصدر سابق)،ص442.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ومن حيث الإشارة إلى بعضها تحديدا نجدها في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾[1]. ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (55) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (56) وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ﴾[2]. ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ ﴾[3] لكن مع وجود كل هذه الآيات البينات فإن أكثر اليهود يقابلونها بالكفر والعصيان فيغضب الله عليهم ويسلط عليهم من يستعبدهم ويذلهم: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾[4]. وتسليط الله العذاب على كل من أعرض عن آياته سنة إلهية جارية لا تنطبق على اليهود وحدهم وإن كانوا أكثر الأمم إعراضا وعقابا، وإنما تنطبق على كل الأمم. يؤيد هذا قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ﴾[5]. وقد صرحت التوراة نفسها بعدم اعتبار اليهود بآيات الله التي أجراها أمامهم على يد الرسول موسى عليه السلام: « ودعا موسى جميع إسرائيل، وقال لهم: أنتم شاهدتم ما فعل الرب أمام أعينكم في أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده، وبكل أرضه. التجارب العظيمة التي أبصرتها عيناك وتلك الآيات والعجائب العظيمة. ولكن لم يعطيكم الرب قلبا لتفهموا وأعينا لتبصروا وآذانا لتسمعوا إلى هذا اليوم »[6].

---

(1) البقرة /49.

(2) البقرة /55-56.

(3) البقرة /59.

(4) البقرة/61.

(5) الروم/ 46.

(6) تث 29/1-5.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ب-عن طريق الدعاء و الإجابة :

عرفنا سابقا أنه ما خلا أنبياء الله ورسله الذين كانوا يلهجون بدعاء الله وتضرعه واستجابة الله لهم،لا يوجد في التوراة ما يدل صراحة على أن باقي بني إسرائيل كانوا على نهج أنبيائهم ورسلهم. وبعد وفاة أنبيائهم ورسلهم اتخذ بنوا إسرائيل أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله كوسائط بينهم وبين الله تعالى في التحليل والتحريم والعبادة كما صرح بذلك القرآن الكريم : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1]. وقد رفض الله سبحانه هذه الوساطة التي ابتدعها أهل الكتاب بين الله وعباده، وعدها شركا به، ودعاهم إلى توحيد الله في كل شيء، في الاعتقاد والتشريع والعبادة،﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[2] وقوله :﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[3] .

إن تأصيل الدعاء على أساس كونه علاقة وثيقة للإنسان بربه، يقربه إليه، ويعرفه به، ضعيف في التوراة إذا ما قورن مثلا بحضوره القوي في القرآن الكريم. و هذه الفجوة العبادية في التوراة، ربما ترجع إلى فجوة عقدية، هي ضعف الإيمان بالله تعالى وعدم رسوخه في قلوب بني إسرائيل، وقساوة قلوبهم تجاه الله تعالى كما ورد ذلك في القرآن :﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾[4] .

جـ-خلو التوراة من الدعوة إلى تأمل آياتها كطريق لمعرفة الله :

خلافا للقرآن الكريم مثلا الذي يدعو إلى تأمل آيات الله المسطورة فيه لما تتضمنه من حقائق عقدية وتشريعية وعلمية، وكذلك تحديه للإنس والجن أن يأتوا بمثل هذا القرآن، و لو

---

(1) التوبة /31.

(2) آل عمران /63.

(3) آل عمران /79.

(4) المائدة /13.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة قصيرة، لا يوجد في التوراة الحالية مثل هذه الدعوة إلى تأمل نصوص التوراة للوقوف على صدقها باعتبارها وحيا منزلا من عند الله تعالى بالفعل لا يأتيه الباطل أبدا، كما لا يوجد فيها نفي احتمال كون التوراة من عند غير الله وهذا خلاف القرآن الذي ينفي هذا الاحتمال:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾[1] ، لأن مثل هذه الدعوة في القرآن، هي نفسها دليل على وجود الله تعالى الذي أوحى إلى رسوله بالفعل، وأن هذا الوحي لا يرتقي إليه أي كلام قد يشتبه بالوحي الإلهي الحقيقي، ودليل ذلك خلو هذا الوحي من أي تناقض الذي هو صفة ملازمة لأي كلام غير الكلام الموحي به من عند الله، ومن ثم تكون نصوص الوحي الصادق لمن تدبرها بصدق وموضوعية وجها آخر لمعرفة الله أو طريقا آخر للوصول إلى الله تعالى، لكن مثل هذه الدعوة الموجودة في القرآن إلى التدبر في نصوصه، وتحديه للثقلين على أن يأتوا بمثله إن استطاعوا كدليل على أن الموحي به هو الله تعالى لا توجد في التوراة. ولو أن التوراة الحالية هي التوراة التي قال عنها الله تعالى:﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾[2] ربما وجدنا فيها ما يوجد في القرآن من الدعوة إلى النظر في آياتها كطريقة لمعرفة الله تعالى! وخلاصة ما يمكن قوله حول معرفة بني إسرائيل لله، أنها معرفة لإله قومي خاص ببني إسرائيل في أحسن الأحوال، تحيط عنايته حياة ومصير الشعب الإسرائيلي. ورغم ذلك كثيرا ما ينسى أو يتخلى هذا الشعب عن معرفة إلهه كما جاء في سفر النبي هوشع :« لا أمانة ولا إحسان ولا معرفة الله في الأرض (...) قد هلك شعبي من عدم المعرفة (...) لأنك أنت رفضت المعرفة أرفضك أنا »[3]،وفي إرميا :« لأن شعبي أحمق. إياي لم يعرفوا. هم بنون جاهلون وهم غير فاهمين، هم حكماء في عمل الشر ولعمل الصالح ما يفهمون»[4].

---

(1) النساء /81.

(2) المائدة /44.

(3) هو 1/4، 6.

(4) إر 22/4.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3-الالتزام بالوحي:

وفقا لما تبين لنا سابقا، من خلال الأوامر والوصايا الإلهية لبني إسرائيل بضرورة التقيد بشرعه اعتقادا وسلوكا، من أجل الحفاظ على علاقتهم بالله، بحيث تبقى علاقة عبادة وطاعة وولاء له فقط دون غيره من آلهة الشعوب الأخرى، ويحافظ الرب سبحانه من جهته على عهده وميثاقه الذي عاهد به بني إسرائيل وواثقهم به بأن يحيطهم بعنايته ونصرته وتأييده على حساب أعدائهم من الشعوب الأخرى، أمكننا طرح السؤال الآتي: إلى أي مدى كان التزام بني إسرائيل بوحي الله تعالى وفقا لتلك الأوامر والوصايا الإلهية، حفاظا على العهد والميثاق بينهم وبين الرب سبحانه؟

إن التوراة نفسها، وكذلك كتب الأنبياء تكشف صراحة عن عدم التزام بني إسرائيل بالوحي الإلهي، وعدم الوفاء لربهم وشريعتهم وأنبيائهم. وقد تنبأ الرسول موسى عليه السلام بزيغان قومه وخروجهم عن طاعة الله والالتزام بشرعه، وعلل انحرافهم هذا، بصفات نفسية يتصف بها قومه، ويحتمل أن تكون تلك الصفات مكتسبة من الشعوب الوثنية التي عاش الإسرائيليون في وسطها أو جوارها وأهم هذه الصفات:

أ-افتقادهم للأمانة :«.... وقال أحجب وجهي عنهم، وأنظر ماذا تكون آخرهم، إنهم جيل متقلب، أولاد لا أمانة فيهم»[1].

ب-استبدالهم الباطل بالحق:« أغاظوني بأباطيلهم »[2]. وإلى هذه الصفة أشار القرآن: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [3].

جـ-عديمو الرأي والبصيرة في نظرتهم إلى الله وإلى دينه: « إنهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم »[4].

---

(1) تث 20/32.

(2) تث 21/32.

(3) البقرة /42.

(4) تث 28/32.

د-متمردون على الله وعلى وحيه:« خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهدا عليكم لأني عارف تمردكم ورقابكم الصلبة هوذا وأنا بعد حي معكم . اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحري بعد موتي »[1].

هـ-روح الزيغ والفساد :« لأني عارف أنكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم به ويصيبكم الشر آخر الأيام »[2].هذه الصفات الموجودة في الإسرائيليين بنص التوراة جسدت بالفعل في واقع الإسرائيليين في علاقتهم بالله وشرعه عبر تاريخهم الطويل، وهو ما تشهد عليه أيضا نصوص التوراة وكتب الأنبياء، وما تعاقب الأنبياء وكثرتهم في بني إسرائيل إلا دليل على انحرافهم عن شريعة الله عموما و الخروج عن خط التوحيد خصوصا، إذ كانت أخطر انحرافات بني إسرائيل ترك عبادة الله وحده، والتوجه إلى عبادة الأوثان الخاصة بالشعوب الوثنية المجاورة لبني إسرائيل: « أغاروه بالأجانب وأغاظوه بالأرجاس، ذبحوا الأوثان ليست لله، لآلهة لم يعرفوها(...) ونسيت الله الذي أبدأك»[3]،« من أجل شرهم الذي فعلوه ليغيظوني إذ ذهبوا ليبخروا ويعبدوا آلهة أخرى لم يعرفوها هم ولا أنتم ولا آباؤكم. فأرسلت إليكم عبيدي الأنبياء مبكرا ومرسلا قائلا لا تفعلوا أمر هذا الرجس الذي أبغضته، فلم يسمعوا ولا أمالوا أذنهم ليرجعوا عن شرهم فلا يبخروا لآلهة أخرى»[4]،« أما ترى ماذا يعملون في مدن يهوذا وفي شوارع أورشليم .الأبناء يلتقطون حطبا والآباء يوقدون النار والنساء يعجن العجين ليصنعن كعكا لملكة السماوات ولسكب سكائب لآلهة أخرى ليغيظوني»[5] .

وعن خروجهم عن شرع الله عموما جاء في سفر أشعيا النبي توبيخ الله لبني إسرائيل«أما إسرائيل فلا يعرف شعبي لا يفهم ، ويل للأمة الخاطئة الشعب الثقيل الإثم نسل فاعلي الشر أولاد مفسدين. تركوا الرب استهانوا بقدوس إسرائيل ارتدوا إلى وراء (...) تزدادون زيغانا. كل الرأس مريض وكل القلب سقيم من أسفل القدم إلى الرأس ليس فيه صحة(....) وإن كثرتم الصلاة لا أسمع. أيديكم ملآنة دم . اغتسلوا تنقوا اعزلوا شر أفعالكم من أمام عيني

(1) تث 28-26/31
(2)تث 29/31.
(3) تث 18-16/32.
(4) إر 18-17/7.
(5) إر6-3/44 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كفوا عن فعل الشر تعلموا فعل الخير، اطلبوا الحق انصفوا المظلوم.اقضوا لليتيم حاموا عن الأرملة(...) كيف صارت القرية الأمينة زانية(...) رؤساؤك متمردون(..) كل واحد منهم يحب الرشوة ويتبع العطايا ...»[1].« آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع .لأن أيديكم قد تنجست بالدم وأصابعكم بالإثم، شفاهكم تكلمت بالكذب ولسانكم يلهج بالشر ، ليس من يدعو بالعدل وليس من يحاكم بالحق، يتكلون على الباطل ويتكلمون بالكذب .قد حبلوا بتعب وولدوا إثما، فقسوا بيض أفعى، ونسجوا خيوط العنكبوت. الآكل من بيضهم يموت والتي تكسر تخرج أفعى (...) أعمالهم أعمال إثم وفعل الظلم في أيديهم، أرجلهم إلى الشر تجري وتسرع إلى سفك الدم الزكي، أفكارهم أفكار إثم. في طرقهم اغتصاب وسحق .طريق السلام لم يعرفوه وليس في مسالكهم عدل، جعلوا لأنفسهم سبلا معوجة كل من يسير فيها لا يعرف سلاما»[2] ،« فجربوا وعصوا الله العلي وشهاداته لم يحفظوا بل ارتدوا وغدروا مثل آبائهم .انحرفوا كقوس مخطئة. أغاظوه بمرتفعاتهم وأغاروه بتماثيلهم. سمع الله فغضب ورذل إسرائيل جدا »[3].

ومن مظاهر خيانة اليهود لشرع الله تعالى أنهم يبيحون نقض كل المواثيق والعهود بينهم وبين غيرهم في يوم الغفران أو يوم الكفارة وهو يوم مقدس عندهم يحاسب فيه اليهودي نفسه ويندم فيه على خطاياه والتكفير عنها بأنواع العبادات والقربات كالصوم والصلاة والذبح، ورد المظالم إلى أهلها وطلب الصفح من المظلوم![4]وهذا المعنى يؤيده قوله تعالى في القرآن الكريم:﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ(75) بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[5].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) أش1/2-23.

(2) أش 59/25-8

(3) مز78/56-59.

(4) حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه(مرجع سابق)، ص168-169.

(5) آل عمران /74-75.

والقرآن الكريم يكشف لنا بصفة مجملة ومفصلة علاقة بني إسرائيل بوحي الله تعالى وشرعه، فمن حيث الإجمال أشار القرآن أن بني إسرائيل بدلوا وحي الله تعالى وكيفوه حسب أغراضهم وأهوائهم: ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾[1]، ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾[2]، ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[3]، ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾[4]. ومن حيث التفصيل فهو تغييرهم لوعد الله ووعيده وأحكامه المتصلة بالإنسان في حياته الدنيا وحياته الأخروية مثل زعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه [5]، و انهم من سلالة إبراهيم الذي كان يهوديا[6]، وزعمهم أن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة[7]، وقولهم أن عزير هو ابن الله[8]، وأن الجنة من نصيبهم وحدهم[9]، وزعمهم أنهم وحدهم أهل الهدى والرشاد[10]... وغير ذلك من الإدعاءات التي إفتروها على الله، زاعمون أنها وحي من الله كذبا وافتراء، وقد أجمل الله ذلك في قوله :﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[11].

---

[1] البقرة /58.

[2] المائدة /.43

[3] البقرة /74.

[4] البقرة/78.

[5] المائدة /20.

[6] آل عمران /66-67.

[7] البقرة /79-81.

[8] التوبة/30.

[9] البقرة/110.

[10] البقرة/134.

[11] آل عمران /77.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4-عدل الله :

رغم ما كان للعدل الإلهي من مكانة مرموقة في الفكر التوراتي كما سبق وأن تبين لنا، إلا أن هذه المكانة سرعان ما تتهاوى وتذهب ريحها حين نقف على نواقضها في بعض ما يزعمه اليهود من مزاعم، وما يعتقدونه من عقائد .

إن العدل الإلهي يقتضي أن يكون الله إلها وربا لجميع البشر، لأنه خالقهم ورازقهم، ومنعم عليهم بشتى النعم، ويحق حينئذ لكل إنسان أن ينسب نفسه لله تعالى، ولملكه وولايته ورحمته ونصرته، والطمع في مغفرته وفضله وخلاصه، لكن التوراة تصور رب العالمين ورب الناس أجمعين هو رب شعب إسرائيل يحيطه بالفضل والرعاية والقداسة والملك و النبوة وإن عاقبه في بعض الأحيان حتى يرجع إليه من أجل أن يبقى خاصته وشعبه المقدس ، أما الآخرين من غير شعب الله اليهودي فالله يتآمر عليهم ويحاربهم ويدمرهم .إن هذا التصور يقوض عقيدة العدل الإلهي من أساسها، لأنها لا تجعل عباد الله كلهم سواء، بل تحابي وتتعصب لفئة على حساب فئات أخرى.

وقد رد القرآن الكريم على هذه المزاعم والاعتقادات التي تجعل من بني إسرائيل فئة لها حضوة ومكانة خاصة عند الله على حساب سائر عباد الله حين قال الله تعالى مصححا لتلك الاعتقادات، ومظهرا لعدله القائم على كل الناس في إطار زعم أهل الكتاب أنهم أبناء الله وأحباؤه وخاصته:﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[1].فبين سبحانه أن عدله سنة جارية على جميع البشر يهودا أو نصارى أو غيرهما، فكما يملك سبحانه مقاليد السماوات والأرض وما فيهما، فهو يملك أيضا الإنسان وما يتعلق بشؤونه الدنيوية والأخروية ، ويتساوى في ذلك كل الناس، ومن مظاهر ذلك التساوي العقاب الإلهي على معصيته الذي يلحق اليهود والنصارى كما يلحق سائر العصاة من البشر على أساس أنهم بشر كغيرهم في ميزان الله وعدله، وعليه فإن زعمهم أنهم أهل الله وخاصته زعم باطل يناقض عدل الله ويناقض كماله، ويطعن في صفاته العليا وأسمائه الحسنى، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) المائدة /20.

وإلى جانب الطعن في عدل الله من جهة المحاباة والعنصرية فهو مطعون فيه أيضا من جهة حصره في الدنيا فقط، فالنصوص اليهودية التي تتحدث عن عقاب الله لشعب إسرائيل حين يعصي ويتمرد عن شريعته، والعقاب الذي يلحقه الله بالشعوب الأخرى انتقاما لشعب الله، وفقا لعدله الذي لا يتخلف، هو عقاب دنيوي. أما العقاب والثواب الأخروي فلا حديث عنه في ملاحم شعب الله اليهودي التاريخية أثناء صراعه مع الشعوب الأخرى وأثناء تقلبه بين الفضيلة والرذيلة، والطاعة والعصيان لله، وهذا التقزيم للعدل الإلهي بحصره في الدنيا دون الآخرة-هذا إذا استثنينا ما ثبت لنا عن عالم الآخرة في فصل الإنسان في التوراة- يفضي إلى الانتقاص من عدل الله الشامل الكامل الذي يمس الإنسان في عالميه الدنيوي والأخروي. وخلو النصوص اليهودية أو ندرتها الكبيرة على الأقل، من الحديث عن العدالة الإلهية يوم القيامة هو نتيجة طبيعية عن عدم الحديث عن ذلك اليوم العظيم الذي لم يحسب له اليهود حسابه، إذ الحكم على الشيء هو فرع عن تصوره. وهذا الطعن والإلحاد في صفة العدل الإلهي لا يتوقف عند هذا الحد بل يمتد أيضا إلى فكرة الخلاص كما يؤمن بها اليهود، والتي هي بصدد التمحيص والمناقشة.

5-فكرة الخلاص :

إن فكرة الخلاص كما تبينت لنا سابقا مرهونة بعدل الله، القائم على صدق وعده ووعيده، وعده بنصرة المؤمنين الطائعين الملتزمين بوحيه وشرعه، ووعيده بمعاقبة العاصين الخارجين عن وحيه وشرعه[1]،ويعد هذا شرطا أساسيا للخلاص حسب النصوص اليهودية المشار إليها آنفا، لكن أمل اليهود في هذا الخلاص يناقض هذا الشرط، لأنهم غارقون في آثامهم ومعصيتهم لله كما تبين لنا سابقا في مبحث الالتزام بوحي الله ، فالمعصية تفسد العلاقة بين الإنسان وخالقه: « آثامكم فاصلة بينكم وبين إلهكم »[2] وصور هذا الإثم كثيرة في حق الله وفي حق الناس كما يصوره النص الآتي على سبيل المثال لا الحصر:« اسمع هذا أيها الشعب الجاهل والعديم الفهم الذين لهم أعين ولا يبصرون، لهم آذان ولا يسمعون أأياي لا تخشون (...) وصار لهذا الشعب قلب عاص ومتمرد. عصوا ومضوا ، ولم يقولوا بقلوبهم لنخف الرب

---

(1) لا 3/26-44.

(2) اش 12/59.

إلهنا(...) آثامكم عكست هذه (النقم) وخطاياكم منعت الخير عنكم. لأنه وجد في شعبي أشرار(....) ينصبون أشراكا يمسكون الناس ،مثل قفص ملآن طيورا هكذا بيوتهم ملآنة مكرا. من أجل ذلك عظموا واستغنوا. سمنوا لمعوا. أيضا تجاوزوا في أمور الشر (...) أفلأجل هذه لا أعاقب (...) أولا تنتقم نفسي من أمة كهذه »[1]و بناء على هذا التمرد و العصيان الإنساني في شعب الله اليهودي الذي هو مظهر من مظاهر النقض لعلاقة الإنسان الواجبة بالله تعالى فإنه لا خلاص يرجى، وهو ما يوضحه النص الآتي:«..إن يد الرب لم تقصر عن أن تخلص و لم تثقل أذنه عن أن يسمع بل آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع. لأن أيديكم قد تنجست بالدم وأصابعكم بالإثم. وشفاهكم تكلمت بالكذب ولسانكم يلهج بالشر(...)، ننتظر نورا فإذا ظلام (...) ننتظر عدلا وليس هو وخلاصا فيبتعد عنا. لأن معاصينا كثيرة أمامك وخطايانا تشهد علينا لأن معاصينا معنا وآثامنا نعرفها . تعدينا وكذبنا على الرب وحدنا من وراء إلهنا. تكلمنا بالظلم والمعصية...»[2].

والقرآن الكريم يرسم لأهل الكتاب يهودا ومسيحيين طريق الخلاص غير الذي يدعونه، وهو الإيمان بالرسالة الخاتمة للرسالات السابقة والإيمان بصاحب هذه الرسالة الخاتمة، وهو النبي الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إلى جانب الإيمان بما عندهم من وحي إلهي حقيقي، و إلا كان أملهم في الخلاص فيما يدعونه مجلبة للغضب و اللعن الإلهي :﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾[3]. ومن خلال التمحيص والنقد السابق لأهم مظاهر علاقة الإنسان بالله في التوراة يتبين لنا مدى وهن تلك العلاقة، وخروجها عن الوحي الإلهي الصحيح .

[1] إر 5/21-29.

[2] إش 59/1-13.

[3] النساء/46.

الفصل الخامس

الله في الإنجيل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

العقيدة الإلهية المسيحية أعقد وأغمض العقائد الإلهية التي تنتسب إلى الوحي الرباني المنزل على أنبياء الله ورسله، نظرا للخلاف الموجود بين معتنقيها بعد رفع المسيح إلى يومنا هذا، خاصة الخلاف المتعلق بعلاقة المسيح عيسى بالله، من حيث طبيعته، ومكانته عند الله، ودوره ورسالته في الناس، وكذلك الاختلاف في مصيره، هذه المحاور الأساسية كانت مصدر انشقاق المسيحيين، وتشعب و تضارب اعتقاداتهم وآرائهم.الأمر الذي يجعل كل باحث في هذه العقيدة أمام مهمة صعبة ومعقدة بصعوبة وتعقيد ظروفها وملابساتها الدينية والتاريخية، خاصة إذا تعلق الأمر بصياغة هذه العقيدة كما هي في النصوص المسيحية المقدسة، هذه النصوص التي كانت عرضة للتحريف والتبديل، والزيادة والنقصان من قبل الإنسان، منذ نشأتها الأولى إلى اليوم، حتى أصبحت اليوم أكثر النصوص الدينية في الإلهيات تناقضا، الأمر الذي يعسر على الباحث فيها الوصول إلى حقيقة يقينية مؤكدة تنطبق و عقائد الفرق المسيحية المتشعبة والمتعاندة .

وفي إطار هذا الاختلاف المتشعب و التناقض الظاهر الذي يصعب فيه الوقوف على مذهب اعتقادي واضح متفق عليه عند المسيحيين يقول أبو عثمان الجاحظ (ـــ254هـــ -869م) :«ولو جهدت بكل جهدك، وجمعت كل عقلك أن تفهم قولهم في المسيح ، لما قدرت عليه (...) وخاصة قولهم في الألوهية، وكيف نقدر على ذلك؟و أنت لو خلوت ونصرانيا نسطوريا فسألته عن قولهم في المسيح، لقال لك قولا، ثم إن خلوت بأخيه لأمه و أبيه وهو نسطوري مثله، فسألته عن قولهم في المسيح ، لأتاك بخلاف قول أخيه وضده ...و كذلك جميع الملكانية واليعقوبية، ولذلك صرنا لا نعقل حقيقة النصرانية ، كما نعرف جميع الأديان. على أنهم يزعمون أن الدين لا يخرج في القياس ولا يقوم على المسائل، ولا يثبت في الامتحان [*]وإنما هو بالتسليم لما في الكتب والتقليد للأسلاف..ولعمري أن من كان دينه دينهم ليجب عليه أن يعتذر بعذرهم ...»[1] .

وفي نفس الإطار يقول باحث مسيحي كبير في تاريخ العقائد المسيحية وهو شارل جنيبير:« بيد أن المجموعة العقائدية المسيحية كانت قد نبعت في بيئة معينة ومن اجل هذه البيئة، ولهذا كان لابد لها من أن تظل غامضة، بالغة الغموض، بالنسبة إلى رجال لم يهيئهم لتفهم هذه

(*) بمعنى أن العقيدة الإلهية بصفة خاصة في نظرهم لا تخضع للعقل ولا للمنطق ولا للتحقيق العلمي إنما تعتقد ولا تنتقد .

(1) الجاحظ، المختار في الرد على النصارى(مرجع سابق)، ص32 .

البيئة ما أنشئوا عليه من تكوين منطقي وعاطفي وما أوتوه من استعدادات طبيعية وما درجوا عليه من تقاليد فكرية.وكان هذا حال الغربيين بالنسبة إلى المسيحية وإن حظيت كنيستها لديهم بما نعرفه من نجاح لا مثيل له(...)إن الغربيين لم يفهموا العقائد المسيحية في العصور القديمة قط، كما لم يصلوا إلى إدراكها في العصور اللاحقة،وأن الديانة التي أنشؤوها على أساس منها، باجتهادهم الخاص، كانت ديانة مختلفة تمام الاختلاف في روحها وجوهرها عن المسيحية الشرقية(...) و الخلاصة: أن الغربيين لم يكونوا قط مسيحيين في يوم من الأيام »[1] . ومع كل هذه العوائق المعرفية وما يرافقها من صعوبات منهجية، فإني حاولت أن أصوغ العقيدة الإلهية المسيحية انطلاقا من نصوص الأناجيل وشروحاتها التي بين أيدينا، وأكثر تداولا اليوم، انطلاقا من قرارات المجامع الكنسية المتعددة، صياغة عامة جامعة تجمع الأصول العقدية الأساسية وتتجاوز الاختلافات الأصولية الفرعية التي فرقت المسيحيين فرقا شتى، حتى لا يخرج البحث عن إشكاله الأساسي . فمن هو الله تعالى في العقيدة الإنجيلية المسيحية؟

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) شارل جنيبير ، المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة عبد الحليم محمود(صيداء المكتبة العصرية،دت)، ص208-209.

المبحث الأول

في الأناجيل :

النص الديني المسيحي خاصة في الأناجيل نجد فيه تأكيدا على وجود إلهين اثنين، أحدهما يسمى الله الأب،وثانيهما يسمى الله الابن، وهما متداخلان ومتحدان في الذات و الأسماء و الصفات لدرجة انه يتعذر الفصل بينهما:

فمن حيث أبوة وبنوة الإلهين نقرأ على سبيل المثال لا الحصر :

1 -«فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السماوات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا عليه، وصوت من السماوات قائلا هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت»[1] .

مثل هذا النص الموجود في أغلب الأناجيل يرى فيه المسيحيون أنه إعلان من الإله الأب أن يسوع [2] هو ابنه الحقيقي أي على سبيل الحقيقة لا المجاز[3] .

2-و من حيث اتحاد ذاتي الإلهين وحلول أحدهما في الآخر نقرأ:

«أنا والأب واحد»[4]، «إن الأب في وأنا فيه [5]»، «الذي يراني يرى الذي أرسلني»[6].

و في حوار مع أحد تلاميذ المسيح وهو فيليبس الذي طلب رؤية الله، أجابه المسيح إجابة حلولية قائلا:«أنا معكم زمانا هذه مدته و لم تعرفني يافيليبس. الذي رآني فقد رأى الأب فكيف تقول أنت أرنا الأب ألست تؤمن أني أنا في الأب و الأب فيّ. الكلام الذي أكلمكم به لست

[1] مت 3/16-17 وكذلك مرقس1/11، لوقا3/23.

[2]يسوع يعني: الله يخلص(جرهاردوش فوس، علم للاهوت الكتابي /476) .

[3] أسطفان شربنتيه، دراسة في الإنجيل كما رواه متى(مرجع سابق)، ص47، وجان دلورم، دليل إلى قراءة الإنجيل كما رواه مرقس ،ط2(بيروت : دار المشرق، 1992)، ص 13.

[4] يو 30/10.

[5]يو38/10 .

[6] يو 25/12 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

اتكلم به من نفسي لكن الأب الحال في هو يعمل الأعمال .صدقوني أني في الأب والأب في»[1]. وجاء في تفسير هذا النص :

«إن الرب يسوع هو الصورة المنظورة الملموسة لله غير المنظور، وهو الإستعلان الكامل لله، وقد شرح يسوع لفيليبس الذي أراد أن يرى الأب، أن من يعرف الرب يسوع يعرف الله،فالبحث عن الله، عن الحق والحقيقة ينتهي إلى المسيح »[2] .

3-أما من حيث الصفات و الأسماء، فإن المسيح عيسى إله حقيقي متجسد ذو ضبيعتين، لاهوتية وناسوتية، يملك نفس الصفات الذاتية كالأزلية والأبدية والحياة التي للإله الأب، ويملك نفس الصفات الفعلية التي يملكها الأب، كالخلق والإيجاد .. وهو ما يبينه النص الآتي:« في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله، هكذا كان في البدء عند الله. كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان فيه كانت الحياة والحياة كانت في نور الناس ».[3]. وهذا النص موجود في جميع النسخ المسيحية للأناجيل الكاثوليكية منها والبروتستانتية، والأرثوذكسية، عربيها و أعجميها. وقد جاء في تفسير هذا النص :[أن يسوع المسيح إنسان كامل،وإله كامل، ورغم أن يسوع اتخذ الناسوت كاملا وعاش كإنسان، إلا أنه لم يكف أبدا عن أن يكون الله الأبدي الأزلي الكائن في الدوام، وخالق الكون، والقوة التي تربط الخليقة معا، ومصدر الحياة الأبدية، هذا هو الحق عن الرب يسوع وأساس كل حق][4] .

فالملاحظ أن تفسير هذا النص لا يجعل من المسيح مجرد ابن لله فقط كما في النصوص السابق ذكرها بل يجعله هو نفسه الإله بذاته وصفاته. وجاء في تفسير نص:« به يكون كل شيء، وبغيره لم يتكون أي شيء مما تكون».تحديدا:« عندما قام الله بعملية الخلق فإنه خلق شيئا من لاشيء. ولأننا كائنات مخلوقة، فليس لنا ما نفتخر به، فتذكر أنك وجدت فقط لأن

(1) يو 14/9-12 .

(2) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس (مصدر سابق)، ص2222.

(3) يو1/1-4.

(4) المصدر السابق ، ص2168.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الله صنعك(...) فأنت مع الله مخلوق خاص وبعيدا عنه وبغيره لا شيء ...»[1]فالله الخالق من العدم هنا هو الله الأب و الابن معا .

وفي تفسير عبارة:«فيه كانت الحياة ، و الحياة هذه كانت نور الناس»ينسب إلى المسيح أيضا صفة إلهية ذاتية، هي صفة الحياة السرمدية المطلقة التي لا بداية لها ولا نهاية، واكثر من ذلك فإن حياة المخلوقات كلها مرهونة بهذه الحياة التي يتصف بها المسيح، لا لشيء إلا لأنه هو نفسه الله.[2] ويؤيد هذا التفسير ما جاء أيضا في إنجيل يوحنا:«أنا والأب واحد» [3].و نسب إلى المسيح أيضا في مناسبة رده على اليهود قوله:«الحق، الحق أقول لكم، قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن، فرفعوا حجارة ليرجموه »[4]. رغم أن هذا النص قد يعني كينونة المسيح القديمة في علم الله تعالى القديم إلا أن التفسيرات المسيحية للنص تجعل الكينونة هنا حقيقة، ليضفوا عليه صفة إلهية ذاتية، هي صفة القدم، إذا جاء في تفسير هذا النص :«هذه العبارات تعد من أقوى الكلمات التي نطق بها يسوع و عندما قال الرب: إنني كائن من قبل أن يكون إبراهيم، أي من قبل أن يولد إبراهيم، فإنه بذلك يعلن لاهوته (طبيعته الإلهية) بلا إنكار(...) وكان لابد لهذه الدعوى من رد فعل فما كان ممكنا تجاهلها ، فحاولوا رؤوس اليهود قتله رجما بالحجارة بسبب تجديفه لأنه نادى بمساواته بالله .ولكن يسوع هو الله المتجسد. فهل عرفت هذه الحقيقة ؟»[5]. إذ اتحادهما كما في النص السابق:«أنا والأب واحد »يقتضي قدم المسيح بقدم الله [6]. ويسوع المسيح لا يتصف فقط بصفات أبيه اتصافا مجردا، وإنما يجسد فعليا تلك الصفات. ولما كانت الصفة هي مقتضى الاسم فإن يسوع يسمى بأسماء أبيه فهو مثلا النور والحق و غيرهما متجسدا [7]، وهو الغفور الذي يغفر الخطايا، ورغم اعتراض اليهود على هذا الاسم باعتباره

---

(1) المصدر نفسه، ص2168 .

(2) المصدر نفسه.

(3) يو 30/10.

(4) يو8/58-59.

(5) المصدر السابق، ص2203.

(6) دوناسيان ملا اليسوعي، قراءات في إنجيل يوحنا ، ط4(بيروت: دار المشرق، 1992)، ص20.

(7) جورهاردوش فوس/ علم الاهوت الكتابي(مصدر سابق)، ص533.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقتضى صفة فعليه إلهية إلا أن يسوع أصر على ذلك [1]. و هو يحيي الموتى مطلقا لا في وقت رسالته فقط بل أبدا، لأنه هو الحياة نفسها يهب الحياة كل من آمن به [2]فهو ليس مصدر الحياة فقط و لكنه القوة التي تتسلط على الموت أيضا[3]. وهو نور العالم، ورغم اعتراض اليهود على إطلاق يسوع هذا الاسم على نفسه إلا أنه علل ذلك بكونه مثل الله أبيه، وهو حين يتحدث أو يحكم فذلك بمعية الله الأب وحضوره[4].

وهذه الأسماء التي تسمى بها المسيح والتي هي مقتضيات صفات الله تعالى غير ألقاب المسيح الخاصة والمنتشرة بكثرة في الأناجيل ، مثل : ابن الله، ابن الإنسان ، المسيح، عبد الله، المخلص، النبي، والراعي الصالح...

يتبين لنا من خلال استنطاق النصوص السابقة أن المسيح عيسى هو إله ابن الله يشترك معه في أغلب الصفات والأسماء، الذاتية منها والفعلية. لكن هل مفهوم الألوهية عند المسيحيين يتوقف عند العنصرين الإلهين الاثنين، الابن و الأب؟

4-إن نصوص الأناجيل لم تصرح بعنصر إلهي ثالث، سواء بصيغة الإفراد أو بصيغة الجمع، لكن المسيحيين عملوا على إضافة وإقحام ثم تأصيل هذا العنصر الإلهي الثالث الذي يسمونه بالروح القدس، هذا الاسم الذي يتواجد بكثرة في الأناجيل ورسائل الرسل المسيحيين، وفي سياقات، وتعبيرات لا تفصح على كونه عنصرا إلهيا ثالثا،لكن المسيحيين يعمدون إلى تأويل مثل هذه النصوص تأويلا تعسفيا، وربطها بالنصوص التي تتحدث عن الإله الأب و الإله الابن ربطا تلفيقيا لتتماشى وعقيدة الآلهة الثلاثة، أو ما يعرف بالثالوث، وهي عقيدة يؤمن بها غالبية المسيحيين الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت، و تعني: الإيمان بعناصر إلهية ثلاثة، الإله الأب، و الإله الابن وهو اليسوع المسيح، والإله الروح القدس.[5]

---

(1) مر2/1-12.

(2) يو11/25-27 و دونيسبان، قراءات في إنجيل يوحنا (مرجع سابق)، ص58-59.

(3) التفسير التطبيقي(مصدر سابق)، ص2206.

(4) يو 8/ 12-19 و (المصدر السابق)، ص2200.

(5) **Vocabulaire théologie Biblique 2eme E(révsé et augmentée(paris : E, de cerf,1971)), p. 288-289.**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ولا يعني روح القدس في المسيحية جبريل علي السلام ملك الوحي كما في النصوص الدينية اليهودية[1] و النصوص الإسلامية كما في قوله تعالى :﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [2]،ولكنه يعني الله نفسه، أي وجود الله القادر الفعال في العالم، وبواسطة هذا الروح القدس بهذا المعنى حبُل بيسوع، كما أنه يطلق على روح القدس في العهد الجديد أسماء مرادفة مثل : روح الحكمة والإيمان، روح الشجاعة والمحبة والفرح[3] . وهو جوهر إلهي منبثق من الأب والابن[4]. وكونه منبثقا وصادرا من الأب و الابن لا يعني أبدا كونه مولودا منهما أو من أحدهما، ولا هو مخلوقا، ومن ثم فهو يشكل عنصرا إلهيا ثالثا مساويا للآخرين ويتصف بالأزلية كما يتصف بها الأولان [5] .

وللروح القدس في العقيدة المسيحية أدوارا كثيرة كما تحدده نصوص الإنجيل ورسائل الرسل فهو يشارك في طقوس التعميد[6] كما أخبر بذلك النبي يوحنا المعمدان الذي بشر بمجيء النبي عيسى عليهما السلام، حين خاطب اليهود قائلا:« أنا أعمدكم بماء للتوبة، ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني الذي لست أهلا أن أحمل حذاءه، وهو سيعمدكم بالروح القدس..»[7]، «أنا عمدتكم بالماء وأما هو فسيعمدكم بالروح القدس » [8]وروح القدس يهب العلم و الفهم لأتباع المسيح كما حصل لتلاميذه الذين كانوا يفسرون أقواله، وهو ما عناه المسيح بقوله :

---

(1) عمر الداعوق ، الروح القدس جبريل في اليهودية والنصرانية و الإسلام ، ط1(بيروت: دار البشائر، 1996)، ص14.

(2) البقرة/ 87.

(3) توماس ميشال، مدخل إلى العقيدة المسيحية(مرجع سابق)، ص64.

(4) بطرس البستاني، دائرة المعارف،م8(لبنان: دار المعرفة،دت)، ص747، و:
Jean et (Ale), Vocabulaire de théologie biblique (Ibid), p.289 .

(5) Salamon Reinach, Histoire générale des Religions (paris : librairie d'education nationalle,1993), p.382.

(6) جاء من عمَّد الذي يعني غطس أو غسل بالماء وهو رمز الطهارة من الذنوب، وشعار الدخول في المسيحية .
Jean et [Ale], vocabulaire théologie Biblique(Ibid), p.(110-112)

(7) متى3/11.

(8) مرقس1/8.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

«إن لي أمور كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن.وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ...»[1]، أي أن الروح القدس سيخبرهم بالمستقبل التبشيري لنشاطهم الدعوي،و الصعوبات التي سيواجهونها، وبالنتائج التي سيحققونها، وسيعرفون ذلك في أوانه المناسب بعد مفارقة المسيح لهم [2] . كما أن روح القدس يسكن في نفوس المؤمنين المسيحيين[3]، ويعين،ويقوي من ضعف، ويشفع [4]. ويعتقد المسيحيون أن الكنيسة تحت إرشاد وهداية الروح القدس [5].

وهذه العناصر الإلهية الثلاثة أو الأقانيم[6]، من المسيحيين من يعتقد أنها منفصلة، ومنهم من يعتقد أنها متحدة، وهناك اختلاف كبير في طبيعة الأقنومين الأخيرين وعلاقتهما بأقنوم الأب، الأمر الذي أدى إلى افتراق المسيحيين فرقا كثيرة[7]. يتبين لنا الآن أن العقيدة الإلهية في الإنجيل قائمة على ثالوث إلهي. لكن هل هذا الثالوث يستمد مشروعيته من النص الديني المقدس فقط؟

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) يو 16/12-13.

(2) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس(مصدر سابق)، ص2227 .

(3) رومية 8/9-12.

(4) رومية 8/26-27.

(5) أسطفان شرنتيه: دليل إلى قراءة الكتاب المقدس(مرجع سابق)، ص233.

(6) جمع أقنوم، وهي لفظة سريانية تعني الشخص أو الكائن .

(7) بطرس البستاني ن دائرة المعارف،م 6(مصدر سابق)، ص306.

المبحث الثاني

الأساس التاريخي لعقيدة الثالوث المسيحية :

1-قرارات المجامع المسكونية: تستمد عقيدة الثالوث مشروعيتها كذلك من قرارات المجامع الكنسية المتعاقبة تاريخيا، حيث قننت هذه العقيدة بشكل رسمي في إطار ما يسمى بقوانين الإيمان المسيحي، وكان أول مجمع مسكوني سنة 325م في نيقية بأمر من الإمبراطور قسطنطين بعد أن دب خلاف بين المسيحيين حول طبيعة المسيح وعلاقته بالله،وقد ضم المجمع ثلاثمائة أسقف، أدانوا بالأغلبية أريوس [1] الكاهن (+270 م) باعتباره منشقا عن إحدى الكنائس في الأسكندرية، ومخالفته لآراء المسيحية في الله و المسيح، وقوبلت اعتراضاته بالرفض، وخرج المجتمعون بقرارات حاسمة تخص العقيدة الإلهية المسيحية بشكل خاص، سميت بقانون الإيمان النيقاوي، وملخصه ما يأتي :

[نؤمن بإله واحد آب، ضابط الكل، خالق الأشياء، ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الأب، أي من جوهر الأب، إله من إله، نور من نور، إنه حق من إله حق،مولود غير مخلوق، له وللأب جوهر واحد، به كان كل شيء، ما في السماء وما على الأرض، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد وصار إنسانا، و تألم وقام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماوات، وسيأتي ليدين الأحياء والأموات، ونؤمن بالروح القدس. الذي يقولون –الأريوسيون- « كان وقت لم يكن فيه الابن، وقبل أن يولد لم يكن، وقد خلق من العدم، أو الذين يعلنون أن ابن الله من أقنوم آخر أو من جوهر آخر، أو أنه خلق أو أنه خاضع للتغير أو التبدل، فالكنيسة الجامعة الرسولية تحرمهم][2] .لكن سرعان ما وضع قانون نيقية الإيماني موضع جدال في التمييز بين الأب والابن خلال نصف قرن من الزمان بين كنائس الشرق وكنائس الغرب فكان الغرب أمينا

---

(1) تعد الأريوسية أي اتباع أريوس من الفرق الموحدة لله تعالى، وقد قهرت في ظل المسيحية المثلثة، ودخل أغلب أتباعها الإسلام حين مجيئه. عبد المجيد الشرفي،الفكر الإسلامي في الرد على النصاري (تونس،الجزائر : الدار التونسية للنشر مع المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986)، ص198.

(2) الرهبانية اليسوعية، دليل إلى قراءات تاريخ الكنيسة (بيروت: دار المشرق، دت)، ص120-121.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لقانون نيقية الإيماني وارتاب الشرق في صيغة هذا القانون الأمر الذي أدى إلى عقد مجمع القسطنطينية سنة 381م، وكان من بين المسائل المطروحة فيه: هل الروح القدس هو الله؟ كان الأريوسيون يردون بالنفي بينما رأى غيرهم أن الروح القدس هو أيضا من ذات جوهر الأب وقد كان هذا إثر وضع إمبراطور الشرق ثيو دوسيوس وإمبراطور الغرب غراسياس سنة 380م حدا للمشاحنات بين المسيحيين، واعتماد العقيدة الكاثوليكية دينا للدولة بناء على ما أقره مجمع نيقية مضافا إليه فقرة عن الروح القدس:« نؤمن بالروح القدس الرب المالك والمحيي المنبثق من الأب، الذي مع الأب والابن يسجد له و يمجد» ومن المسائل المثارة في المجمع أيضا: كيف يتحد الله والإنسان في يسوع المسيح؟

وهل طبيعة المسيح لاهوتية أو ناسوتية؟ وهذا الإشكال الأخير أدى إلى مواجهة بين أسقفين خصمين: كيرلّس الأسكندري ونسطور القسطنطيني (430م) حيث أثر عن الأخير قوله:«لا أدري كيف أدعو الله من كان طفلا عمره شهران أو ثلاثة، هذا فإني بريء من دمكم، ولن أكون بينكم من الآن فصاعدا »[1] .

ثم جاء بعد هذا المجمع، مجمع أفسس سنة 431م، ومن بين قراراته الأساسية توطيد قانون نيقية، وإدانة نسطور، وتأكيد الوحدة في المسيح بين الطبيعتين اللاهوتية و الناسوتية، وبسبب هذا الاتحاد فإن مريم العذراء هي أم الله ، لأن الكلمة صار جسدا، صار إنسانا[2] . ومع ذلك استمر الخلاف ليؤدي إلى انعقاد مجمع خلقيدونية سنة 451م الذي أصّل فكرة المسيح ذو الطبيعتين اللاهوتية والناسوتية واتحادهما دون اختلاط أو تشويش لكن دون تفسير واضح لمعنى الاتحاد والاختلاط والتشويش، ومع ذلك لم يكن هذا التأصيل محل اتفاق الجميع، فاضطر المجمع إلى إعادة تأصيل قرارات مجمع نيقية، وما أضاف مجمع القسطنطينية، وكان ذلك بسلطة القرار المتعسف لا بسلطة الأغلبية المبني على حرية الاختيار العقدي[3].

---

[1] المرجع السابق، ص127.

[2] المرجع نفسه، ص126.

[3] المرجع نفسه، ص129-130 .

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2-تراث آباء الكنيسة :

وعلى أساس هذه القرارات المسكونية التي أصلت عقيدة الثالوث الإلهي، وبغض النظر عن الاختلافات في طبيعة العناصر الإلهية الثلاثة و علاقتها ببعضها البعض، بني معظم التراث الفكري الديني المسيحي، استجابة لما أسسه وبناه آباء الكنيسة الأوائل، فكان كل نتاج ديني أو فلسفي، أدبي أو فني في معظمه تجسيدا وانعكاسا لعقيدة الثالوث الإلهي، و على سبيل المثال لا الحصر نجد النتاج العقدي للقديس أو غطسين (354-430م)، وهو أب وعلم من آباء و أعلام المسيحية الكبار الذي كان له دور كبير في تأصيل عقيدة الثالوث المقدس، فالله سبحانه عنده[ثلاثة، الأب و الابن وروح القدس، وكل منهم يتمتع بجوهر إلهي واحد كامل.

والأب ليس ابنا ولا روح قدس، والابن ليس أبا ولا روح قدس، وروح القدس ليس أبا ولا ابنا ، لكن الأب هو فقط الأب، والابن هو فقط الابن، وروح القدس هو فقط روح القدس، و الثلاثة أزليون، ثابتون أي لا يقبلون التغير، لهم نفس العظمة و القدرة، في الأب الوحدة، وفي الابن المساواة،وفي روح القدس التآلف و التوافق بين الوحدة و المساواة، وهذه الصفات الثلاثة جميعها متحدة بسبب الأب ، متساوية بسبب الابن، متآلفة فيما بينها بسبب روح القدس! والطبيعة الإلهية بهذه الصيغة الآنفة غير قـــابلة للتعبير والتفسير ! و عليه فمن الأفضل تجنب الخوض فيها عن طريق السكوت، وإلا أفضى ذلك إلى القـــول في الله بما لا يليق به !][1] والملاحظ في تأصيل أوغسطين لعقيدة الثالوث، أنه يعبر عن لامعقول عقدي بلا معقول أكثر منه، حينما سد باب الفهم لجدلية الثلاثة في واحد و الواحد في الثلاثة، و طالب بالتسليم بها دون محاولة للتعبير والتفسير .

وعلى هذا المنوال اللامعقول لسر الثالوث الإلهي يعتقد و يسير المسيحيون، خواصهم وعوامهم، فعن سؤال يطرحه أحد أباء الكنيسة : لماذا الله ثلاثة أطراف وليس اثنان أو أربعة أو أكثر؟ يجيب قائلا: «الحقيقة أن لا أحد فعلا -ما عدا الله وحده! بمقدوره أن يقول لماذا الله ثلاثة أشخاص ولا أكثر ولا أقل، فإن كان هناك من يقدر أن يقول لماذا، بناء على تفكير عقلي أو استنتاج منطقي أو غيرهما، يصبح الله حينذاك خاضعا للعقل الذي يفرض أن يكون الله

---

[1] G.combés et j-Farges oevres de saint Augutin(Paris :E. Paris,1930), p.189.

اثنين أو ثلاثة أو أكثر (...) إن الله سر، إن جوهره أب و ابن وروح، هذا ما أوحى به يسوع، هو هكذا، و ليس غير هذا ...»[1].

بهذا المفهوم، و بهذا المنهج كانت ومازالت عقيدة الألوهية عند المسيحيين منذ خروجها عن خط التوحيد الذي أكده الرسول عيسى عليه السلام، إلى اليوم، تحريف وتأويل للنصوص الدينية لتستقيم والثالوث الإلهي، قرارات متتالية للمجامع المسكونية لتقنين الإيمان بالثالوث، لا في القرون الخالية فقط، بل مازالت تلك المجامع هي الفيصل النهائي في ضبط وتأصيل العقائد المسيحية جملة، ثم يأتي تراث آباء الكنيسة بالشروحات التأصيلية والتوضيحية على ضوء تلك النصوص وقرارات المجامع لإقناع مسيحيي العالم أن الله واحد ولكنه في نفس الوقت ثلاثة عناصر، وأن هذه الصيغة في نفس الوقت هي سر لا يدركه إلا الله الواحد ذو العناصر الثلاثة!

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) فاضل سيد اروس، بين وحي الله وإيمان الإنسان (بيروت: دار المشرق، 1990)، ص53.

المبحث الثالث

تمحيص و مناقشة :

لا يجد الباحث وهو في خضم هذا الركام المعرفي المتعلق بعقيدة إلهية تنتسب إلى رسالة سماوية إلا التمحيص والتدقيق في مدى صحة ومنطقية هذه العقيدة، خاصة إذا تعلق الأمر بأصل أصول العقائد وهو عقيدة الألوهية، لذلك سيشمل التمحيص بصفة خاصة النص الديني الإنجيلي باعتباره المصدر الأول الذي استقيت منه هذه العقيدة، ثم الملابسات و الظروف التي أحاطت بهذا النص وأثرت فيه، وموقف النص الديني السماوي عند غير المسيحيين، وكذلك موقف العقل الإنساني المتنور من العقيدة الإلهية عند المسيحيين بصفة عامة.

1-التعدد في الألوهية بدعة عقدية لم تعرفها الأديان السماوية :

التعدد في الألوهية هو اتخاذ أكثر من إله واحد بأي صيغة كانت سواء كان تعددا في الذات أو الصفات والأسماء، أو في الطبيعة والحقيقة، و التثليث المسيحي هو نوع من التعدد لم تعرفه الرسالات السماوية السابقة لمجيء المسيح عليه السلام، فالتوراة التي يؤمن بها المسيحيون تصرح بوضوح بوجود إله واحد هو الله تعالى، و تنهى عن العبادة أو السجود لغير الله:« اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد »[1] «لا يكن لك آلهة أخرى أمامي (...) لا تسجد لهن ولا تعبدهن »[2] وصرحت به بعض نصوص الأناجيل والتي يرجح أنها البقية الباقية من الوحي الذي أنزل على عيسى عليه السلام:«لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد»[3]، « لا يقدر خادم أن يخدم سيدين لأنه إما أن يبغض الواحد و يحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر»[4] و الملاحظ في التفسيرات المسيحية لمثل هذه النصوص أنها إما أن تتحاشاها لأنها تصرح بالتوحيد الذي يرفض أي تعدد ومنه التعدد المسيحي، وتكتفي بالصيغة العامة -الله- دون إشارة إلى علاقة الثالوث المسيحي بجوهر النص، وإما أن تركز على الجوانب

---

(1) تث 4/6.

(2) خر 3/20-6.

(3) مت 10/4.

(4) لو 13/16.

الفرعية للنص دون الاهتمام بأصله الجوهري[1]. وجاء على لسان المسيح عيسى أيضا : «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل، فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء و الأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل...»[2] والناموس في التفسير المسيحي هو الشريعة الإلهية بشقيها العقدي و السلوكي، فهذه لم يأت عيسى عليه السلام لينقضها بضدها، أو يتركها، إنما جاء ليبين الطريقة الصحيحة لتطبيقها، لأن الغالب على بني إسرائيل زمن بعثة عيسى في علاقتهم بهذه الشريعة هو التمسك الشكلي الظاهري بها، تمسك يلتبس بالرياء والإدعاء، لا تمسك بالجوهر و الحقيقة، لذلك طالبهم المسيح بضرورة الإخلاص لله تعالى [3] ، وهو ما يبينه تحذيره الآتي: « احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السماوات (...)و متى صليت فلا تكن كالمرائين(...)لكي يظهروا للناس(...) وأما أنت إذا صليت فأدخل إلى مخدعك (...) وصل إلى أبيك الذي في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية...»[4]. مثل هذه المواعظ التي يعج بها الإنجيل هي صورة حية لمفهوم الإكمال الذي جاء به عيسى عليه السلام حسب الأناجيل، كما أن الإكمال الذي جاء من أجله هو مواصلة للرسالة التي سبقه بها الأنبياء والرسل الأولون كترسيخ دعائم التوحيد وهداية الخاطئين والضالين وتحليل الحلال وتحريم الحرام، فالمهمة الأولى هي ما أشارت إليه النصوص السابقة.[5] والمهمة الثانية هي ما تشير إليه النصوص الآتية :«لأني لم آت لأدعو أبرارا بل خطاة إلى التوبة»[6]،« لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة »[7]. أما المهمة الثالثة فهي ما أشار به المسيح على الذي جاء يستنصحه:« فاحفظ الوصايا (...) لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا

---

(1) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس (مصدر سابق)، ص2129 وشربنتيه، دراسة في الإنجيل كما رواه متى ، ط4(بيروت: دار المشرق،1987)، ص29، على سبيل المثال لا الحصر.

(2) مت5/17-18.

(3) التفسير التطبيقي(مصدر سابق)، ص1875.

(4) مت 6/1-7.

(5) مت 10/4،لو 13/16.

(6) مت 13/9.

(7) مت 15/ 24.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك، وأحب قريبك كنفسك...»[1] و الملاحظة الهامة في هذا النص الأخير أن المسيح عليه السلام نصح السائل أن يرجع إلى الوصايا العشر الموجودة في توراة موسى، وهي إشارة واضحة إلى التمسك بصيغة الشريعة الموسوية بشقيها العقدي والسلوكي، وأول وصية في هذه الوصايا هي الوصية بالتوحيد أي عبادة الله وحده لا شريك له[2]، والمقابلة الآتية بين وصايا موسى العشر و وصايا عيسى تكشف لنا عن أن عيسى لم يكن بدعا من الرسل في دعوته بل سائرا على درب الرسل السابقين له، وأن كونه مكملا لا ناقضا يعني المحافظة على الثوابت في العقيدة و الشريعة الموسوية، وتغيير ما كان ممكنا تغييره و تصحيحه في شرائع الحلال و الحرام و السلوك العام :

وصايا موسى في التوراة	وصايا عيسى في الإنجيل
«لا يكن لك آلهة أخرى أمامي...»خر 3/20 .	« لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد » مت 10/4 .
« لا تصنع لك تمثالا ...» خر 4/20 .	«لا يقدر خادم أن يخدم سيدين » لو 14/16 .
« لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا...» خر 7/20	« لا تحلف البتة لا بالسماء لأنها عرش الله ..» مت 34/5 .
«أذكر يوم السبت...» خر 8/20.	« السبت إنما لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت » مر 27/2 .
« أكرم أباك وأمك » خر 12/20.	«من أحب أبا أو أما أكثر مني فلا يستحقني » مت 37/10 .

[1] مت 16/19-20.
[2] خر 2/20-6.

« لا تقتل » خر 13/20 .	« إن كل من يغضب باطلا يكون مستوجب الحكم » مت 22/5 .
«لا تزن ...» خر 14/20 .	« كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه » مت 28/5 .
« لا تسرق..» خر 15/20 .	« من أراد مخاصمتك وليأخذ ثوبك فاترك له رداءك أيضا » مت 40/5
« لا تشهد زورا على جارك » خر 16/20.	«إن كل كلمة باطلة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين» مت 36/12 .
« لا تشته بيت قريبك ...» خر 17/20 .	« وتحفظوا من الطمع » لو 12/ 15 .

والملاحظ من هذه المقابلة أن ما جاء به عيسى عليه السلام لم يخرج عما جاء به موسى عليه السلام قبله، و أصول الاعتقاد بالله متطابقة كما تبينه النصوص الثلاثة الأولى ، وأصول التشريع للحلال والحرام كذلك هي ذاتها مع التفصيل أكثر في شريعة عيسى.كما أن القرآن الكريم الذي جاء بعد إنجيل عيسى يؤكد أن رسالة عيسى لا تخرج عن طبيعة الرسالات السماوية السابقة المنزلة على أنبياء الله ورسله من نوح إلى محمد عليهم السلام، ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ [1]، وفسر المشروع من الدين بالذي جاء

[1] الشورى /13.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بعده.أن أقيموا الدين و لا تتفرقوا فيه. و المراد إقامة توحيد الله وطاعته والإيمان بسائر أصول الدين[1]. وجاء في آية أخرى كذلك :﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [2] أي اتبعنا على أثر الأنبياء و السابقين عيسى، وكان متبعا لما في التوراة غير مخالف لها إلا في القليل من مسائل التحليل والتحريم [3] ، كما في قوله تعالى :﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ(50)إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [4] .

فالتوحيد لم يخالف فيه عيسى أي من أنبياء الله ورسله الذين سبقوه في دعوة أقوامهم إلى توحيد الله تعالى و نبذ ما يعبدون ويشركون معه من أنواع الآلهة، ومن خلال التمحيص السابق يتبين جليا أن النبي عيسى مُبرّءٌ من القول بالتثليث، وأن هذا التثليث دخيل إلى ديانة عيسى التي كانت ديانة سماوية تدعو إلى الله الواحد رب المسيحيين ورب غير المسيحيين.

2-الإنجيل ينقض عقيد الثالوث الإلهي :

إن الأناجيل التي يستمد منها المسيحيون عقيد التثليث هي نفسها تنقض التعدد الإلهي سواء كانت تثليثا، أو غيره إذ فيها نصوصا كثيرة تمجد الله الواحد سبحانه، وتثبت أن عيسى إنسان مكلف بالرسالة من الله، وأن القوانين الإلهية تسري عليه كسائر البشر،إذ لو كان إلها كما يزعم أتباعه لكان فوق تلك القوانين والسنن، وهذا ما سيكشفه التمحيص الآتي للنص الإنجيلي :

أ-الإنجيل فيه ما يثبت وحدانية الله و نفي الألوهية عن غيره:

سبق وأن بينا أن دعوة عيسى لم تكن مناقضة لدعوات من سبقوه من الأنبياء و الرسل، وإنما كانت إعادة لتوكيد ما دعا إليه إخوانه السابقون تكملة لجهودهم، فقد كان يدعو إلى

---

[1] الزمخشري، الكشاف،م3(بيروت: دار المعرفة، دت)، ص463.

[2] المائدة/46.

[3] ابن كثير التفسير. م2(مصدر سابق)، ص585.

[4] آل. ع/50-51.

طريق الله تعالى وحده، صدقا وعدلا وإخلاصا [1] . ولم يرد نص في الإنجيل على لسان عيسى عليه السلام يدعي فيه صراحة أنه إله، أو يدعي فيه صفة إلهية، ونقاد الإنجيل من المسيحيين أنفسهم يؤكدون هذه الحقيقة[2] ، بل يؤكد الألوهية لله الواحد، ويثبت الصفات العليا والأسماء الحسنى لله وحده كما سنعرف بعد قليل، أما كون المسيح إله فهي إضافة من المسيحيين من خلال إضافة عبارة « وتجسد في يسوع المسيح »إلى الله تعالى[3] استنادا إلى نصوص حلولية واتحادية مثل « أنا والآب واحد » [4]، « إن الآب في وأنا فيه »[5] ، واستنادا كذلك إلى نصوص تشير إلى المماثلة بين الله وبين المسيح مثل:« لو عرفتموني لعرفتم أبي »[6]،« الذي يراني يرى الذي أرسلني»[7]. لكن هذه النصوص وأشباهها التي تلبس عيسى عليه السلام بالألوهية جاءت في إنجيل يوحنا وهو آخر الأناجيل المكتوبة، وقد استقى من الأناجيل السابقة له، وهذه الأخيرة لا يوجد فيها مثل هذه العبارات التي تضع المسيح في مقام الألوهية ، الأمر الذي يجعلنا نرجح أن راوي هذا الإنجيل نسب إلى يوحنا زورا وبهتانا هذه العبارات، إرادة منه في إفساد عقيدة التوحيد،وإيمانا منه بألوهية المسيح [*] . وهناك نقاد مسيحيون يذهبون إلى أن إنجيل يوحنا غير تاريخي، وأنه من وضع عصر لاحق لعصر يوحنا[8] ، كما أن عبارة « ابن الله» التي قالها يوحنا في البشارة الرابعة مشكوك فيها لأن نقاد الإنجيل يستبعدون الإصحاحات الثلاثة الأولى من إنجيل يوحنا، لأنها في نظرهم محاولة من كاتبها لإقناع اتباع النبي يوحنا المعمدان الذين كانوا ملتفين حوله قبل مجيء المسيح بالدخول في الكنيسة، أي الجماعة المسيحية الأولى

---

[1] مت 16/22.

[2] شال جينيبر، المسيحية نشأتها وتطورها(مرجع سابق)، ص39.

[3] ماكدويل ، نجار وأعظم،ترجمة سمير الشوملي، ط2(فلوريدا: مطبعة فيدا، 1994)، ص6.

[4] يو 30/10.

[5] يو 38/10.

[6] يو 19/8.

[7] يو 25/12.

[*] سنعرف هذا في تمحيص الملابسات التاريخية لألوهية عيسى.

[8] جورها ردوش ، علم اللاهوت الكتابي (مرجع سابق)، ص553.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حين بعث يسوع نبيا إلى بني إسرائيل [1]. فإذا استبعدنا هذه الإستثناءات المتعلقة بهذه النصوص المشبوهة بقي في الإنجيل النصوص التي تثبت الألوهية والربوبية لله الواحد الأحد ذاتا و اسما وصفة، وهذا ما نلمسه في النصوص الآتية على سبيل المثال لا الحصر:

فهو [الله الخالق، والله الجامع لما لا يفرقه الإنسان، صاحب الملكوت][2] [وهو الله الواحد و الصالح][3] [والله لا يعجزه شيء، و كل شيء مستطاع عنده][4] ، و لما سأل اليهود عيسى عليه السلام عن أعظم وصية وأولاها فقال المسيح : «إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك و من كل نفسك ومن كل فكرك و من كل قدرتك، هذه هي الوصية الأولى »[5] ، فقيل له:« بالحق قلت لأنه الله واحد، وليس آخر سواه»[6]، ثم قال يسوع بعد أن سمع هذا الرد :« لست بعيدا عن ملكوت الله »[7]. وهذا تأكيد واضح من المسيح على أحادية الله ووحدانيته . وجاء في الحوار الذي جرى بين عيسى عليه السلام و الشيطان، إذ قال له عيسى:« أذهب يا شيطان أنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد »[8]. وهذا أيضا دليل واضح على أن عيسى شاهد على وحدانية الله، ووجوب عبادته وحده، ولما قال له الشيطان أيضا ألق بنفسك إلى الهاوية وأن الملائكة ستحفظك قال له عيسى :« إنه قيل لا تجرب الرب إلهك»[9]، ولم يقل له أباك، وهذا تأكيد على ربوبية الله وألوهيته وحده. و قال المسيح أيضا جوابا عمن قال له صالحا:« لمـــــاذا تدعوني صالحا ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله»[10]. والله سبحانه

---

[1] المرجع نفسه، ص479-480.
[2] مر 10/6-15.
[3] مر 10/18.
[4] مر 10/27.
[5] مر 12/29-30 .
[6] مر 12/32 .
[7] مر 12/34 .
[8] لو 4/7 .
[9] لو 4/9-12.
[10] لو 18/18-19.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كامل[1] . و الكامل لا يستكمل بشريك سواء كان ابنا أو غيره. و هو يرى في الخفاء ويجازي علانية [2]، و هو غافر الذنوب[3]ومنجي، وله الملك والقوة والمجد، وهو الواهب[4]، والمهلك[5]،وهو رب السماوات والأرض[6]، وهو الخالق من البدء [7]، واستطاعته مطلقة[8]،وهو القدير القدوس[9]، وهو المبارك[10]،وهو المنعم والعلي والرحيم[11]، وهو المنصف لعباده [12] ، هذه الصفات والأسماء ومثيلاتها في الإنجيل جميعها تفرد الله تعالى في ذاته وأفعاله، وقد نسبها المسيح عليه السلام إلى الله لا إلى نفسه، مما يدل على تبرئه عما ينسب إليه من صفات الألوهية، ودليل ذلك أيضا النعوت البشرية التي اتصف بها المسيح في الإنجيل نفسه .

ب-طبيعة عيسى وصفاته البشرية تنفي عنه الألوهية :

عيسى عليه السلام ذو نسب و موطن فهوا إسرائيلي قح[13] ، وناصري من الناصرة[14]، فهو من سلالة النبي داود عليه السلام من جهة أمه مريم [15] وزوجها يوسف النجار .

(1) مت 48/5.
(2) مت 8/6 .
(3) مت 12/6 - 13.
(4) مت 11/7.
(5) مت 28/10 .
(6) مت 25/11 ولو 21/10 .
(7) مت 53/19 ومر 6/10 .
(8) مت 19 و21-لو37/1 .
(9) لو 49/1
(10) لو68/1.
(11) لو35/6 .
(12) لو 7/18-8 .
(13) يو47/1.
(14) يو45/1.
(15) مت 1/1الو23/3.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

و الله سبحانه وتعالى لا ينسب ، ولا يحده زمان و لا مكان ، وقد حمل عيسى في بطن أمه كسائر البشر[1]، وولد كما يولد البشر[2]، وأرضع[3]، ونشأ وتربي [4]و لما كان عمره اثنتا عشرة سنة ابتدأ بالسفر بصحبة أبويه لحضور عيد الفصح اليهودي[5]، فهو إنسان يسمى يسوع[6]و هو نجار يمتهن النجارة[7]، وكان يأكل و يشرب[8]، وكان يركب الأتان والجحش[9]، وهو ينام[10]، يتعب[11]،يعطش[12]، يصوم ويجوع[13]، يترعج ويضطرب[14]،يحزن[15]،يبكي[16]،يدهش[17]، يتستر خوفا من اليهود[18]، محارب بالسيف[19]، فقير[20] ، متاعه تافه[21]، يدفع الضريبة

(1) لو2/6 .

(2) مت 2/1 .

(3) لو 11/27 .

(4) لو2/40.

(5) لو 2/41 .

(6) يو 9/11 .

(7) مت 13/55 .

(8) مت 11/19ولو7/34 .

(9) مت 21/5 .

(10) مت 8/24 .

(11) يو 4/6 .

(12) 19/28 .

(13) مت 4/2 .

(14) يو 11/33 .

(15) مت 26/37 .

(16) يو 11/35 .

(17) مر 14/33 .

(18) يو11/53 .

(19) مت 10/34.

(20) مت 8/20.

(21) لو 3/6، يو19/23.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

للرومان[1]،عاجز[2]، يصلي[3]، يجرب من قبل الشيطان[4]، يلقي عليه أعدائه القبض، و يوثق ويساق[5]، يستهزء به ويجلد[6]، يحكم عليه بالموت[7]، يموت[8]، يكفن[9]، ويقبر[10]، ولا يعقل إذا كان المسيح إلها أو ابن اله أن تسري عليه هذه السنن التي تسري على المخلوقات الضعيفة، ومنها الإنسان .

جـ- عيسى نبي مرسل لا إنسان متأله :

هناك نصوص كثيرة في الإنجيل تصرح بنبوة عيسى ورسالته إلى بني إسرائيل منها على سبيل المثال لا الحصر:

« لم أرسل إلا لخراف بيت إسرائيل الضالة » [11].

«و لما جاء-يسوع- إلى وطنه كان يعلمهم في مجمعهم حتى بهتوا وقالوا من أين لهذا هذه الحكمة والقوات – الآيات والمعجزات- أليس هذا ابن النجار، أليست أمه تدعى مريم وأخوته يعقوب (...) وأما يسوع فقال لهم ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته »[12].

«ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة من هذا، فقالت الجموع هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل »[13]

---

(1) مت 17/24-27 .

(2) يو5/30 .

(3) مر 1/35 .

(4) مر 1/12 .

(5) يو 18/12.

(6) لو22/63 .

(7) مر 14/64 .

(8) مر 15/37 .

(9) مت27/59 .

(10) مر 15/46 .

(11) مت 15/24 .

(12) مت 13/54-58.

(13) مت 21/10-11 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وعيسى رسول من الله مؤيد بمعجزات كثيرة[1] منها : إحياء الأموات[2]، يخرج الأرواح النجسة من المجانين[3]، يحول الطعام القليل إلى كثير[4]، يشفي المرضى عموما[5]،يبرئ الأصم والأبكم[6]، ويبرئ الأعمى[7]، الذين حضروا وقوع معجزات الله على يد عيسى شهدوا له بالنبوة لا بالألوهية : «فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين قد قام فينا نبي عظيم »[8]، وقال بعضهم في مناسبة أخرى :«... يسوع الناصري الذي كان إنسانا نبيا مقتدرا في الفعل و القول أمام الله وجميع الشعب»[9]، وقالت امرأة سامرية أثناء حوار بينها و بين المسيح :« سيد أرى أنك نبي» وقالت له أيضا: « أنا أعلم أن مسيا –مسيحا– الذي يقال له المسيح يأتي فمتى جاء ذلك يخبرنا بكل شيء، قال لها يسوع أنا الذي أكلمك هو »[10] فلم يعترض المسيح على إسم النبي، و لم يقل لها إني إله أو ابن إله، و لما شهد جمع كبير من الناس معجزة أجراها الله على يد عيسى، و هي تكثير الطعام القليل وتوزعيه على الحاضرين بالكفاية شهدوا له بالنبوة :« فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم»[11]، «...صعد يسوع إلى الهيكل و كان يعلم، فتعجب اليهود قائلين كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلم، أجابهم يسوع وقال تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني، إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسي، من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه وأما من يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم»[12]، وهذا إقرار واضح من عيسى أنه

---

(1) يو 3/1-2 .
(2) يو 44/11 .
(3) مر 5/1-16 .
(4) مر 37/6-44 .
(5) مر 23/1-42 .
(6) مر 7/32-35 .
(7) مر8/22-25 .
(8) لو 7/11-16 .
(9) لو 19/24 .
(10) يو 4/19-25 .
(11) يو 14/6 .
(12) يو 7/14-18 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مرسل من الله، وأنه لا يملك من العلم إلا ما علمه الله وأنه جاء لتكريس دعوته لله بالتمجيد والتعظيم، و لم يأت طالبا المجد لنفسه فينسب إلى نفسه مالا يستحقه من صفات الله، ولو فعل ذلك، فنازع الله في مكانته كإله ورب و صاحب الصفات العليا المطلقة والكاملة،ولو بمجرد الإدعاء، لكان كاذبا و ظالما، لكن المسيح نفى ذلك عن نفسه، و من ثم فهو رسول صادق وعادل فيما يدعو إليه من توحيد الله وتعظيمه وإجلاله و تمجيده .

د- الله سبحانه و تعالى وعيسى في إنجيل برنابا :

بعد تأصيل الكنيسة المسيحية لعقيدة الثالوث الإلهي. قامت بحذف واستبعاد كل الأناجيل التي تتعارض و العقائد المسيحية المؤصلة عن طريق الكنيسة[1] رغم أنها تتحدث عن حياة المسيح وتعاليمه، ومن بين هذه الأناجيل المستبعدة إنجيل برنابا، إذ تعده الكنيسة إنجيلا منحولا كتب باللغة الإيطالية في القرن السادس عشر الميلادي[2] ، و لكن هذا الإنجيل حسب دراسات المحققين كان معاصرا لمؤتمرات المجامع المسكونية التي قننت الإيمان المسيحي، وقد استبعد هذا الإنجيل من قبل المسيحيين المثلثين لله ابتداء من مجمع نيقيه سنة 325م ، وبقي هذا الإنجيل متداولا في الخفاء بين أيدي المؤمنين به وبعقائده[3]، فما موقف هذا الإنجيل من عقيدة الألوهية كما جاء بها عيسى، وموقفه من عيسى نفسه؟ حسب رواية صاحبه برنابا[4] .

1-الله سبحانه:

جاء في نص يتحدث فيه الله تبارك و تعالى إلى إبراهيم الخليل عليه السلام على لسان عيسى « فتكلم الله قائلا: أنا الله أحد،ولا إله غيري، أضرب و أشفي، أميت وأحيي، أنزل إلى الجحيم وأخرج منه. و لا يقدر أحد أن ينقذ نفسه من يدي. ثم أعطاه الله عهد الختان. وهكذا

---

[1] موريس بوكاي، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة (مرجع سابق)، ص5-6.

[2] جاك جوميه،المسيح بن مريم(مرجع سابق)، 266 .

[3] أحمد حجازي السقا، التعريف بإنجيل برنابا(في مقدمة كتاب إنجيل برنابا)، ترجمة خليل سعادة(القاهرة: دت)، ص72-73.

[4] **برنابا هو أحد رسل و تلاميذ عيسى (إنجيل برنابا/93) وهو الذي قال له عيسى عليه السلام:« يا برنابا عليك أن تكتب إنجيلي حتما وما حدث في شأني مدة وجودي في العالم، واكتب أيضا ما حل بيهوذا ليزول انخداع المؤمنين و يصدق كل أحد الحق، حينئذ أجاب (...) إني لفاعل ذلك إنشاء الله يا معلم » بر 1/221-3.**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عرف الله أبونا إبراهيم. و لما قال عيسى هذا رفع يديه قائلا: الكرامة والمجد لك يا ألله، ليكن ذلك»[1].

و في مناسبة أخرى سأل أحد تلاميذ المسيح وهو فليبس قائلا :«إننا لراغبون في خدمة الله و لكننا نرغب أيضا أن نعرف الله ، لأن أشعيا النبي قال حقا أنك لإله محتجب، وقال الله لموسى عبده: أنا الذي هو أنا، أجاب يسوع يا فيلبس إن الله صلاح بدونه لا صلاح، إن الله موجود بدونه لا وجود إن الله حياة بدونه لا أحياء، هو عظيم حتى أنه يملأ الجميع، و هو في كل مكان، هو وحده لا ند له، لا بداية ولا نهاية له، لا أبناء ولا أخوة ولا عشراء له، ولما كان ليس لله جسم فهو لا يأكل ولا ينام ولا يموت ولا يمشي، ولا يتحرك، ولكنه يدم إلى الأبد بدون شبيه بشري، لأنه غير ذي جسد، وغير مركب وغير مادي، وأبسط البسائط، وهو جواد لا يحب إلا الجود، وهو مقسط حتى إذا هو قاصَّ أو صفح فلا مرد له، وباختصار أقول لك يا فيلبس، إنه لا يمكنك أن تراه و تعرفه على الأرض تمام المعرفة، و لكنك ستراه في مملكته إلى الأبد حيث يكون قوام سعادتنا ومجدنا، أجاب فيلبس ماذا تقول يا سيد؟ حقا كتب في أشعياء[2] أن الله أبونا، فكيف لا يكون له بنون؟ أجاب يسوع : إنه في الأنبياء[3] مكتوب أمثال كثيرة لا يجب أن تأخذها بالحرف بل بالمعنى، لأن كل الأنبياء البالغين مائة وأربع وأربعين ألفا الذين أرسلهم الله إلى العالم قد تكلموا بالمعمَّيات بظلام، و لكن سيأتي بعدي بهاء كل الأنبياء والأطهار[4] فيشرق نورا على ظلمات سائر ما قال الأنبياء، لأنه رسول الله »[5].

فمن النصوص السابقة يتضح جليا ما كان يدعو إليه عيسى عليه السلام من دعوة إلى توحيد الله تعالى على درب ملة إبراهيم الذي سبقه، و درب موسى وأشعياء عليهم السلام، وأن الله سبحانه يتصف بصفات لا يشاركه فيها أحد كصفة الحياة و العظمة و الصلاح المطلق والوجود المطلق وإحاطته المطلقة بكل مكان وزمن وما فيهما، وأنه الواحد الذي لا يوجد له ند

---

(1) بر 32/29-40.

(2) اش 16/63. و 8/64 .

(3) أي في كتب الأنبياء السابقين لعيسى .

(4) هو النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم.

(5) بر 1/17 -23 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ولا كفؤ وهو السرمدي الذي لا بداية لوجوده ولا نهاية، وهو المبدئ لكل شيء من لا شيء والمنهي لكل شيء، ولم يولده أب ولا أم ويتنزه عن الانتساب إلى أحد بالقرابة مهما كان نوعها، وهو لا يشبه في طبيعته أي شيء من الأشياء، ومن ثم فهو يتنزه عن صفات الأشياء والمخلوقات كالحركة والمشي الحسيين، والأكل و النوم وغيرها وهو جواد وعادل ولا يرى في الدنيا ولكن يرى في الآخرة ، وهو يتنزه عن الأبوة وإن وجد في كتب الأنبياء ما يوهم بأبوته فهي بالمجاز لا بالحقيقة لأنه لم يلد ولم يولد،و إن مثل هذه النصوص الموهمة سيأتي نبي مرسل بعد عيسى هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم يبينها ويحكمها فلا تبقى حينئذ شبهة فيها ولا لبس، بحيث تصبح عقيدة الألوهية عن طريقه هذا النبي واضحة جلية، تزيل ما كان عالقا من الأوهام والانحرافات في كتب من سبقه من الأنبياء و الرسل حول عقيدة الألوهية

ب-عيسى:

يعج إنجيل برنابا بحديث عيسى عن نفسه كبشر عادي كسائر البشر،و لكن الله خصه بالنبوة والرسالة، وأنه إن لم يتغمده الله برحمته لسوف يهلك بما يتقول عليه المتقولون من الأتباع والأعداء، فمما يروي عنه برنابا أنه خطب يوما في بني إسرائيل بعدما انبهروا بمعجزاته التي أوتيها من الله قائلا :«إنكم قد ضللتم ضلالا عظيما أيها الإسرائيليون لأنكم دعوتموني إلهكم وأنا إنسان، وإني أخشى لهذا أن ينزل الله بالمدينة المقدسة وباء شديداً، مسلّما إياها لاستعباد الغرباء، لعن الشيطان الذي أغراكم بهذا ألف لعنة، ولما قال يسوع هذا صفع وجهه بكلتا كفيه فحدث على إثر ذلك نحيب شديد حتى لم يسمع أحد ما قاله يسوع، فرفع من ثم يده مرة أخرى إيماءً للصمت، و لما هدأ نحيب القوم تكلم مرة أخرى:أشهد أمام السماء وأشهد كل شيء على الأرض أني بريئ من كل ما قد قلتم، لأني إنسان مولود من امرأة فانية بشرية،وعرضة لحكم الله، مكابد شقاء الأكل والمنام، وشقاء البرد و الحر كسائر البشر، لذلك متى جاء الله ليدين يكون كلامي كحسام يخرق كل من يؤمن بأني أعظم من إنسان» وأثناء هذا الخطاب، قدم إلى عيسى كاهن وصل لتوه مع جند من الروم أراد السجود لعيسى فقال له عيسى:«حذار ما أنت فاعل يا كاهن الله الحي لا تخطئ إلى الله .أجاب الكاهن : **إن اليهودية قد اضطربت لآياتك وتعليمك حتى أنهم يجاهرون بأنك أنت الله فاضطررت بسبب الشعب إلى أن آتي إلى هنا مع الوالي الروماني و الملك هيردوس، فنرجوك من كل قلبنا أن ترضى بإزالة الفتنة التي**

ثارت بسببك، لأن فريق يقول:أنك الله، وآخر أنك ابن الله، ويقول فريق إنك نبي، أجاب يسوع: و أنت يا رئيس كهنة الله لماذا لم تخمد الفتنة، هل جننت أنت أيضا ؟ هل أمست النبوات و شريعة الله نسيا منسيا أيتها اليهودية الشقية التي ظللها الشيطان؟[1]، ثم قال عيسى: « إني أشهد أمام السماء وأشهد على كل ساكن على الأرض أني بريء من كل ما قال الناس عني من أني أعظم من بشر (...) لَعَمر الله الذي تقف نفسي بحضرته إنك أيها الكاهن لقد أخطأت خطيئة عظيمة بالقول الذي قلته (...) فقال حينئذ الكاهن: ليغفر لنا الله. أما أنت فصل لأجلنا[2]».

و قال في رده على كل من انبهر بمعجزاته[3] واعتقد أنه الإله أو ابن الإله جهلا، ليبصره بحقيقة الأمر، وأنه ما هو إلا نبي مؤيد من الله كما أيد الأنبياء والرسل الذين سبقوه بالمعجزات الباهرات تفوق حتى ما أوتيه عيسى، كموسى و يشوع وإليا وغيرهم:« لأنكما لو قرأتما العهد وميثاق إلهنا لرأيتما أن موسى حول بعصاه البحر دما و الغبار براغيث، و الندى زوبعة، و النور ظلاما، أرسل الضفادع و الجرذان على مصر، فغطت الأرض وقتل الأبكار، وشق البحر، وأغرق فيه فرعون، و لم أفعل شيئا من هذه، وكل يعترف بأن موسى إنما هو الآن رجل ميت. أوقف يشوع الشمس و شق الأردن و هما مما لم أفعله حتى الآن، وكل يعترف بأن يشوع إنما هو الآن رجل ميت. وأنزل إليا النار من السماء عيانا و انزل المطر وهما مما لم أفعله، وكل يعترف بأن إليا إنما هو بشر، وكثيرون آخرون من الأنبياء و الأطهار وأخلاء الله فعلوا بقوة الله أشياء لا تبلغ كنهها عقول الذين لا يعرفون إلهنا القدير الرحيم المبارك إلى الأبد»[4]. ثم قال أمام الملك و الوالي و الكاهن اليهودي مستشهدا إياه على ما يقول من التوراة و كتب أنبياء بني إسرائيل، وأمام كل الحاضرين من المؤمنين و غيرهم:« توبوا لأنكم تعرفون خطيئتكم من كل ما قال الكاهن أنه مكتوب في سفر موسى عهد الله إلى الأبد، فإني بشر منظور،وكتلة من طين تمشي على الأرض، وفان كسائر البشر، وإنه كان لي بداية وسيكون لي نهاية ، وأني لا أقدر

---

(1) بر 2/93-23 .

(2) بر 1/94-5 .

(3) قال ذلك مخاطبا ملك ووالي اليهودية الرومانيين .

(4) بر 9/94-17 .

أن أبتدع خلق ذبابة. حينئذ رفع الشعب أصواتهم باكين وقالوا: لقد أخطأنا إليك أيها الرب إلهنا فارحمنا، وتضرع كلهم إلى يسوع ليصلي لأجل أمن المدينة المقدسة لكيلا يدفعها الله في غضبه لتدوسها الأمم » [1] .

من خلال هذه النصوص يتبين لنا بشكل واضح حقيقة عيسى عليه السلام الذي غالى فيه المسيحيون إلى درجة أن جعلوه ابنا لله وإلها مساويا لله، فهو لا يعدو أن يكون بشرا كسائر البشر كما شهد على ذلك بنفسه أمام المبعوث فيهم من اليهود وغيرهم، و أن ما أوتي من آيات باهرات التي أفتتن بها صنف من الناس فاعتقدوا فيه الألوهية، ما هي إلا تأييد من الله تصديقا لرسالته، وأن الأنبياء الذين سبقوه أوتوا أكثر مما أوتي من هذه الآيات، فلم يؤلهوا و لم يساووا مع الله .

هـ - بطلان العنصر الإلهي الثالث (الروح القدس):

إن النصوص السابقة من الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحيين، ومن إنجيل برنابا، التي أثبتت وحدانية الله في ذاته و أسمائه وصفاته، و التي أثبتت كذلك بطلان ألوهية وبنوة عيسى، أكبر دليل على بطلان وجود أي عنصر إلهي آخر مع الله سواء ما كان يسمى روح القدس أو غيره .

ثم أن التفسيرات المسيحية للروح القدس متباينة تباينا كبيرا ابتداء من مجمع القسطنطينية سنة 381م، ففريق من المسيحيين لا يرون فيه إلا ملكا من الملائكة المقربين وهو جبريل عليه السلام ملك الوحي الذي كان يتزل على الأنبياء و المرسلين، ومن هؤلاء الأريوسيون أتباع أريوس (+270م) المخالف لعقائد الكاثوليكيين الذين يجعلون روح القدس جوهر إلهي [2] .

وقال بعضهم إنه تعبير مجازي عن أفعال الله[3]. و مما تجدر الإشارة إليه أنه تبين لنا سابقا في بحث الروح القدس كعنصر ثالث في العقيدة الإلهية المسيحية ، أن من مهامه الكبرى تأييد المؤمنين المسيحيين.خاصة في الكنائس، بالمعرفة و الفهم وحل المشاكل الإيمانية، لكن حدث مرة في أحد المجامع الكنسية أن دب خلاف بين الكاثوليكيين والأرثوذوكسيين حول تفسير

---

(1) بر95/18-23.

(2) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة (مرجع سابق)، ص120.

(3) البستاني، دائرة المعارف، م8(مصدر سابق)، ص747.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

طبيعة روح القدس، وفي غمرة الجدال و الصراع اعتزلهم رجل مؤمن وشرع في البكاء، فأقبل إليه بعضهم يسألونه عن سبب بكائه، فأجابهم إني أبكي على الروح القدس المفقود، لأنه لو كان هذا الروح القدس موجودا بينكم لما اختلفتم عليه[1] ! وكم من خلاف كان ومازال بين المسيحيين في أصول الاعتقاد، لم يفصل فيها هذا الروح القدس المزعوم، وهو الذي ينسب إليه التأييد، وإعطاء المعرفة وفض الخصومات بين المؤمنين به!

3-التعدد في العقيدة الإلهية المسيحية دخيل من العقائد الوثنية :

أ-دور بولس في إفساد عقيدة الألوهية في النصرانية:

إن التحقيق التاريخي في انحراف العقيدة الإلهية خصوصا و باقي العقائد عموما في المسيحية يدين أشهر شخصية مرموقة عند المسيحيين وهو بولس (+10م)[2]، أو شاؤول اليهودي[3] الذي كان ينتمي إلى فرقة الفريسيين[*] اليهودية، وهو المسؤول الأول المباشر عن تحريف الإيمان الصحيح الذي جاء به عيسى، وقد كان بولس من ألد أعداء المسيحية في بداية ظهورها، باعتباره يهوديا مخلصا ليهوديته، ثم اعتنق المسيحية بسبب حادثة وقعت له وهو في طريقه نحو دمشق أثناء مطاردته للمسيحيين[4]، ويرى بعض الباحثين أن هذه الواقعة من افتراءات بولس، وليست حقيقية،افتراها ليصدقه الناس لما سيتقوله على المسيح من اعتقادات باطلة[5]، وكان بولس متشبعا بالثقافة اليونانية والرومانية[6] حيث كانت اللغة اليونانية لغته الأصلية، وكان يتمتع بحقوق المواطنة الرومانية، وقد دامت دعوته حوالي أربعة

---

[1] عبد الله صالح، الوحدة و الاتحاد المسيحي (بيروت: مطبعة الغريب، دت)، ص15.

[2] ذلك التاريخ هو المرجح (ول ديورانت. قصة الحضارة ، 11 إعداد وترتيب محمد عبد الرحيم، ط1(بيروت: دار جيل، 1992)، ص249).

[3] ع 22: 3.

[*] هم فرقة يهودية مشهورة كانت تزعم الإشراف على المقدسات اليهودية، كانوا يتميزون بالتمسك الظاهري المتشدد للشريعة الموسوية. ناصبوا العداء لدعوة المسيح وكانوا أكثر المجادلين له، قال فيهم المسيح :« جيل شرير فاسق...» مت 4/16.

[4] لو 9، أع 22/6، 26/12-18.

[5] سمية أحمد حسنتية، تحريف رسالة المسيح عبر التاريخ، ط1(دمشق: دار القلم، 2000)، ص147.

[6] شارل جيبير، المسيحية نشأتها و تطورها (مرجع سابق)، ص94 .

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وعشرين سنة، من سنة 36-60م. كما يعزى لبولس إحداث الشقاق في الجماعة المسيحية الأولى وانفصاله عن كنيسة القدس الأم، التي كان أغلب أتباعها من اليهود المؤمنين بعيسى، وإنشاء جماعة كنسية جديدة أغلب عناصرها من الوثنيين الذين دخلوا المسيحية، ويعد هذا الانشقاق بداية لظهور ديانة مسيحية جديدة تختلف عن الديانة الأم[1]. وهو الذي أصل عقيدة بنوة المسيح لله، وعقيدة الخلاص بما أعطاه من معنى لفكرة الصلب المزعومة، إذا عد موت المسيح تكفيرا عن خطايا البشر، وتخليصا لهم من عقوبة يوم الآخر[2]، كما أن لفظ « سيد» الذي لقب به المسيح في الأناجيل ورسائل بولس أصله هيلينيستي أدخله بولس في النصوص المسيحية، و هذا اللفظ تقابله في اليونانية لفظة «خيريوس»، وهي نفس الكلمة التي كان يستخدمها العبيد اليونانيون لإظهار ولائهم لأسيادهم، واستعار بولس هذا اللقب لتجسيد حقيقة العلاقة بين المسيح وبين أتباعه، وهي علاقة عبودية لا علاقة رسالة، أي جعله معبودا بدل أن يكون رسولا[3]، واللفظة نفسها تعني أيضا:« الرب» وهي لفظة تعج بها الأناجيل كــــــان اليونانيون يطلقونها على الإله المشخص[4]. وبولس في تأصيله لهذه العقائد الجديدة المغايرة لعقيدة التوحيد الأصلية كان متأثرا بعقائد الوثنية اليونانية والرومانية التي ترعرع فيها، سواء كان ذلك التأصيل بسبب الجهل أو بسبب تعمد الإفساد، حيث أن البيئة التي كان يدعو فيها بولس تومن بفكرة التجسد الإلهي التي ألبسها بولس للنبي عيسى، و دليل ذلك ما جاء في بعض النصوص الدينية المقدسة عند المسيحيين، إذ لما أشفى بولس أحد المرضى في حضرة جمع كبير من الناس في إحدى المدن التي كان يدعو فيها بمعية برنابا، صاح الجميع بقولهم أن الآلهة

(1) شارل جينيير، المسيحية (مرجع سابق)، ص112 .

(2) المرجع السابق، ص119.

(3) المرجع نفسه .

(4) عبد المجيد الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى(مرجع سابق)، ص52.

تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا فكانوا يدعون برنابا زفس، وبولس هرمس[*] (...) فأتى كاهن زفس(...) بثيران وأكاليل عند الأبواب مع الجموع ، فكان يريد أن يذبح »[1] .

وينظر إلى بولس من قبل الكثير من المسيحيين الأوائل المؤسسين للمسيحية على أنه خائن للمسيح، نظرا لما أحدثه من أراجيف في الديانة الأصلية الأمر الذي حولها عن مسارها الصحيح، إذ يقول موريس بوكاي في هذا الإطار :

« وإذا كان بولس أكثر وجوه المسيحية موضعا للنقاش، وإذا كان قد اعتبر خائنا لفكر المسيح، كما وصفته بذلك أسرة المسيح و الخواريون الذين بقوا بالقدس(...) فذلك لأنه قد كون المسيحية على حساب هؤلاء الذين جمعهم المسيح من حوله لنشر تعاليمه، ولما لم يكن قد عرف المسيح في حياته فقد برر لشرعية رسالته بأن أكد أن المسيح بعد قيامته قد ظهر له على طريق دمشق. و من المسموح به أن نتساءل ما كان يمكن للمسيحية أن تكون عليه دون بولس؟..»[2].و بولس حتى عند غير المسيحيين الذين يحققون في النصوص المقدسة ذات المصدر السماوي، كالمسلمين مثلا يعد كذابا، فهذا رحمة الله الكيرانوي مثلا يقول فيه:

« وكلام بولس على تقدير صحة النسبة إليه أيضا ليس بمقبول عندنا لأنه عندنا من الكاذبين الذين كانوا قد ظهروا في الطبقة الأولى،فإن كان مقدسا عند أهل التثليث، فلا نشتري قوله بحبة»[3]، و من الدلائل التي تشير إلى كذب بولس على المسيحيين في ضيعة المسيح ودوره، أن التلاميذ الإثني عشر المنسوب إلى بعضهم كتابة ورواية إنجيل عيسى لم يكونوا ينعتون عيسى عليه السلام « بابن الله » إنما كانوا ينعتونه « بخادم الله» ، «فابن الله» عبارة استخدمها بولس،متأثرا بالبيئة الثقافية و الدينية الهيلنستية، ويرجح بالضبط أنه أخذها من

---

[*] زفس وهرمس إلهان وثنيان يونانيان كانت عبادتهما منتشرة في اليونان، وقيل أن هرمس هو اسم نبي الله إدريس، وباليونانية أرميس، أي عطارد، وعرب هرمس، لكن اسمه الأصلي : هنوخ أو أخنوخ [أحمد بن مصطفى ، الشهير بطاش كبرى زاده، موسوعة مصطلحات مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم تح علي دحروج(لبنان: مكتبة لبنان، 1998)، ص251] .

[1] أع 14/11-14.

[2] موريس بوكاي، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة (مرجع سابق)، ص 73 .

[3] رحمة الله الكيرانوي، إظهار الحق، 12(مصدر سابق)، ص 304 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المجمع الإنطاكي[1] كما يرجع إليه تأصيل فكرة الخطيئة الأصلية و الخلاص بالموت التكفيري، واستبدال الطقوس الدينية المستدخلة بالتوحيد الخالص[2]، إذ كان شائعا في البيئة التي تربى فيها بولس عقيدة موت الإله، أو السيد الإلهي ثم يبعث من أجل التكفير عن أتباعه وفدائهم، و من ثم فإن المرجح فيما يرى بعض الباحثين في أصول المسيحية أن هذه العقيدة الوثنية احتوت حادثة صلب المسيح المزعومة لتختمر بالعقيدة الوثنية لدى المسيحيين، و تخرج في مفهوم جديد مؤداه، أن السيد الإلهي عيسى مات تكفيرا عن خطايا البشر، ثم بعث إظهارا لقدرته الإلهية[3]، وعلى هذا المنوال التلاقحي بين الوثنية الإغريقية و الرومانية من جهة و العقيدة المسيحية من جهة أخرى كانت كل عبارة لاهوتية مرتبطة بالمسيح، وطبيعة علاقته بالله، كعبارة « عبد الله »، «رسول الله»،« وكلمة الله »، « وروح الله» تعرضت في النص الإنجيلي الأصلي الذي جاء به المسيح إلى امتحان عسير، حيث أقحمت هذه العبارة العقدية في مفاهيم وثنية تصورها المعتنقون الجدد للمسيحية وفق ثقافتهم الوثنية التي تحدد العلاقة بين العابد و المعبود في إطار أبوي أو بنوي، حلولي، اتحادي أو تكفيري أو غيرها.

وقد أدين بولس حتى من المقربين إليه و المعاصرين له، إذ اتهم من قبل فستوس بالهذيان لمزاعمه حول المسيح المتعلقة بالتألم والموت والقيامة :« ...وبينما هو يحتج بهذا قال فستوس بصوت عظيم أنت تهذي يا بولس »[4]. و قال عنه برنابا في إنجيله: «... فإن فريقا من الأشرار المدعين أنهم تلاميذ بشروا بأن يسوع مات ولم يقم، و آخرون بشروا بأنه مات بالحقيقة ثم قام، وآخرون بشروا ولا يزالون يبشرون بأن يسوع هو ابن الله، وقد خدع في عدادهم بولس»[5]. وهكذا يتبين لنا أن لبولس الدور الكبير في تحويل مسار العقيدة الإلهية ذات التوحيد الخالص إلى

---

(1) جنيبر ، المسيحية (مرجع سابق)، ص 91-92 .

(2) سيغموند فرويد، النبي موسى ورسالة التوحيد(مرجع سابق)، ص 154.

(3) جنيبر ، المسيحية (مرجع سابق)، ص94-95.

(4) أع 24/26.

(5) بر 3/222.

عقيدة تعددية بما أدخل فيها من مصطلحات ومفاهيم غنوصية(*) وثنية ، وهو ما مهد لقرارات المجامع الكنسية فيما بعد لتأصيل وتقنين عقيدة التثليث.

ب-دور الفلسفات الغنوصية :

هناك إلى جانب بولس الغنوصي غير المتفلسف يوجد غنوصيون آخرون متفلسفون عملوا على إفساد العقيدة الإلهية المسيحية، إذ فور ظهور هذه العقيدة احتضنتها الفلسفات الغنوصية في عقر دارها، في السامرة اليهودية، وفي المناطق المتاخمة لفلسطين، كسوريا ولبنان ومصر، فقد عمل المسيحيون الأوائل خاصة المتفلسفون منهم على إدخال صيغ معرفية ومقولات فلسفية ألبسوا بها المقولات اللاهوتية الواردة في النصوص الدينية المسيحية، فكان هؤلاء الغنصويون يؤولون عقائد المسيحية تبعا لمذهبهم، و يصوغون مذهبهم الخاص، و يتخيرون من نصوص الإنجيل ما يروقهم، ويحذفون النصوص المناقضة لآرائهم، والمصب في الغنوصية المسيحية هي الأفكار الفلسفية اليونانية في مختلف مراحلــــــها ابتداء من هيرقليطس (544-483 ق م)حتى عصر فيلون (30 ق م-50م) الفيلسوف اليهودي الأسكندري، الذي ينتمي إلى المدرسة الأفلاطونية المحدثة آخر المذاهب الفلسفية اليونانية(1) وأبرز الغنوصيين تأثيرا في المسيحية هو ... وهذه المقابلة الآتية بين الأفكار الغنوصية في الإله و العقيدة الإلهية المسيحية

الله سبحانه في الفكر الغنوصي — الله سبحانه في العقيدة المسيحية

أ- الموجود: -الله ذو عناصر أو قوى ثلاثة، وكلها لها

... عظمته لا يؤثر في العالم بشكل تأثير في العالم، أولها الله الأب، و ثانيها الله الابن

... عن طريق وسائط أو قوى إلهية أو الكلمة، و الذي يملك على غرار أبيه صفات

الله وهو اللوغس(*) أو الكلمة، إذ هو الكمال (يو 41/1) خلقه على صورته (كور2:

(*) الغنوصية : هي معرفة إلهية (مسيحية) ممزوجة بالديانات الشرقية الوثنية، وبآراء بعض أصحاب المذاهب الفلسفية، وكان في المسيحية زعيمان غنوصيان هما :فالنتينوس و باسيليدس (ق 2م) و مرقيون ، (الموسوعة الفلسفية. (مرجع سابق)، ص321.

(1) وهو مذهب إحيائي لمذهب أفلاطون وأصوله الفلسفية الأولى كالفيثاغورية ، ومزجه بأفكار أخرى غير أفلاطونية، مسيحية كانت أو وثنية، ليخرج في مركب جديد.(مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية /219-220) .

(*) اللوغس(LogOs) ، كلمة يونانية تعني القول أو العقل،وفي اصطلاح الفلاسفة تعني القانون الكلي وأساس العالم، حيث استخدمها هيرقليطس بهذا المعنى ثم تطور مفهوم اللوغس عند فيلون فأصبح يعني القوة الخلاقة التي تعمل كوسيط بين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

النموذج الذي يخلق الله العالم على صورته، ويتصف بصفات الكمال.	5/4) وتلك الكلمة صارت جسدا هي المسيح (يو 14/1).
-ثاني تلك القوى، هي الحكمة الإلهية (سوفيا) التي يتحد بها الله، وهي روح الله -ثالث القوى الإلهية : الملائكة والجن وهم كائنات طوع أمر الله] [1].	-الروح القدس العنصر الإلهي الثالث الناتج عن اتحاد الأب والابن و هو متحد غير منفصل عن الله وهو يعطي الحكمة و العلم للمؤمنين المسيحيين (يو 16/12-13) .
وعلى منوال فيلون كان رجل من اتباعه يسمى سمعان يبشر بعقيدة ثالوثية، وقد قويت شوكته فأصبح تيارا قويا مضادا للنصرانية الصحيحة، إذا يرى: -[أن الله أظهر نفسه للسامريين كآب	
-وأظهر نفسه لليهود كابن في شخص المسيح .	- الله الأب
-وأظهر نفسه كروح قدس في البلاد الأخرى [2]]	- الله الابن (المسيح)
2-أفلوطين (205-270م)	- الله الروح القدس
[عن الله الواحد مطلق الصفات انبثق العقل و يقال له الأقنوم الثاني، وهذه الإثنينية، والوجود الإلهي الواحد، والعقل المنبثق عنه شيء واحد .	العلاقة الاتحادية بين الأقانيم الثلاثة تفيد أنه

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الله و العالم و المخلوق، وبنفس المعنى استخدمت في الأفلطونية الحديثة التي كان فيلون ينتمي إليها، وعند الغنوصيين عموما ومنهم الغنوضيون المسيحيون (الموسوعة الفلسفية، مرجع سابق)، ص414.

(1) عبد الرحمان مرحبا ، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية /224-225.

(2) يوسف كرم ، تاريخ الفلسفية اليونانية ، ط3(بيرزت: دار العا لم،دت)، ص255-256.

(3) عبد الرحمان مرحبا ، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية(مرجع سابق)، ص 236-238.

و يفيض عن العقل جوهر أو كينونة هي الأقنوم الثالث، أو النفس الكلية، وهي كالعقل تنتمي إلى العالم الإلهي، إلا أنها دونه درجة، لأن الأول علة وجودها كما هو علة وجود العقل][3].	عن الله الأب كان الله الابن، و عنهما انبثق الروح القدس ، وكلهم واحد رغم أن الله الأب علة وجود الأقنومين .

و إلى جانب هذه الغنوصية الفلسفية التي تتشابه معها العقيدة الإلهية المسيحية،هناك نحل دينية تشترك معها المسيحية في التثليث الإلهي نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر العقيدة الإلهية الهندوسية التي تؤمن [بثلاثة عناصر إلهية تجمعهم ذات واحدة :

الله الخالق المسمى : براهما

الله الحافظ المسمى : وشنو

الله المهلك المسمى : سيفا][1].

إن التشابه الحاصل بين الفكر الغنوصي، و العقائد الدينية السابقة للمسيحية من جهة ، والعقيدة الإلهية المسيحية من جهة أخرى يكشف عن حقيقة مؤداها أن عقيدة التوحيد التي جاء بها النبي عيسى تعرضت لغزو فكري قوض ركنها الأساس وهو وحدانية الله، وأقامها بدل ذلك على ركائز عقدية ثلاث، هي الثالوث المسيحي الحالي، والدليل على أن المسيحية هي المغزوة لا الغازية في عقيدة الثالوث الإلهي أن الفكر الغنوصي بشقيه الفلسفي والديني كان قبل ظهور المسيحية، فأديان الشرق مثلا سبقت المسيحية بقرون عديدة ، و الغنوصية الفيلونية ظهرت قبل المسيحية بنصف قرن، كما أن أول كتابة للأناجيل كانت حوالي 50م [2] ، وهذا يعني أن نصوص الأناجيل و الرسائل يكون قد تسرب إليها التعدد الإلهي من التأثير الحاصل لمعتنقي المسيحية و منهم كتبة الأناجيل من الفكر الغنوصي ليؤصل فيما بعد في المجامع الكنسية المتتالية في مذهب غالب هو المذهب الكاثوليكي، و إلى هذا التأثير الغنوصي أشار بعض مؤرخي الفلسفة و الحضارة بقوله :« لقد كانت المسيحية في أول الأمر مزيجا من اللاهوت

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) أورانج كاي رحمات، التفكير الديني في العالم قبل الإسلام (مرجع سابق)، ص 23.

(2) Quillet, Dictionnaire Encyclopédique (France : Imprimé en paris, 1990), P.5784.

اليوناني و الأخلاق اليهودية، ولكن هذا المزيج لم يكن راسخا و مستقرا استقرار قويا، وكان لا بد من أن ينفصل هذان العنصران أحدهما عن الآخر، فانتصر العنصر اليوناني الوثني واستقل في المذهب الكاثوليكي ، وسادت صرامة الأخلاق العبرية في المذهب البروتيستاني»[1]. فهذا التأثير الفكري في المسيحية كان لا بد أن يحصل، لأن المسيحية ظهرت في بدايتها في وسط يهودي معارض لرسالة المسيح من جهة، وظهرت في وسط ثقافي روماني وثني متحالف مع اليهود ضد هذه الرسالة من جهة ثانية، هذه الظروف لا تجعل الرسالة الجديدة في منأى عن التآمر الفكري إلى جانب التآمر العسكري حيث كانت الدعوة الجديدة محاصرة ومطاردة [ثم أن قبول الرومان للمسيحية فيما بعد لم يتأت إلا بعد أن صارت المسيحية رومية، وبعد أن حذف الكثير من عناصرها ذات الأصل الإسرائيلي][2]، فتكون بالتالي العقيدة الإلهية المسيحية قد ترومت بالوثنية الرومانية قبل أن يصبح الروم متمسحين بالديانة المسيحية . وتغنصت هذه العقيدة بالغنوصية قبل أن يتمسح بها الغنوصيون .

4-العقل المسيحي المتنور يرفض عقيدة الثالوث :

إن الأمة المسيحية ليست كلها على ملة واحدة، فرغم سلطان الكنيسة القاهر والمتعسف في حق العقل المسيحي منذ ظهورها إلى اليوم إلا أن هناك من العقول النيرة التي لم تستطع أن تلزم الصمت تجاه ضيم الكنيسة و عقائدها المناقضة لمنطق العقل السليم، إذ عرف عصر الأنوار في أوروبا في القرن الثامن عشر على سبيل المثال- ثورة فكرية عقلية ضد التراث الديني المسيحي، شارك فيه نخبة من الفلاسفة العقلانيين أمثال الأديب الفرنسي فولتير[3] (voltair François Marie) (-1192هـ -1778م) و جان جاك روسو (Jean jaque Rousseau) (-1192هـ -1778م)، وديدرو دنيس (Diderot) (-1198هـ -1784م)، ودالمبير (D'Alembert)، وغيرهم فكان أكثرهم ينادي بدين يتوافق والعقل ،و أن المسيحية تفتقد إلى هذا ، بل هي مناقضة للعقل و الطبيعة معا ،و الكنيسة متهمة بالاستبداد بأنواعه ، و تشكل عقبة في سبيل سعادة الإنسان ، لذلك فإن إزالتها و إزالة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) ول ديورنت ، قصة الفلسفة (مرجع سابق)، ص608.

(2) أورانج كاي رحمات، التفكير الديني في العالم قبل الإسلام (مرجع سابق)، ص399.

(3) نقد فولتير للكنيسة و عقائدها (يراجع مثلا: أندريه كريسون ، تيارات الفكر الفلسفي من القرون الوسطى حتى العصر الحديث، ترجمة نهاد رضا(بيروت: منشورات عويدات، 1962)، ص140-153.

المسيحية أمر لابد منه ، إذ يعبر جان جاك روسو عن لا معقولية بعض نصوص الإنجيل بقوله :«...نرى أن هذا الإنجيل نفسه حافل بالأمور التي تصدق،وبالأمور التي ينفر منها العقل ، والتي لا يستطيع العاقل أن يتصورها ، أو يسلم بها ، فما العمل في وسط كل هذه التناقضات؟ أن نكون دائما يا بني معتدلين ومتأنين (...) و أن نتواضع أمام الكائن الأكبر الذي هو يعرف الحقيقة»[1].وهناك تيارات مسيحية ، تدعو إلى الانفصال عن الكنيسة الأم ، لأنها لم تكن وفية للدين المسيحي، فهي ترفض فكرة قيامة المسيح من الموت،وكونه ابن الله المخلص، وأسست لنفسها كنائس جديدة مستقلة عن الكنيسة الأم[2]، نجد مثل هذه الفرق، فرقة السبتيين التي انشقت عن الكنيسة البروتيستانتية المعمدانية في القرن التاسع عشر التي أسسها وليم ميلر (-1265هـ--1849م)، و أسس أول كنيسة في واشنطن في سنة 1844 م، و تملك دورا للنشر، وتبث برامج إذاعية من عدة محطات[3] . وفرقة شهود يهوه التي أسسها الأمريكي تايز راسل (-1334هـ-1916م)، و هم يرفضون فكرة بنوة المسيح لله، وفكرة طبيعته الإلهية، فهو بشر مرسل، و لا يؤمنون بروح القدس بالمفهوم المسيحي، وأن الكنيسة المسيحية و الدول التي تسير في فلكها، مؤسسات خارجة عن الاعتقاد الصحيح، ويسيطر عليها الشيطان، لأنهم يعملون من أجله لا من أجل الله، وهذه الفرقة تنتظر تدخلا إلهيا في أية لحظة لتغيير العالم[4] . وهناك من المسيحيين من لا يؤمن بالثالوث الإلهي المسيحي المعتمد في الكنائس، وإنما يؤمنون بالله الواحد، الله الذي أعلنت عنه توراة موسى، و الأنبياء بعده، وبعض النصوص المسيحية المقدسة،] ففي الجواب عن سؤال: من هو الله ؟ نقرأ في بعض كتب[*] هؤلاء الموحدين: أن الله الذي يجب أن يؤمن به المسيحيون هو يهوه الذي جاء اسمه في التوراة و كتب الأنبياء، و جاء بأسماء أعلام مختلفة، كالرب والخالق لكل شيء، والأزلي الأبدي و أن العبادة يجب أن تكون له وحده][5]، والمسيح عيسى عندهم بشر مخلوق من الله، وكونه ابن الله الوحيد كما جاء في النصوص المسيحية يؤول إلى معنى: الشخص الوحيد المخلوق مباشرة-دون

---

(1) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة(مرجع سابق)، ص 284-285.

(2) جان. م . صدقه ، الشيع المسيحية نشأتها وتنظيماتها (بيروت: دارلا المشرق، 1999)، ص6-7 .

(3) المرجع نفسه ، ص15-16.

(4) المرجع السابق، ص18-20 .

(*) **الكتاب الذي استقيت منه هذا الحوار بلغت نسخه في الطبعة الأولى وحدها في سنة 1967 خمسة ملايين نسخة .**

(5) **الجمعية الطلابية العالمية للكتاب المقدس، الحق الذي يقود إلى الحياة الأبدية (و.م.أ: مطبعة نيويورك، 1969)،** ص17-21.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أبوة بشرية- من الله [1]. وفي جواب عن سؤال آخر: هل الله ثالوث ؟ يجيب الكتاب: [إن فرقا دينية مسيحية كثيرة في أطراف من العالم تبشر بعقيدة إلهية ثالوثية، ولكن هذا الثالوث لا وجود له في الكتاب المقدس كما أن هذه العقيدة لم تكن موجودة عند الأنبياء العبرانيين والرسل المسيحيين، وأن عيسى نفسه أعترف بألوهية الله وحده كما جاء على لسانه :« أنت الإله الحقيقي وحدك »[2]. كما أن النصوص الموجودة في الأناجيل التي توحي بأن عيسى إله هي أيضا لا تعني الألوهية وإنما تعني موافقة عيسى لله فيما يأمر به و ينهى عنه كما في نص:«أنا و الأب واحد »[3]، أي على اتفاق لا على اختلاف. وهم يرفضون أيضا عبادة الله عن طريق تقديس الأيقونات المسيحية أي صور وتماثيل الثالوث المقدس، وصور وتماثيل مريم العذراء و يعدون ذلك طريقا غير صحيح ترفضه النصوص الدينية المقدسة مثل:«لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما(...) لا تسجد لهن ولا تعبدهن» [4]، «بالإيمان نسلك لا بالعيان »[5]، « احفظوا أنفسكم من الأصنام »[6]][7]،مثل هذه الفرق المنشقة تزداد يوما بعد يوم، وكلما كثر أصحاب العقول النيرة في الأوساط المسيحية ازداد ضغطها على الكنيسة، مما يضطرها إلى عقد مجامع كنيسية للنظر في الخلافات المطروحة، والعمل على تسويتها، خاصة تلك الخلافات المتعلقة بعقيدة الألوهية، وعلاقة عيسى بالله، لكن هذه المجامع لم تفلح في حل الخلافات بين المؤمنين المسيحيين والكنيسة، بل حتى بين باباوات الكنيسة أنفسهم، وهذا نظرا لتمسك رؤوس الكنيسة بالموروث الديني التقليدي ولو كان خاطئا، وتحجر عقولهم و عدم استعدادها لتقبل الحقيقة ولو كانت مرة، ويبين لنا البيان المشترك بين البابا بولس السادس ممثل الكنيسة الكاثوليكية، والبطريرك أثينا غوراس، ممثل الكنيسة الأرثوذوكسية في تاريخ 1965/12/07 عمق الخلاف العقدي المسيحي، فقد عبرا في هذا البيان عن:

---

[1] المرجع نفسه، ص47.

[2] يو 3/17.

[3] يو 30/10.

[4] خر 4/20 .

[5] 2 كو 7/5 .

[6] يو 21/5.

[7] المرجع السابق، ص25-26.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أسفهما للأقوال المهينة، وللأعمال المذمومة التي حدثت بين أنصار الكنيستين، وعن أسفهما لعدم التفاهم وعدم الثقة المتبادلة مما أدى إلى تكريس روح الانقسام في الوحدة العقدية المسيحية، أملهما كبير في تنقية القلوب والأسف للذنوب التاريخية، والتعاون على إزالة الخلافات القديمة و الحديثة[1]، لعل هذا الحال الذي عليه من ينتسب إلى دين المسيح ويزعم نصرة ملته هم الذين عناهم الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بقوله:﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [2].

5-القرآن يرفض التعدد المسيحي في العقيدة الإلهية :

قبل إيراد الآيات القرآنية التي تكشف الشرك بالله عند أتباع المسيح جدير قبل ذلك أن أشير أن القرآن الكريم يستثني أمة من أتباع المسيح أن يكونوا معنيين بشرك المسيحيين المعددين سواء كانوا إثنيين أو تثليثيين، فقال عن المستثنين من أهل الكتاب يهودا ونصارى:﴿ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [3] ، و الأمة المقتصدة هي الطائفة المؤمنة [4]، و هي كمن قال فيهم الله تعالى من اتباع موسى[5] : ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [6]، ومثلها أيضا قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [7] ، واستثناهم الله تعالى كسائر المؤمنين به من أهل الملل المختلفة لقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ

---

[1] دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة(مرجع سابق)، ص 171.

[2] المائدة /14.

[3] المائدة /66.

[4] الزمخشري ، الكشاف، ج1(مصدر سابق)، ص630.

[5] ابن كثير، التفسير، ج 2(مصدر سابق)، 607.

[6] الأعراف /159.

[7] آل ع/199.

والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [1]، واستثنى منهم عموما كل من آمن بالله وحده وبرسوله الخاتم طمعا، ورغبة ورهبة من الله تعالى:﴿ . . . لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون(82)وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين (83)وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين﴾ [2].

أما من كان على خلاف أوصاف هذا الإستثناء فهم المسيحيون المشركون بالله تعالى، من الذين ألهوا عيسى بن مريم مع الله، أو الذين ألهوا مريم أم عيسى، أو ألهوا الروح القدس، فهم إما ثلاثيون وإما تثنيثيون، وقد رد عليهما القرآن جميعا.

أ-رده على المثلثين :

﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم(73)أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم(74)ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون(75)قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم﴾ [3]، ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض

(1) المائدة /69.

(2) المائدة /82-85.

(3) المائدة /73-76.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (171) لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا...﴾ [1]، والغلو في الآية الثانية هو غلو المسيحيين في عيسى، حيث رفعوه فوق المنزلة التي أعطاها الله إياه فنقلوه من مقام النبوة والرسالة إلى مقام الألوهية ، وغالوا أيضا في أتباعه الأوائل من التلاميذ، فادعوا فيهم العصمة، وصدقوا كل ما نسب إليهم حقا وباطلا [2]. و على قياس الغلو في عيسى يكون غلوهم أيضا في أمه مريم، حيث رفعوها من مقام الصديقية إلى مقام الألوهية .

ب- رده على المثنيين :

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ(116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [3]، و قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [4] . وقال أيضا: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [5]، وهذه الآية الأخيرة وإن كانت لا تخص المسيحيين وحدهم، إلا أنها تأكيد لسابقاتها التي تحدثت عن اتخاذ المسيح إله أو ابن إله، وكما كان معلوما لدينا في نصوص إنجيلية سابقة أن الكلمة – المسيح- كانت عند الله، وهي الله، فهي صورة من صور الإثنينية الإلهية .

يتبين لنا من خلال السرد القرآني السابق ما يأتي :

---

[1] النساء /171-172.

[2] ابن كثير ، التفسير، م2(مصدر سابق)، ص458.

[3] المائدة /116-117.

[4] المائدة/72.

[5] النحل /51.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-رد عقيدة التعدد الإلهي المسيحي مهما كان نوعها، إثنية أو تثليثية، يشرك فيها النبي عيسى وحده،أو أمه مريم وحدها، أو هما معا، أو طرفا أخر غيرهما مع الله تعالى .

2-رفض الأبوة أو الوالدية التي تنسب إلى الله تعالى ظلما وبهتانا، و منها بنوة عيسى التي زعمها أتباعه .

3-تبرء عيسى عليه السلام من إشراك المسيحيين له و لأمه مع الله،وتأكيد عبوديته لله تعالى والالتزام بتبليغ ما أمره الله تبليغه، و إرجاع أمر مغالاة أتباعه فيه برفعه إلى مقام الألوهية مع أمه بعد أن يقبضه الله إليه، إلى الله وحده، إن شاء عذبهم و إن شاء غفر لهم.

4- تكفير من أله عيسى وأمه و إشراكهما مع الله وتوعده بالعذاب الأليم، وحرمانه من جنة الله يوم القيامة .

5-الترغيب في عبادة الله وحده لا شريك له، وترك ما دونه من الشركاء الذين لا يستنكفون هم أنفسهم أن يكونوا عبادا لله تعالى .

ويتجلى لنا من خلال أنواع التمحيص السابقة أن التثليث المسيحي في العقيدة الإلهية، هو انحراف عقدي تاريخي عن خط التوحيد الصحيح الذي رسمه الأنبياء و الرسل، من آدم عليه السلام إلى محمد عليه الصلاة والسلام، ومن ثم فهو بدعة في الاعتقاد الذي جاءت به الرسالات السماوية، دخلت من الأديان الوثنية المتعددة للآلهة، وما أكثرها على وجه الأرض ومنها وثنية اليونان والرومان التي نبتت المسيحية في ثقافتها المتلاقحة باعتبار الرومان ورثة الحضارة اليونانية المنهارة، تلك الأديان الوثنية المتعددة للآلهة كانت العقبة الكأداء، التي واجهت أنبياء ورسل الله أثناء دعواتهم إلى توحيد الله تعالى. وقد تبين لنا خطأ عقيدة التعدد الإلهي المسيحي من خلال النص الإنجيلي نفسه، فإلى جانب النصوص الموهمة بالتعدد الإلهي، هناك نصوص صريحة تنقض ذلك التعدد ، وفي هذه الحالة يكون أحد النوعين من النصوص خاطئا لا محالة، ولما كانت رسالة المسيح امتدادا لرسالة موسى الموحدة لله ،فإن النصوص المخالفة للتوحيد، هي نصوص منحولة خاطئة لا محالة أيضا، ومما يزيد هذا الترجيح صحة ويقينا شهادة القرآن على بطلان عقيدة التعدد الإلهي عند أتباع المسيح المحرفين.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل السادس

الإنسان في الإنجيل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

انه تحكم العلاقة الوثيقة بين العهدين القديم و الجديد أي الميراث الديني اليهودي والميراث الديني المسيحي،من المهم الإشارةإلىأن المفاهيم الدينية للمسيحية، سواء العقدية منها، أو التشريعية، أو تلك المتعلقة بالإنسان، تستمد من العهدين معا، و سواء كان ذلك الاستمداد بالمعنى الظاهري للنص، أو بالاعتماد على التأويل المناسب للمذهب العقدي و التصور الفكري، ومن ثم فإن العهد القديم يعد مرجعية دينية تاريخية للمسيحيين، مرجعية لها مبرراتها الدينية، منها على سبيل الخصوص: أن العهد القديم يحوي نبوءات عن ظهور المسيح، ومكانته، ومعجزاته، والوقائع التي ستحدث في زمنه[1] ، ولأن المسيح نفسه في حياته كثيرا ما يرجع إلى التوراة وكتب الأنبياء يستشهد بها، مذكرا، ومنذرا أثناء دعوته لبني إسرائيل:« ثم إبتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لها الأمور المختصة به في جميع الكتب»[2]، وأن المسيح نفسه أصل هذه المرجعية بقوله: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السماوات ،وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما في ملكوت السماوات ...»[3]. فقد كان يسوع مطيعا لشريعة موسى والأنبياء في حياته، وهي مازالت ملزمة للمسيحيين إلى اليوم ما خلا بعض الطقوس والشرائع المنسوخة التي كانت خاصة ببني إسرائيل في مرحلة زمنية معينة[4] ، كما أن المسيحيين يعدون أنفسهم يهودا ، من أصل يهودي : «نحن بالطبيعة يهودا ولسنا من الأمم خطاة»[5] ،وبولس المقدس عند المسيحيين نفسه أكد على مرجعية العهد القديم : «إذا الناموس مقدس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة فهل صارلي الصالح موتا، حاشا »[6] ومن ثم فإن أخذ المسيحيين من العهد القديم لا يعني بالنسبة لهم نقصا لشريعتهم وإنما تكاملا معها ، فهم يرجعون إليه للتزود بقواعد السلوك ، وأخذ العبر والعظات،

---

[1] رو31/3 و التفسير التطبيقي (مصدر سابق)، ص1958.

[2] لو /24-27.

[3] مت 17/5-19.

[4] المصدر السابق، ص1883 .

[5] غل 15/2 .

[6] رو 12/7-13.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مع إيماهم أن خلاصهم الحقيقي والنهائي لا يكون بذلك العهد القديم ،و إنما يكون بالمسيح وعهده الجديد[1] ، ولذلك نجدهم يضطرون إلى الرجوع إلى العهد القديم في كل المناسبات التي تقتضي الاستشهاد بنص ديني لا يتوفر في الإنجيل، أو كان غير كافي للتبرير، ومن هذه المناسبات التي تضطرهم إلى الرجوع إلى العهد القديم ضبط إشكالية الإنسان من حيث المفهوم الديني والأصل الخلقي، والمكانة والدور في هذا العالم، و المصير النهائي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) التفسير التطبيقي (مصدر سابق)، ص2499.

المبحث الأول

مفهوم الإنسان ومكانته، ودوره ومصيره:

1-مفهومه:

فما مفهوم الإنسان في المنظور الإنجيلي المسيحي وفق الأبعاد السابقة؟ يتفق مفهوم الإنسان في الإنجيل مع مفهومه في التوراة، فكلمة إنسان هي ترجمة للكلمة العبرية (أنوش)، وهو نفسه ابن آدم الذي جاء ذكره في سفر التكوين كما سنعرف.

والإنسان من حيث أصله مخلوق لله عن طريق آدم المخلوق الإنساني الأول، الذي خلق من عنصرين، أحدهما مادي ترابي أرضي، والآخر روحي إلهي، واجتماع العنصرين كونا كائنا ذا نفس:« وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض. ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفسا حية»[1] ،« الإنسان الأول من الأرض ترابي»[2]. « بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها، لأنك تراب وإلى تراب تعود »[3]. و عن آدم أب الإنسان خلق الله من ضلعه أم الإنسان حواء:« فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام، فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما و بنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة فأحضرها إلى آدم..»[4]. لكن قاعدة الأصل الترابي التي تنطبق على كل الجنس البشري، يشذ عنها إنسان واحد فقط هو المسيح الإنسان الإله ابن الله :« الإنسان الأول من الأرض ترابي، الإنسان الثاني الرب من السماء..»[5].

2- مكانته عند الله:

الإنسان كائن كرمه الله ورفعه على الكثير من مخلوقاته إلى درجة اقترابه من الملائكة، وأخضع الله له كل شيء، من الكائنات الأخرى التي خلقها، وسخر له من النعم شتى:«وضعته قليلا من الملائكة، بمجد وكرامة كللته وأقمته على أعمال يدك، أخضعت كل شيء تحت

---

[1] تك7/2.

[2] 2كو 47/15.

[3] تك 19/3.

[4] تك 21/2-22.

[5] 1 كو47/15.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قدميه»[1]، وهذا التكريم الإلهي الكبير للإنسان راجع إلى كون الإنسان مخلوقا على صورة الله وشبهه، ولا تعني الصورة والشبه هنا أن الإنسان مثل الله تماما خاصة بمعناه المادي، وإنما تعني أن الإنسان يعكس بعض صفات الله، ككونه ذا قدرة وعلم وغيرهما، بل أكثر من ذلك تذهب التفاسير المسيحية إلى أن الإنسان يشارك الله في بعض الصفات والعواطف![*] كالسرمدية المستقبلية، والحب والرحمة..[2] و تعني أيضا البر والقداسة والمعرفة، فأما البر فهو جميع الفضائل الأدبية والأخلاقية، والقداسة هي الطهارة الحقيقية في الداخل والخارج وهي الهروب من الخطيئة وتجنبها، واتباع الحق والإلتزام بشريعة الله ووصاياه ، وأما المعرفة، فهي الإحاطة الكاملة بما يجب أن يعرفه الإنسان، وفي مقدمة ذلك معرفته بالله، والصورة والشبه بهذا المعنى الأسنى تحقق بصورة أجلى وأكمل في الإنسان الأول أبي البشرية آدم، قبل أن يلتبس بالخطيئة الأولى [3].

ومعياريه هذا التكريم الإلهي للإنسان المبني على صورة الله وشبهه تبرره نصوص عديدة منها ما ورد في سفر التكوين: « وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا، فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم و على كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض . فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكرا وأنثى خلقهم، وباركهم الله»[4]، ومنها ما ورد في العهد الجديد من كلام بولس وهو يخاطب المسيحيين داعيا لهم بأن يتخلقوا بأخلاق المسيح الذي يعد الصورة الحقيقية لا الانعكاسية أو النسبية لله وشبهه:« ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه»[5]، «وتتجددوا بروح ذهنكم وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق»[6]. ومما تجدر الإشارة إليه أن المسيح الإنسان الإله اشترك مع أبيه في عملية الخلق! و منها خلق الإنسان ! لأنه كما عرفنا في استقصاء ألوهية المسيح أنه كان يتصف بصفات الله الذاتية و الفعلية ! لذلك

---

(1) عب 7/2، مز 5/8-6.

(*) مثل هذه العبارات غير اللائقة في حق الله آثرت نقلها كما يعتقد بها أصحابها.

(2) المصدر السابق، ص9.

(3) ناجي فرنسيس، الإنسان في الكتاب المقدس(القاهرة: دار الثقافة، 2002)، ص16.

(4) تك1/26-28.

(5) كو 10/3.

(6) أف4/23-24.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فإن بعض التفسيرات المسيحية لصيغة الجمع الواردة في نص سفر التكوين السابق (وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا) تفيد أن الله بعناصره الثالوثية – الآب و الإبن وروح القدس– اشتركت في عملية خلق الإنسان على الصورة و الشبه الثالوثي! بينما التفسيرات اليهودية للنص ترى أن صيغة الجمع تفيد التعظيم للخالق الواحد[1] .

وذلك التكريم الذي كرم الله به الإنسان ليس ملازما لكل البشر في أي زمن من الأزمان، وإنما هو تكريم فريد من نوعه كان الله تعالى قد خص به آدم أبو البشر وحواء زوجه حينما كانا في الجنة بمعية الله ينعمان بكل شيء، ويجسدان معنى صورة الله وشبهه بأسمى معانيها في البر والقداسة والمعرفة، لكن هذا التكريم ، بهذا المعنى سلب منهما بمجرد أن أخطئا في حق الله، واقترفت أيديهما المعصية، حين أكلا من الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها، واتبعا غواية الشيطان المتمثل في صورة الحية، الذي أوقعهما في شرك معصية الله[2] فأصبح الإنسان المنحدر من أبويه الأولين السابقين المطرودين من جنة الله وجنبه[3] ملوثا هو أيضا بلوثة خطيئة أبويه، بدل أن يبقى الإنسان عظيما مكرما قدوسا على صورة الله وشبهه كما كان أبواه سابقا قبل خطيئتهما، صار إنسانا خاطئا، مدنسا بما يحمل من بذرة الخطيئة الموروثة لديه، ومن نوازع الشر المختلفة التي كانت ومازالت منبع الشرور والفساد في واقع الإنسان: هذه النوازع الشريرة يربض وراءها الشيطان العدو التاريخي للإنسان، الذي يتسلط على الأشرار كما يتسلط على الأخيار، حيث تسلط على بطرس تلميذ المسيح[4]، وتسلط على المسيح نفسه ليجربه[5]، ويتسلط على الناس[6]. و من ثم فإن التكريم الإلهي للإنسان انتزع منه بمجرد طرد أبويه فأصبح كائنا شقيا، ملعونة الأرض التي هو فيها بسببه، محكوم عليه بالتعب و الشقاء يسعى إلى رزقه بالعرق والكد، محكوم عليه بالموت، كل ذلك بسبب الخطيئة الموروثة[7] . فالموت في حد ذاته

---

(1) التفسير التطبيقي (مصدر سابق)، ص8.

(2) تك 3/1-16.

(3) تك 3/23-24.

(4) مرقس 8/32.

(5) لو 4/7-12.

(6) لو8/12 .

(7) تك 3/16-19.

عقاب من الله للإنسان جزاء خطيئته و سلبٌ لكرامته التي كان يتمتع بها قبل الخطيئة وإلا كان كائنا سرمديا أبديا:«وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا »[1].

انطلاقا من هذه الأفكار التي تجد مبررا لها في النصوص الدينية اليهودية المسيحية، وبإضفاء التفسيرات الخاصة عليها، فإن الإنسان يولد وهو حامل للخطيئة، و الشر الظاهر في واقع الإنسان دليل على ذلك، وأن الموت كان بسبب الخطيئة الموروثة:«من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع »[2] .

وسبب تحمل الإنسانية جريرة أبويها الأولين هو كون هذين الأبوين يحملان سلالة الجنس البشري كله، وكونهما مخلوقين على صورة الله وشبه الله كانت البشرية من نسلهما هي كذلك أيضا، وعند سقوطهمـــا في الخطيئة سقطت معهما كل البشرية التي هي نسلهما المتأصلة فيهما [3].

هذه الإنتكاسة البشرية لم ولن تعرف جبرا إلا بطريق الخلاص الذي جاء به يسوع المسيح الممثل الشخصي والحقيقي لله، والابن الوحيد الفادي المخلص للبشرية جمعاء دون سواه، إذ بعد مجيئه ستنتقل البشرية من مرحلة الإنتكاسة التي عاشتها منذ طرد آدم إلى مرحلة النهوض والخلاص بمجيء المسيح[4]، وسيبحث هذا الخلاص الذي يحمل رايته المسيح في إطار الحديث عن علاقة الإنسان بالله في الإنجيل . وإذ نحن أمام إنسان مطرود، مغضوب عليه من ربه، شقي ملوث بالخطيئة ينتظر الخلاص، هل كان لهذا الإنسان من دور يقوم به في حياته؟ و إلى أين يؤول مصيره؟

---

(1) تك 3/3.

(2) رو 12/5.

(3)ناجي فرنسيس، الإنسان في الكتاب المقدس(مرجع سابق)، ص36.

(4) يو 15/مت26/26.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3- دوره وحكمة وجوده ومصيره :

للإنسان ثلاث مراحل، لعب في كل منها دوراً معينا، تتوزع هذه المراحل على تاريخ البشرية إبتداء من خلق الإنسان الأول حتى فترة مجيء المسيح وما بعدها .

ففي المرحلة الأولى، حيث آدم في الجنة كان دور الإنسان هو العيش براحة وطمأنينة بمعية الله، تمكينا له مما خلق من كائنات وخيرات ينعم بها كيف يشاء هو وذريته، التي هي من الأدوار الأساسية المنوطة به، حيث أمر أن يثمر ويكثر نسله[1]بعد أن خلق الله حواء لآدم، و من أدواره أيضا أنه كان مؤنسا ومسعدا لله خالقه [2]!

وفي المرحلة الثانية بعد الخطيئة والطرد اصبح للإنسان دور آخر هو الكدح والشقاء والصراع مع سنن الكون، هذا الكون الذي طرد إليه من اجل رسالة العيش انتظارا للموت المحتوم الذي هو عقاب مستحق جزاء خطيئته:« ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك، وشوكا وحسكا تنبت لك(...) بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها، لأنك تراب وإلى التراب تعود»[3]، « فأخرجه الرب الإله من جنة عدن يعمل الأرض التي أخذ منها »[4]، وليس ذلك لآدم وزوجه فقط بل لكل ذريتهما من بعدهما:« أنحن أفضل كلا البتة،لأننا قد شكونا أن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطيئة . كما هو مكتوب أنه ليس بار ولا واحد(...) الجميع زاغوا وفسدوا معا . ليس من يعمل صالحا ليس ولا واحد (...) ليس خوف الله قدام عيوهم (...) ويصير كل العالم تحت قصاص من الله»[5].

أما في المرحلة الأخيرة حين مجيء المسيح عيسى فيصبح للإنسان دور جديد، مهم وحاسم، لأنه يرتبط بمصير الإنسان الدنيوي والأخروي، فالدنيوي هو أمل الإنسان في الخلاص من لوثة الخطيئة والغضب الإلهي اللذين التبس بهما الإنسان منذ طرد آدم إلى الأرض، أما المصير الأخروي فهو الأمل في دخول ملكوت الله المتمثل في رضاه ومحبته وصداقته! وشراكته!

---

(1) تك1/26-28.

(2) أم 8/31.

(3) تك 3/17-19.

(4) تك3/23.

(5) رو 3/9-19.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وجنته. ويتمثل هذا الدور تحديدا وباختصار في الإيمان بيسوع المسيح إله ابن إله المتجسد في الإنسان المسيح بن مريم المخلص، الفادي المطهر، المنقذ للإنسانية، والإيمان بالإنجيل الذي جاء به، الذي يتمحور محتواه على هذا المسيح الإله نفسه، والدور الذي جاء به، والدور المنوط بالإنسانية، الممثل في نصرة عقائد الإنجيل ليكتب لهم الخلاص المذكور آنفا، وهي الغاية التي يصبو إليها الإنسان. هذا الدور الجديد والأخير للإنسان، له ما يبرره من النصوص الدينية في الإنجيل، وفي غيره، منها على سبيل المثال لا الحصر ما جاء على لسان المسيح «...لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا»[1]، وقوله أيضا«...لأنه هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية، لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم. الذي يؤمن به لا يدان والذي لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد. وهذه هي الدينونة، إن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة ...»[2]، وجاء في تفسير هذا النص تعليقا مفاده: [أن الإنجيل كله يتركز في هذه الآية، إذ قد دفع الله ثمنا غاليا، وهو حياة ابنه، وقد قبل الرب يسوع هذه التضحية بحياته من اجل خطايانا ، وعليه فلا بأس أن يبذل المسيحي جهده ونفسه مضحيا إقتداء بالمسيح لتبليغ الإنجيل للآخرين للدخول في الخلاص][3] ، وإذا كان آدم في العقيدة المسيحية سبب شقاء البشرية وضياع دورها وغايتها الحقيقية المتمثلة في شراكة الله! والاستمتاع بنعمه دون شقاء ولا نصب ، والخلود الأبدي، فإن المسيح هو المحيي والمجدد و المسعد للبشرية من خلال مجيئه إلى العالم وتضحيته من أجله وتلك هي الغاية القصوى التي يجب أن ينشدها الإنسان، لأنها تقوده إلى الله ورضوانه وجنته:« لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع»[4]، وعلى أساس هذه الفلسفة فإن جوهر الإنسان وحقيقته من حيث المفهوم، و من حيث وجوده في الكون ودوره فيه، وغايته ومصيره مذاب في المسيح ومحتوى فيه [فالإنسان في المسيح ، والمسيح في الإنسان ، وليس

---

(1) مت26/25.

(2) يو3/16-19.

(3) التفسير التطبيقي (مصدر سابق)، ص2180.

(4) 1 كو 22/15.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإنسان هو الحي ولكن المسيح هو الذي يحيا فيه] [1]وهذا هو الشعار الحقيقي لماهية وحقيقة الإنسان في التصور الإنجيلي المسيحي، فإلى أي مدى تتفق هذه الفلسفة الدينية مع منطق العقل السليم ومنطق النص الديني الصحيح؟

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) Romano Guardinvi , Le monde et la personne traduit de l'Allemand par Rebert givord, (paris : E. du seuil, SD) P.158-Et, Bernard Haring , la loi du christ , vol I, 2eme édition (Belgique : imprimerie de Belgique ,1956),P.113 .

المبحث الثاني

تمحيص ومناقشة:

أول ملاحظة يمكن كشفها في التأصيل المسيحي لدور الإنسان ووظيفته والحكمة من وجوده، هو التناقض البادي بين نصين متعارضين في هذه المسألة، ففي الوقت الذي يحدد فيه نص سفر التكوين مهمة آدم ووظيفته في الجنة قبل أن يطرد منها، و هي على الخصوص تكثير النسل، والبقاء في الجنة منعما وممكنا فيها دون تعب، لكن بعد خطئه وطرده، انتزع منه ذلك النعيم والتمكين وأصبح في الأرض الملعونة بسببه تعسا شقيا[1]، نجد نصا آخر ينقض مضمون هذا النص في سفر التكوين نفسه، حيث نوح عليه السلام وبنوه، هم من ذرية آدم، ولدوا في الأرض التي طرد إليها آدم أسند الله إليهم نفس الدور الذي أسند إلى أبيهم الأول، إذ باركهم الله، وأمرهم بالإثمار و تكثير النسل وإعمار الأرض، ومن اجل ذلك سخر لهم كل ما في الأرض، فذلل لهم أنواع الحيوانات في الأرض وطيور السماء، وكل ما في البحر، سهلة طيعة، يأكلون وينعمون، وعهد الله إليهم أن يلتزموا بميثاق الطاعة حتى يبقي الله عليهم نعمة التسخير والتمكين من كل ما في الأرض والسماء [2]،ومثل هذا النص كثير في التوراة وغيرها، إذ أن هذا الدور الذي أسند إلى نوح، نجده مسندا إلى إبراهيم الخليل أيضا، حيث لم تكن الخطيئة الأولى عائقا ومانعا لأن يوحي الله إلى إبراهيم، وأن يعهد إليه ولذريته من بعده وجوب طاعته، والإثمار في الأرض وتكثير النسل، ويتجدد العهد و الميثاق مع إسحاق وإسماعيل بالمباركة والتكثير، والرزق، ما بقوا على عهد إبراهيم أبيهم لله[3]، ثم مع يعقوب(إسرائيل)[4]وبنيه، ثم مع موسى الذي كلفه الله بإنقاذ شعب إسرائيل المستعبد عند فرعون، بإخراجه من موطن العبودية البشرية إلى عبادة الله وحده[5]. وعلى درب أنبياء الله ورسله في تبليغ أمانة الرسالة و التكليف

---

[1](1) تك 1/26-30، 3/16-19.

[2]تك 9/1-11.

[3] تك17/1-22.

[4] تك 3/46 ، 3/48-4.

[5] خر2/3-18، 30/14.

إلى كل بني آدم، ودورهم في هذه الأرض، سار النبي عيسى عليه السلام أيضا حين قال لقومه:« لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل...»[1]، ومما لم ينقضه عيسى، بل زاد في تأكيده توحيد الله تعالى [2]. وأخبر أن الله تعالى يسمع ويجيب بني آدم متى سألوه، فيعطيهم ما يطلبون، من أنواع النعم والخيرات[3]، وأنه وجميع البشر مكلفون بعبادة الله[4] فهل كانت الخطيئة الأولى مانعة للإنسان من أن يتلقى دوره الذي كلف به من ربه سبحانه وتعالى من آدم إلى عيسى ثم إلى ما بعده؟، أو مانعة لاستمرار التكريم الإلهي للإنسان؟ إن النصوص الإنجيلية نفسها تأبى ذلك مثل مامر بنا سابقاً.

ثم أن فكرة العقوبة والطرد والإهانة التي نجد لها تأصيلا كبيرا عند المسيحيين مما يجعل وظيفة التمكين و التسخير، والعمل عقوبة إلهية، لا نجد لها مبررا نصيا، بل النصوص المثبة سابقا تنقضها، وحتى في الإنجيل نفسه نجد أن عناية الله ورحمته تلازم الإنسان من جيل إلى جيل[5]، فكيف تنقلب نعمة الله ورحمته إلى نقمة وقسوة على بني آدم،وينقلب شرف العمل وكرمه في استغلال الكون المسخر إلى عقوبة ونكال ؟! ثم أن الموت الذي يعد عقابا إلهيا للإنسان جزاء خطيئته الأولى في العقيدة المسيحية، لا يستقيم والمنطق العقلي والديني معا: فالموت سنة كونية إلهية سارية على جميع الكائنات حيها وجمادها، فهل الكائنات التي تموت من غير الإنسان أخطأت هي أيضا الخطيئة الأولى فعاقبها الله بالموت؟!وإذا كان الموت عقابا محتوما على الإنسان لأنه أخطأ، فلم يموت الأبرار و الأطهار المعصومين من الله كمريم العذراء البتول أم المسيح المقدسة المطهرة كما يؤمن بذلك المسيحيون أنفسهم، ويموت يوحنا المعمدان الذي عمد المسيح، وغيره من النبيين والصديقين؟ أماتت مريم مثلا لأنها هي أيضا خاطئة، أو ملوثة بالخطيئة الأولى وهي المرأة المبشرة من الله، المباركة في نساء العالمين[6] لا في الإنجيل فقط بل في

---

[1] مت 5/17-48.

[2] مر 10/18، 12/29-30

[3] مت 7/7-11.

[4] لو 1/69-75.

[5] لو 1/50 .

[6] لو 1/26-28.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

القرآن أيضا؟ إذ قال فيها الله تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ [1].وقال فيها النبي صلى الله عليه وسلم المرسل بهذا القرآن: « خير النساء مريم ابنة عمران ...»[2] ، وقوله :« ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخا من مس الشيطان، غير مريم وابنها »[3].

ثم أن فكرة الإنسان الخاطئ اللصيقة بفلسفة الإنسان الإنجيلي التي لا علاج لها إلا بفداء دموي يتحمل وزره عيسى ابن الله الفادي! ألا يمكن أن يكون لها مخرج آخر غير التضحية بالابن الإله الوحيد؟! أليس الله سبحانه توابا[4]، وغفورا[5]، يقبل التوبة ويغفر خطايا عباده بنص الإنجيل، فيقبل التوبة بدل التضحية بإنسان، مكانته عند الله عظيمة؟ وقد كان المسيح نفسه يطلب من الله المغفرة والصفح، ويسأل الله ألا يدخله في تجربة هي أكثر منه ومن طاقته، ويسأله أن يجنبه الشر اعتقادا جازما منه أن الله صاحب الملك والقوة والمجد لا يعجزه شيء في السماوات والأرض[6] ، فكيف يطلب من الناس أن يؤمنوا به ابنا للإله في صورة إنسان، جاء ليموت مصلوبا لتغفر خطايا الإنسانية؟! لقد كان المسيح نفسه يأمر أتباعه بالصلاة من اجل التوبة والمغفرة ويوجه قلوبهم إلى الله تعالى حتى يتوجهوا إليه بكل طلباتهم[7].ومصير الإنسان إذا كان معلقا فقط بالمسيح فما مصير الإنسانية قبله، التي لم تره ولم تؤمن به، خاصة وان المسيح هو الذي يحكم يوم القيامة ويدخل الناس الجنة والنار[8] ؟! أليس هذا ظلما للإنسانية ؟! ثم ألم يرسل الله سبحانه إلى الإنسانية أنبياء ورسلا آخرين قبل وبعد عيسى، جاءوا بالوحي المخلص للإنسانية، هذا الوحي المتجدد من نبي إلى آخر، ومنهم إبراهيم الخليل أبو الأنبياء الذي ينحدر

---

(1) آل عمران /42.

(2) البخاري، صحيح البخاري، باب قول الله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ...﴾ (مصدر سابق)، ص631.

(3) المصدر نفسه .

(4) مت 17/4.

(5) مت12/6.

(6) مت 12/6.

(7) مت 9/6-33.

(8) مت31/25-46.

منه عيسى نفسه بنص الإنجيل[1].و هل يكون من العدل أيضا أن تكون الحياة الأبدية للذين يشركون المسيح مع الله ولا تكون للذين يوحدونه ولا يشركون معه شيئا[2] و يدعونه وحده رغبا ورهبا؟! إن المسيح نفسه يكذب هذا، ويؤكد على أن الله ينصف عباده : « ...أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهارا وليلا(...) أقول لكـــم إنه ينصفهم»[3].وهل يحتاج الله في إدخال عباده في رحمته وملكوته وجنته إلى أسطورة [*] يتحول فيها دم إنسان كريم إلى وسيلة تخليص البشرية من خطأ وقع فيه أبوهم الأول؟ إن كون المسيح مخلصا لا يشترط أن يكون كبش تضحية، فما جاء في إنجيله يؤكد أن الأنبياء السابقين له كانوا مخلصين[4] أيضا للبشر من ظلمات الشرك والعبودية لغير الله وحده، وهو ما ينقض عقيدة الخلاص الإنجيلية المسيحية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) لو 1/71-76.

(2) مت10/32.

(3) لو 18/7-8.

(*) يرى بعض الباحثين أن التكفير بالموت فكرة وثنية أدخلها بولس إلى النصوص المسيحية ، (روبير بندكتي)،(التراث الإنساني في التراث الكتابي(مرجع سابق)، ص63163).

(4) لو 1/68-76.

الفصل السابع

علاقة الإنسان بالله في الإنجيل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

علاقة الإنسان بالله تبارك وتعالى في التصور المسيحي الإنجيلي قائمة على مفهوم وتصور الألوهية والإنسان كما سبق وأن بينا سابقا في بحث مفهوم الألوهية، ومفهوم الإنسان، لذلك فإن تلك العلاقة قائمة على محورين أساسيين هما:

فكرة الخطيئة الأولى التي ارتكبها آدم وحواء، وورثها نسلهما من بعدهما. وفكرة المسيح ابن الله المتجسد والمخلص للإنسانية والوسيط بين الله الأب والإنسانية الملوثة بالخطيئة والمتعثرة في سبيل إعادة العلاقة المنفصلة بينها وبين الله، هذه العلاقة التي لا يمكن إعادتها إلى طبيعتها الأولى إلا عن طريق المسيح ابن الله الفادي المخلص وإلا تاهت الإنسانية وهلكت !

علاقة الإنسان بالله وفق هذا التمحور يمكن تقسيمها إلى مرحلتين وفق التصور المسيحي، مرحلة ما قبل الخطيئة ، ومرحلة ما بعد الخطيئة .

المبحث الأول

علاقة الإنسان بالله قبل الخطيئة الأولى لآدم وحواء :

كانت علاقة الإنسان الأولى بالله الممثلة في آدم أبي الإنسانية الأول، وهو في الجنة حسب ما يصوره لنا سفر التكوين[1] ،علاقة كائن متوج بأنواع من الصفات التي تؤهله إلى القرب من الله وتوثيق الصلة به، حيث كان الإنسان على صورة الله وشبهه، متوجا بسلطان العظمة، والتكريم، كان على صورة الله في البر والقداسة لله ، وكان على شبه الله في الرفعة والسيطرة على المخلوقات الأخرى، وعلى شبه الله في النقاء والبر والجمال، وبعبارة موجزة كان الإنسان انعكاسا لصورة الله في علاقته بخالقه[2] و الأكثر من ذلك إنطلاقا من النصوص[3] التي تصور علاقة آدم بخالقه، والتفسيرات المسيحية لمثل هذه النصوص فإن علاقة الإنسان بالله حين كان في الجنة كانت علاقة صداقة! لأنه خلقه على صورته وشبهه، إذ كان الله -سبحانه- يأتي إلى آدم عند هبوب ريح النهار، أي قرب المساء فيتكلم إلى آدم، ويتكلم آدم إليه، ويجلسان ويمشيان معا بين أشجار الجنة! وكان الله -تعالى- يأنس بآدم ويجد متعة ولذة وهو حاضر أمامه حسب ما يصوره نص في سفر الأمثال في ضوء التصور المسيحي! [4] [ولما كان المسيح ابنا أزليا لله، وكان مع الله، فإن علاقة آدم به كانت علاقة أخوة، وعن طريق بنوة المسيح لله، وأخوته لآدم، فإن آدم تربطه بالله علاقة أخرى، هي علاقة الأبوة][5] ، حيث كان الإنسان ابنا حبيبا لله، وصديقا عزيزا له، وكائنا خالدا [6]، هذه العلاقة التي كانت تربط آدم بخالقه هي نفسها العلاقة التي كان يجب أن تتوارثها ذريته من بعده لولا انفصامها وبترها بفعل خطيئة آدم

---

[1] تك 1/26-28.

[2] ناجي فرنسيس، الإنسان في الكتاب المقدس (مرجع سابق)، ص8.

[3] تك 3/8-14.

[4] أم 8/30-31.

[5] سيدا روس ، بين وحي الله وإيمان الإنسان (مرجع سابق)، ص83 .لو 3/23.

[6] ناجي فرنسيس ، الإنسان في الكتاب المقدس(مرجع سابق)، ص41.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الأولى التي ارتكبها في الجنة، و ابتداء من هذه الخطيئة تغيرت العلاقة التي تربط الإنسان بخالقه، حيث دخلت في مرحلة جديدة وفي ظرف جديد يختلفان عن المرحلة والظرف الأولين، فكيف أصبحت هذه العلاقة إذن؟

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني

علاقة الإنسان بالله بعد الخطيئة :

إن عصيان آدم الأول لله أفرز علاقة جديدة بالله، فبعد أن كان بمعية الله في الجنة والرضوان، والنعيم المقيم، والحياة الأبدية التي لا يتخللها موت، أصبح الإنسان مطرودا مهينا، خاصة وأنه لم يتب(*) بل راح هاربا، هائما في الأرض يكدح ويشقى من أجل أن يبقى حيا إلى حين يسلط الله عليه الموت فيقضي عليه (1).

وعصيان آدم وحواء لله يمثل قطع علاقتهما بالله على مستويات ثلاث :

1 -اعتقادهما أن اختيارهما للمعصية أفضل من أوامر الله ونواهيه يعني رفض الالتزام بضوابط العلاقة التي تربطهما بالله.

2-هروبهما واختباؤهما من الله هو فسخ لعلاقتهم الحبية لله .

3ـــ-تبرير عصيانهما، فبرر آدم عصيانه بإغواء حواء، وبررت حواء عصيانها بإغواء الشيطان في صورة الحية(2) ، وهذه علاقة جديدة للإنسان مع كائن آخر بدل علاقته الأولى بالله .

ولتبرير وقوع الانفصال في علاقة الإنسان بالله إثر الخطيئة الأولى تذهب التأصيلات المسيحية للخطيئة مذهب التضخيم لتلك الخطيئة وفداحتها على الإنسان، فالخطيئة تطرد الإنسان من أمام وجه الله لأنها تفسد العلاقة بينهما، وتحرم الإنسان الشراكة مع الله كما في سفر أشعيا :«آثامكم فاصلة بينكم وبين إلهكم »(3) ، و الخطيئة كالغيوم التي تحجب الشمس من الإشراق على الأرض، و الإنسان كان نورا قبل السقوط في الخطيئة، لأن نور الله كان يسطع عليه، ولكن بفعل الخطيئة حجب نور الله عنه فصار ظلمة، وهيهات أن تلتقي الظلمة مع

(*) لم يرد في نص الخطيئة توبة آدم (تك 3/1-20) وهذا هو اعتقاد المسيحيين (يراجع مثلا: ناجي فرنسيس ، الإنسان في الكتاب المقدس(مرجع سابق)، ص 32-و 41).

(1) تك 17/3 ، 19 /22-24.

(2) تك 12/3-14.

(3) إش 12/59، 2 بط 4/1 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

النور وتتفق معها[1] . وفي غمرة هذا الانفصام الخطير بسبب الخطيئة التي تحطمت بها الخليقة الإنسانية باسرها، وبعد ردح من الزمن تحنن الله وأشفق، ولم يرد لهذه العلاقة بينه وبين الإنسان أن تبقى مقطوعة إلى ما لانهاية، فجاء بنفسه إلى الأرض في شخص ابنه يسوع المسيح لأنه بلا خطيئة، ليموت من أجل أن يمحي الخطيئة عن الإنسانية،ويخلصهم من مأزق انفصال علاقتهم بالله[2] ! فإذا كان آدم سبب تعاسة الإنسانية وإنزالها من مرتبة التعظيم والتكريم إلى منزلة التحقير و الإهانة والموت، فإن المسيح جاء ليحييها ويسعدها ، ويعيدها إلى مكانتها الأولى عند الله[3] بموته ودمه :« ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية، إن قلنا إنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا، وإن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم، إن قلنا إننا لم نخطئ نجعله كاذبا وكلمته ليست فينا»[4]،«... لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من اجل كثيرين لمغفرة الخطايا»[5]،«لأنه هكذا أحب الله العالم حتى يذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم»[6] ، ومضمون هذه النصوص وأمثالها في الإنجيل وفي رسائل الرسل يتمحور حول شخصية المسيح الإله ابن الله الذي جاء بسر تجديد الإنسانية الخاطئة التائهة الخاسرة لتحل محلها إنسانية جديدة مبرأة من الخطيئة، راشدة فاخة بالمسيح الفادي المصلوب المقتول بإرادة الله الآب، إظهارا لمحبته للإنسانية، ورغبة في تحقيق علاقة جديدة من خلال تحقق الخلاص الإنساني بيسوع المسيح [7]. فما دور المسيح في تحقيق العلاقة الجديدة؟

(1) المرجع السابق، ص32 –33.

(2) التفسير التطبيقي(مصدر سابق)، ص 14-15 .

(3) 1 كو 22/15.

(4) 1يو1/7-10.

(5) يو28/26.

(6) يو3/16-17.

(7) دوناسيان ملا، قراءات في إنجيل يوحنا (مرجع سابق)،ص 31.

المبحث الثالث

أهمية شخصية المسيح في علاقة الإنسان بالله بعد الخطيئة الأولى :

شخصية المسيح في التصور الإنجيلي ليست طفرة في حياة البشرية وعلاقتها بالله، جاءت فجأة لتظهر وتموت ويتحقق الخلاص النهائي وتعود العلاقة بين الإنسان وخالقه على عهدها السابق بل يجب أن تبقى شخصية المسيح كإله وابن الله ومخلص في ذاكرة الإنسانية إلى أن يتحقق الخلاص النهائي برجعة المسيح الثانية(*) هذا من جهة ، ومن جهة ثانية يجب أن يبقى المسيح الواسطة التي لا بد منها التي تربط الإنسانية بالله في كل علاقة مهما كان نوعها، وإلا كانت العلاقة باطلة وخاسرة، ووساطة المسيح هذه تكون على الأشكال الآتية:

1 -الإيمان به كشخص حقيقي ابن إله حقيقة أرسله الله إلى الإنسانية:

« الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، و الذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله»[1] .« فكل من يعترف بي قدام الناس اعترف أنا أيضا به قدام أبي الذي في السماوات ولكن من ينكرني قدام الناس أنكره أنا أيضا قدام أبي ...»[2] ، « ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني» [3] .

2- الإيمان المسيح مخلصا للعالم عن طريق موته.[4] .

3 -الإيمان بالإنجيل الذي جاء به :« من آمن بالإنجيل واعتمد يخلص ومن لا يؤمن يقضى عليه ».[5]

4- الإيمان به كوسيط وحيد بين الإنسان والله في كل علاقة مهما كان نوعها:

(*) هذه الرجعة تحدث عنها إنجيل متى بإسهاب(مت24/3-51)، و التفسير التطبيقي(مصدر سابق)، ص 1949 .

(1) يو 36/3 .

(2) مت 32/10-33.

(3) مت 40/10 .

(4) يو 28/26 ، 16/3-17.

(5) مر16/16.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

« لأن الله واحد والوسيط بين الله والناس واحد وهو الإنسان يسوع المسيح »[1]، ومهما تكن صورة وساطة المسيح بين الإنسان وخالقه، فهي تؤكد على العلاقة غير المباشرة للإنسان بخالقه، وأن المسيح هو الواسطة المشروطة بين مراد الإنسان و تحقق إرادة الله التي يتعلق بها ذلك المراد، فالمسيح هو الأصل في هذه العلاقة وغيره الفرع، فبدون الأصل لا يكون الفرع، وبدون الشجر لا يكون الغصن ولا الثمر حسب تعبير الإنجيل:

«من يثبت فيّ وأنا فيه يأتي بثمر كثير، لأنكم بدوني لا تستطيعون أن تعملوا شيئا»[2].

ويعلق علماء الإنجيل على هذا النص بقول أحدهم: « هاهي ذي إذن علاقة الإنسان بالله موسومة بطابع نعمة المسيح، فالمسيح لفي موقف فريد لا يدانيه فيه أحد»[3]. فيسوع هو الوسيط الوحيد المطلق، وهو لا يمارس هذه الوظيفة إلا على أساس علاقة فريدة مع الله، فإن كانت الوكالة وحيدة كانت ممارستها وحيدة أيضا، فلا يعرف الناس شؤون الألوهية إلا إن أراد يسوع أن يشركهم في ذلك، إن أرادوا الخلاص عن طريقه، وهذا المعنى هو الذي استشفه علماء الإنجيل[4] من قول المسيح: « كل شيء قد دفع إلي من أبي ، وليس أحد يعرف الابن إلا الأب ولا أحد يعرف الأب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له»[5]. و المعنى الحقيقي للإنسان لا يكتمل ولا يكون ذا قيمة عند الله حتى لو جسد معالي القيم الأخلاقية المثلى إلا إذا ربط اعتقاده وشعوره الروحي بالمسيح، واستجاب بعمق لندائه[6] ، و من ثم فإن الشعار الحقيقي الإنجيلي المسيحي لماهية الإنسان هو: [الإنسان في المسيح، والمسيح في الإنسان، ولست أنا الذي أحيا ولكن المسيح هو يحيا فيّ][7] ،ويتجسد هذا الشعار بشكل مفصل في مجموعة من المظاهر يكشفها المبحث الموالي.

---

(1) 1 تيمو 5/2.

(2) يو 5/15 .

(3) جاك جوميه ، المسيح بن مريم (مرجع سابق)، ص 244 .

(4) استفن شربتييه ، دراسة في الإنجيل كما رواه متى(مرجع سابق)، ص 47-48.

(5) مت 27/11.

(6) Bernard Haring , La Loi du christ ,Vol,I(Ibid), P.113.

(7) Romano Guardini , le monde et la personne (Ibid), P.158.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الرابع

مظاهر علاقة الإنسان بالله بواسطة المسيح :

علاقة الإنسان بالله تبارك و تعالى تتجلى في مظاهر مختلفة وفي صور متنوعة، في الاعتقاد والسلوك، وفي العبادات والتكاليف وغيرها، وفي إطار الحديث عن هذه العلاقة في التصور الإنجيلي المسيحي سنتعرف إلى بعض مظاهر هذه العلاقة على سبيل المثال لا الحصر:

1-معرفة الله:

معرفة الإنسان لله من أولى الأولويات وأوجب الواجبات، وهي في التصور العقدي الإنجيلي لا تحتاج إلى طول تأمل في الكون، أو طول استنطاق للنصوص الدينية، بل هي قريبة وسهلة في متناول كل باحث عنها، إنها معرفة المسيح نفسه، فالله كان سرا ثم انكشف عن طريق المسيح، كان مجهولا ثم عرف في المسيح[1] فقد سئل المسيح من قبل اليهود عن أبيه فأجاب :« لو عرفتموني لعرفتم أبي »[2] ، وقال أيضا، « أنا والأب واحد »[3] ،« الذي يراني يرى الذي أرسلني »[4] ، « إن الأب في وأنا فيه»[5]،«الآب ما من أحد رآه »[6]، لكن « من رآني فقد رأى الآب »[7].

فيسوع المسيح هو صورة الله وحقيقته كما بينه إنجيل يوحنا[8] !، وهو الصورة المنظورة الملموسة لله غير المنظور، وهو الإستعلان الكامل لله، فالباحث عن الله ومعرفته ينتهي إلى المسيح[9] ! ومعرفة الله بهذه الصورة والكيفية وإن بدت لغير المسيحي أنها مربكة للعقل

[1] دوسيان ملا، قراءات في إنجيل يوحنا (مرجع سابق)، ص13.

[2] يو 19/8.

[3] يو 30/10.

[4] يو 25/12

[5] يو 38/10.

[6] يو 18/1.

[7] يو 9/14.

[8] جرهاردوش، علم اللاهوت الكتابي (مرجع سابق)، ص 600.

[9] التفسير التطبيقي(مصدر سابق)، ص 2222.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

السليم ، ومخالفة لمقتضيات وشروط الإدراك الصحيح، ومنافية للفطرة السليمة، لا يرى فيها العقل الإنجيلي المسيحي أية معضلة فكرية أو عقلية ، بل يرى في ذلك الإرباك امتحان للعقل البشري، ولا يعير أهمية لمدى انسجام عقيدة الألوهية ومعرفتها مع مقتضيات الإدراك العقلي، فاللاهوت المسيحي عموما شديد الجرأة على نقض مبادئ العقل ومقتضيات التفكير المنطقي إذا تعلق الأمر بصفة خاصة بالحديث عن الله وعن معرفته بواسطة المسيح[(1)]. ومعرفة الله تقتضي الالتزام بوحيه، فما معنى الوحي وما مدى التزام المسيحي به؟

2-الالتزام بوحي الله :

الوحي في التصور الإنجيلي يتجاوز معنى التبليغ الإلهي للإنسان عن طريق الأنبياء والرسل إلى معنى الكشف عن كيان الله وجوهره المجسد في شخص المسيح، وهو ما أصله الإنجيل نفسه في العقل المسيحي، فالرسول الإنسان عيسى بن مريم المبلغ عن الله هو نفسه الله ابن الله، وعلى أساس هذا الفهم للنبوة والرسالة والوحي يستبعد المسيحيون المجسدون -تجسيد الله في شخص المسيح- نبوة محمد صلى الله عليه و سلم بعد المسيح، لأن النبوة والرسالة انقضت مهمتهما بعد اكتمال الوحي في شخصية المسيح الذي يعد قمة الوحي الإلهي المتجسد[(2)]، و الوحي بهذا المعنى التجسيدي المخالف لوحي الأنبياء والرسل السابقين لعيسى الذي جاء مفرقا بين الله الموحي والأنبياء والرسل الموحى إليهم، يبرره التفكير الإنجيلي المسيحي، بكونه تجديدا وإبداعا عقديا فريدا من نوعه، إذ لم يعد التواصل العقائدي بين عهد ما قبل المسيح وعهد المسيح وعهد ما بعد المسيح مشتركا ومتشابها بالضرورة في المضمون-التوحيد- وتكرار الحقيقية نفسها، كالوحي مثلا، بل أمسى حدث التجسد موضع التغيير الأساس في تاريخ العلاقة بين الله والإنسان[(3)]، فالمسيح الإله المتجسد، يعد قمة الوحي، ومستوعب التصورات اللاهوتية بأسرها، ومستودع الاختبارات الدينية برمتها السابقة منها والحاضرة والمقبلة (Le christ inclusif) [(4)].

---

(1) مشير باسيل عون، بين المسيحية و الإسلام، بحث في المفاهيم الأساسية،الكتاب رقم4 في سلسلة(لبنان: المكتبة البولسية، 1999)، ص50.

(2) المرجع نفسه، ص26.

(3) المرجع نفسه، ص54.

(4) المرجع السابق، ص83 .

وبناء على المفهوم السابق للوحي، فإن علاقة الإنسان بذلك الوحي لا يكمن في الالتزام والتشبث بالنص الديني وإنما يكمن في تمثل شخص المسيح الذي يمثل الوحي نفسه، ويمثل أبوة الإنسانية بمعية الله الآب، هذه الأبوة القائمة على المحبة: « كما أنك أنت أيها الآب في، وأنا فيك ليكونوا هم أيضا واحدا فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني »[1]. «... كما أن أباكم الذي في السماوات هو كامل »[2]،« فأبوك الذي في الخفاء يجازيك علانية »[3]،« الله محبة ، من ثبت في المحبة ثبت في الله وثبت الله فيه»[4] ، فالالتزام بالوحي مبني على معنى البنوة التي تهيئ للإنسان المسيحي مجالا واسعا للتكييف الحر للوحي النصي التكليفي، أي ذوبان الالتزام الشرعي القابل للتطبيق في روح الأبوة الإلهية، التي من خصائصها الأساسية روح المحبة البنوية (محبة المسيحيين الأبناء)، هذه المحبة الموغلة في الشدة. وفي غمرة هذا التلاحم الحبي بين البنوة والأبوة يتجلى معنى الالتزام بالوحي[5]. فعلاقة المسيح بالله عن طريق الوحي ليست علاقة عبودية إنسانية بربوبة وألوهة التي تقتضي الطاعة المقرونة بالرغبة والرهبة، و إنما هي علاقة بنوة بأبوة، وعلاقة شراكة برب الكون، هذا الابن الشريك المحبوب والمدلل الذي يفوق حبه كل شيء ! وهذه البنوة والشراكة لله في التصور المسيحي لا تنقص من تسامي وتعالي الله شيئا[6]، كما أن علاقة الإنسان بالوحي الإلهي بهذا المعنى لم يكن إلا بعد مجيء المسيح الإله المتجسد،و لا يكون إلا لمن آمن به ابنا وإله ، أما قبل مجيء المسيح، فكان الإنسان منفصلا عن الله بلوثة الخطيئة، فلم يكن ابنا ولا شريكا ولا وريثا لله[7]. وهكذا فإن تصديق الإنسان لوحي الله

---

(1) يو 17/21-24.

(2) مت 5/48.

(3) مت 6/4.

(4) يو 4/16.

(5) متير باسيل عون، جواب الإنسان انفتاح على المطلق، مقال في سلسلة : بين المسيحية و الإسلام مفاهيم(مرجع سابق)، ص 31 .

(6) المرجع و الصفحة نفسهما .

(7) جوش ماكدويل،نجار وأعظم (مرجع سابق)، ص 106.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والالتزام به لا يكون إلا عن طريق المسيح، ومن أنكر أو كذب المسيح ابنا ووسيطا مفوضا لله فقد كذب الله[1].

3- عبادة الله :

بعد معرفة الله، ومعرفة بلاغه عن طريق رسله تأتي عبادته، التي هي المضمون الأساسي لكل رسالة، والتي تعد أقوى ظواهر علاقة الإنسان بخالقه، وهي تتخذ صورا شتى لا يمكن حصرها، لكن من أجلى صورها الصلاة والدعاء والتوبة والاستغفار وهي التي تتخذ نموذجا في عبادة المسيحي لله.

لكن لما كان المسيح هو الله المجسد في الابن، والوسيط الذي لا غنى عنه في أية علاقة إنسانية بخالقها، فإننا نجده حاضرا بقوة في عبادة المسيحي لله، فصيغ العبادة كلها تتم باسمه ووساطته ، فمن صيغ صلاة المسيحي التي يعترف فيها بذنبه، ويستغفر فيها ربه ويطلب فيها التوبة والصفح...قوله مثلا:« أيها الرب يسوع، أعترف بأني إنسان خاطئ، اغفر خطاياي، اقبلني ابنا (إبنة) لك ، إنني أفتح الآن لك باب قلبي وأقبلك مخلصا وسيدا لي، من اليوم أضع ثقتي بك، تربع على عرش حياتي واجعلني ذلك الإنسان الذي تريدني أن أكونه .أشكرك لأنك سمعت لصلاتي، آمين »[2]وصلاة المسيحي عموما هي صيغة لفظية حركية معبرة عن الثالوث الإلهي المقدس بما فيها المسيح طبعا، ومعبرة عن رمزية المسيح المصلوب على الصليب، وصيغتها اللفظية و الحركية هي : [باسم الآب (وضع اليد على الجبهة) والابن(وضع اليد على الصدر) والروح القدس(وضع اليد على الكتف الأيسر فالأيمن)][3] .ولما كان مقاصد هذه العبادة الخوف من المصير الذي سيؤول إليه الإنسان، فكيف يتصور المسيحي هذا المصير؟

4-مصير الإنسان وعلاقته بالله :

مصير الإنسان في التصور العقدي الإنجيلي في الدنيا العاجلة والآخرة الآجلة قائم على فكرة الخلاص التي سبق وأن وضحت ، فابتداء من مجيء المسيح، تغير مسار المصير الإنساني من الطرد الإلهي للإنسان من جنته ورضاه ونعمته الأبدية إلى المصالحة والتبني والشراكة بواسطة

---

(1) 1يو 1/6-10.

(2) جوش ماكدويل ، نجار وأعظم(مرجع سابق)، ص 109

(3) Chan.AUG .Croegaert, commentaire liturgique des leçons de Catechisme de Belgique ,Canada ,France, Suisse T1(Belgique : suenens, GEN,1953),p.156.

إبنه المسيح الذي أرسله فاديا ومخلصا للإنسانية، حيث انحنى الآب السماوي على الإنسان وهو فريسة الخطيئة والموت، وحرر بتقدمة ابنه الوحيد الفادي المتجسد الإنسانية، وما على المؤمن بالمسيح إلا أن يجيب إلى حب الآب ويقتدي بابنه فيصبح بالتالي بواسطة المسيح ابن الآب بالتبني، وبهذا المعنى يرسو المصير الإنساني على شاطئ النجاة والفلاح بعد أن كان غارقا في ظلمات التيه والضياع[1]، فعن طريق المسيح الذي يؤمن به الإنسان ابنا لله وإنسانا مؤلها جاء ومات وبعث وعاد إلى أبيه، يتحقق له الرضوان الإلهي، وتتحقق له الحياة: «أنا هو الطريق والحق والحياة، لا يجيء أحد إلى الأب إلا بي »[2] وينال الحياة الأخروية السعيدة: « لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل إبنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية»[3]، وتتحقق له الأبوة الإلهية! «أما الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولادا لله أي المؤمنون بإسمه الذين ولدوا ليس من دم ولا مشيئة جسد ولا مشيئة رجل بـــل من الله »[4]، أما الذين لم يؤمنوا بالمسيح بالصفة السابقة فلاحظّ لهم في هذا المصير السعيد: « الذي يؤمن به لا يدان والذي لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد »[5]، وفوق ذلك يعقد المسيح يوم القيامة محاكمة تفرز الذين نالتهم نعمة الخلاص والرضوان فيدخلون الجنة من الذين لم ينلهم الخلاص بل نالتهم اللعنة، فيأمر بإدخال الفريق الأول في الجنة والحياة الأبدية، وإدخال الفريق الثاني في جهنم والعذاب الأبدي [6].

---

(1) فيكتور شلهت ، الإنسان في ضوء المسيح ،ط3(بيروت: دار المشرق، 1992)، ص119.

(2) يو 6/14.

(3) يو 16/3.

(4) يو12/1.

(5) يو3/18-19.

(6) مت25/31-46.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الخامس

تمحيص و مناقشة :

تبين لنا سابقا من خلال بحث واستقصاء علاقة الإنسان بالله أن هذه العلاقة قائمة على واسطية المسيح، وهذه الواسطية قائمة على أساس فكرة الموت الخلاصي للابن الفادي للإنسانية وهذه الفكرة أيضا قائمة بدورها على فكرة الخطيئة الأولى لأبوي الإنسانية ، حيث تكون هذه الأفكار الثلاث رباطا قويا وثيقا لا ينفصم في العقيدة المسيحية، وأي إنخرام في واحدة منها يسبب تهاويا وانفصاما للأخريين ، ولتبيان الحقيقة في هذه الأفكار الثلاث نتتبعها بالتمحيص والمناقشة تتبعا مرتبا حسب أهمية كل فكرة وسبقها التاريخي:

1-فكرة الخطيئة الأولى لآدم وحواء وتحمل الإنسانية لوزرها:

سبق وان عرفنا حين مناقشة وتمحيص دور الإنسان ووظيفته في هذا الكون في العقيدة الإنجيلية المسيحية ان هناك تناقضا باديا بين نصين صريحين، أحدهما يوصل فكرة الخطيئة الأولى لآدم وحواء وأثرها المتوارث في الإنسانية جمعاء، وعاقبتها الوخيمة على الإنسان حيث كانت سببا في غضب الله عليه وإشقائه وإماتته إلى أن جاء المسيح ليرفع عنه الخطيئة وتوابعها السلبية، والآخر ينقض هذا الاعتقاد من خلال مباركة الله لنوح وذريته وتسخيره للأرض وما فيها من نعم من أجلهم، وأن العلاقة بين نوح وذريته من بعده وبين الله هي علاقة عبودية ورحمة واتصال لا علاقة قسوة و انفصال، وهذه العلاقة باقية في كل الأجيال الإنسانية التي جاءت بعد نوح، وهذا التناقض يكشف عن بطلان فكرة الخطيئة الموروثة التي تتحملها الإنسانية.

ثم أن النص[1] الذي بنت عليه المسيحية فكرة الخطيئة الموروثة، لم يصرح بأن الإنسانية بعد آدم وحواء ستتحمل تبعات تلك الخطيئة ، إذ كان الخطاب في تحمل مسؤولية عصيان الله موجها لكل من حواء وآدم كل على حدة بصيغة الإفراد لا بصيغة الجمع، إذ لو كان بصيغة الجمع لاحتمل أن يكون المعنى شاملا لذريتهما أيضا، لكن ذلك لم يرد، ومن ثم لا مبرر في تحميل النص معنى تعميم الخطيئة ، إذ أن هذا التعميم مجرد استنتاج قائم على فهم خاص للنص

---

(1) تك 3/14-19.

وليس قائما على دليل قوي يعول عليه، والإنجيل نفسه الذي يجعل من المسيح كبش فداء للإنسانية تكفيرا عن الخطيئة الأولى المتأصلة فيها ، يحوي أقوالا للمسيح تنقض هذا الاعتقاد، إذ كان المسيح يذكر من حين إلى آخر قومه بالتوبة إلى الله، وأنه في دعوته هذه إلى التوبة يشبه إخوانه الرسل الذين سبقوه في دعوة أقوامهم إلى الرجوع إلى الله ، وأن أولئك الأقوام الذين كتبت لهم التوبة والنجاة سيأتون يوم القيامة مع قوم عيسى الذين أعرضوا عن دعوته ويدينونهم على إعراضهم وعتوهم« رجال نينوي(*) سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه لأنهم تابوا بمناداة يونان (النبي يونس) »[1]. ومعنى هذا أن الخطيئة لم تنتظر حتى يأتي المسيح ليمحوها ويخلص الإنسان منها، بل يكفي التوبة منها كلما ارتكبها الإنسان، فهي محتملة الوقوع في أي زمان ومكان وتبعا لطبيعة الإنسان، هذا من جهة، وهي قابلة للغفران والمحو متى رجع الإنسان إلى الله معترفا وتائبا من جهة أخرى . والدليل على ذلك تتابع الأنبياء والمرسلين على الإنسانية في تاريخها الطويل، حيث كان من مهامهم الأساسية دعوة الناس إلى التوبة إلى الله ليغفر لهم، وهو ما نبه إليه عيسى عليه السلام. في النص السابق، ونبه إليه في مناسبة أخرى حين قص على قومه قصة العازر، الرجــل المؤمن الفقير المريض وجاره الغني المتكبر[2] الذين عاشا في زمن غابر قبل عيسى بقرون، حيث أن مضمون القصة وعبرها هو التأكيد على عدل الله في عباده جميعا من آدم إلى آخر إنسان في الدنيا، إذ يؤول البارون والطائعون لله إلى مصير سعيد ، بينما يؤول العاصون والمعرضون عن الله إلى مصير شقي حسب طبيعة علاقتهم بالله تعالى في الدنيا .

كما أكد المسيح أيضا في مناسبة أخرى أن باب التوبة مفتوح لكل إنسان، وأن الله يفرح بتوبة عبده إليه بعد خطئه:«أقول لكم إنه هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين بارا لا يحتاجون إلى توبة »[3] . و قبيل بعثة المسيح كما صرح بذلك الإنجيل أن يوحنا المعمدان(النبي يحيى عليه السلام) كان يدعو الناس إلى التوبة إلى الله [4]وهو يعلم أن

(*)هم الآشوريون (التفسير التطبيقي(مصدر سابق)، ص 2113).

[1] لو 32/11.

[2] لو19/16-31.

[3] لو 7/15-10.

[4] مت 1/3-3.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

النبي عيسى مرسل في عهده، ولم يأمر الناس أن ينتظروا أو يرجئوا توبتهم إلى حين ظهوره. ومعنى هذا أن الخطيئة الأولى لم تتحملها ذرية آدم من بعده، وأن كل إنسان يتحمل خطيئة نفسه، وأنها تمحى بالتوبة متى استغفر ربه وتاب إليه، وكذلك كانت خطيئة آدم نفسها.

ثم أن المسيح أيضا لا يرى في خطيئة آدم الأولى خطيئة عظيمة، مثلما روج لها أتباعه من بعده، بل هي دون الخطيئة الكبرى وهي اتخاذ الشريك مع الله تعالى، ففي جواب عن سؤال[1] وجه إلى المسيح: يا معلم ما هي أعظم خطيئة؟

أجاب المسيح : أن أعظم الخطيئة هي اتخاذ مع الله الشريك والوسيط يعبد مع الله، أو يعبد دون الله ، لأن هذا النوع من الخطيئة يجرد الإنسان كلية من الإيمان ، أما سائر الخطايا فلا تقطع عنه السبيل في الأمل والرجوع إلى الله ، ثم ذكر السائل والجمع الغفير من الحاضرين بما جاء في التوراة وكتب أنبياء بني إسرائيل:« لا تصنع لك تمثالا مما في السماء، ولا مما تحت السماء، ولا تصنعه مما فوق الأرض، ولا مما تحت الأرض، ولا مما فوق الماء ومما تحت الماء، إني أنا إلهك قوي وغيور »[2]، ثم أن آدم وحواء، ذكر المسيح نفسه، انهما بكيا طويلا على خطيئتهما وطلبا من الله الصفح و الرحمة[3] كما جاء في إنجيل برنابا ، وهو ما يتفق وما جاء في القرآن الكريم، إذ بعد عصيان آدم لله ندم وتاب، فتاب الله عليه :﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾ [4] . وهكذا يتبين من خلال إثبات مشروعية التوبة من الخطيئة لأي إنسان في الإنجيل نفسه، ومن خلال محاكمة النصوص التي أسس عليها الفكر الإنجيلي عقيدة الخطيئة المتوارثة أن هذه العقيدة باطلة، وأن تأصيل المسيحيين لها والترويج لها هو من أجل تمرير وتأصيل عقيدة أخرى هي بصدد المناقشة ، وهي فكرة الموت، أو الفداء الخلاصي للمسيح عيسى التي سبق وأن وضحت في محور علاقة الإنسان بالله بعد الخطيئة.

---

[1] هذا السؤال يختلف من إنجيل إلى آخر ، ففي إنجيل مت 34/22: «يا معلم أية وصية هي العظمى »؟ وفي لو 25/10: « يا معلم ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية »؟

[2] بر 1/33-21، مت 34/22-37، لو 25/10-27، خر 4/20-6.

[3] بر 16/34.

[4] طه121/122.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2-فكرة الموت الخلاصي لعيسى بن مريم :

إن وقائع تآمر اليهود على عيسى، والوشاية به إلى الرومان التي روتها الأناجيل[1] يمكن أن تكون صحيحة ، لكن باقي الوقائع مثل خبر اعتقاله وإهانته ومحاكمته وقتله على الصليب... يتبرأ منها المسيح، لأنها إن وقعت بالفعل فقد وقعت على رجل آخر عاقبه الله جزاء خيانته [2] لرسول الله عيسى عليه السلام، هذا الرجل هو أحد تلاميذ المسيح الإثني عشر المسمى : « يهوذا الأسخريوطي» وقد سبق أن تنبأ المسيح بنيته الخبيثة وتوعده بالويل « ... ويل لذلك الرجل الذي به يسلم ابن الله الإنسان، كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد، فأجاب يهوذا مُسلّمه وقال هل أنا هو يا سيدي قال له أنت قلت »[3] ، ونفذ هذا الخائن اتفاقه مع اليهود والرومان بأن دلهم على مكان المسيح[4] ، على أن يدفعوا له فضة مقابل خيانته للمسيح[5]، وحين حانت ساعة اعتقال المسيح اختفى المسيح الذي كان بمعية تلاميذه ، وفيهم يهوذا الخائن، وكانوا نائمين معا، وبقدرة الله تعالى تحول يهوذا الخائن في الخلقة والصوت إلى صورة المسيح وشبهه، فأخذه الجنود، وجرت عليه وقائع الاعتقال والإذلال والمحاكمة والإماتة صلبا كما هي مروية في الأناجيل، معتقدين أنه المسيح، ورغم دفاعه عن نفسه ومحاولة إقناعهم أنه يهوذا إلا أنهم لم يصدقوه[6] ، ومما يؤيد هذه الحقيقة أن المسيح لما شعر بخطر اعتقاله دعا الله أن ينقذه فأنقذه[7] .كما أن هناك نصوص في الأناجيل تنبأ فيها المسيح برفع الله له، مما يعني أنه لم يقتل ولم يصلب وإنما القتل و الصلب وقع على غيره أحدث الله فيه شبه المسيح وصورته، ومن أمثلة النصوص التي أشارت إلى رفعه النص الآتي:« وكان تلاميذ يوحنا والفريسيين يصومون، فجاءوا وقالوا له (للمسيح) لماذا يصوم تلاميذ يوحنا والفريسيين و أما تلاميذك فلا

---

(1) مت 26-28 مثلا .

(2) يو 2/18-5، مت 14/26-16.

(3) مت 21/26-25.

(4) مر14/42-47، أع16/1.

(5) لو 3/22-6.

(6) بر 215-217.

(7) بر 3/13-20.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يصومون فقال لهم يسوع هل يستطيع بنو العرس أن يصوموا والعريس[1] (أي المسيح) معهم، ما دام العريس معهم لا يستطيعون أن يصوموا. ولكن ستأتي أيام حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون في تلك الأيام»[2]، وجاء في نص آخر على لسان المسيح أيضا:« وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان[3] »[4] ، و معلوم أن الرفع يكون من مستوى أدنى كالأرض مثلا إلى مستوى أعلى كالسماء مثلا، وحتى لا يؤوّل الرفع حدده عيسى بالكيفية التي رفع بها موسى الحية التي هي في الأصل عصاه، حيث رفعها من الأرض إلى مستوى وقوفه[5]، ثم أن هناك رافع ومرفوع، كما أن هناك وجه الشبه بين كل من المرفوع الحية وعيسى من جهة، والرافع موسى، والذي رفع المسيح من جهة أخرى،

فوجه الشبه الأول أن الحية التي تنشأ من العصا آية من آيات الله وعيسى نفسه آية من آيات الله ، حيث ولد من غير أب، ورسول أيد بمعجزات.

ووجهه الشبه الثاني أن موسى رسول مصطفى من الله وأقدره الله على الإتيان بمعجزات كثيرة، والذي رفع المسيح ملائكة مرسلون من الله. وعليه فإن الوصف الذي أعطاه المسيح دقيق للغاية، لأنه ربما علم بما أوحى الله إليه أن حادثة رفعه ستؤول وتحرف إلى معاني أخرى، تفسد على أتباع المسيح اعتقادهم في رسولهم، وهو ما حدث بالفعل، إذ تذهب بعض التأويلات المسيحية إلى أن رفع المسيح يعني تعليقه على الصليب، وهو ما يناقض مضمون النص السابق .

وحادثة رفع المسيح الواردة في الأناجيل تتفق وما جاء في القرآن الكريم، إذ ينفي القرآن الكريم كون المسيح مقتولا أو مصلوبا، بل يثبت أن المصلوب المقتول هو شخص آخر شبيه بالمسيح، أما المسيح فقد رفعه الله وأنجاه من مكيدة المتآمرين عليه: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ

---

[1] جاء في معنى العريس :« أن يسوع قارن نفسه بعريس، لأنه في العهد القديم كثيرا ما تطلق كلمة العروس على إسرائيل ، وعريسها هو الله الذي يحبها » التفسير التطبيقي(مصدر سابق)، ص 1985.

[2] مر2/18-20، لو 5/35.

[3] ابن الإنسان هو من أسماء المسيح الشائعة في الإنجيل .

[4] يو3/14.

[5] خر4/2-4.

عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا(157)بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما﴾ [1]

﴿ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين(54)إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾ [2]، ووفاة عيسى في الآية قيل أنها النوم على اعتبار النائم ميت كما في قوله تعلى:﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى﴾ [3]، وقيل هي وفاة قصيرة من أجل أن يرفع ثم تعود إليه الحياة[4]. وهكذا يتبين لنا أن المسيح لم يمت ولم يصلب ولكن رفع، وأن الذي مات وصلب هو شخص آخر شبه للقتلة، وحادثة الموت والصلب هذه التي وقعت بالفعل، كان الاعتقاد السائد عند أغلبية قوم عيسى أنها وقعت على عيسى لذلك وجدت الترويج الكبير في كونها حدثا مقدسا وعظيما، كان من اجل غاية سامية هي فداء الإنسانية وتخليصها من خطيئتها، وكان من بين المروجين هذا الاعتقاد الرسول بولس الذي سبق وأن روج وأصل فكرة المسيح الإله ابن الإله، وفي إطار تأصيله لعقيدة الخلاص المسيحية، أي موت المسيح من اجل الجميع، وضع شروطا لكل من يريد أن ينال ذلك الخلاص، أحد هذه الشروط أساسي: وهو اعتقاد المؤمن بتوحده مع المسيح، أي اعتبار نفسه جزءا من المسيح، لكن هذا الشرط لا يتحقق إلا بتحقق شرطين تبعيين آخرين هما : التعميد الذي يرمز إلى الموت والبعث في المسيح والتطهير من الخطيئة، ثم القربان، وهو مأدبة يقسم فيها الخبز الذي يرمز إلى جسم المسيح، والنبيذ الذي يرمز إلى دم المسيح، بين جماعة المحتفلين.

---

[1] النساء / 157-158

[2] آل ع/54-55.

[3] الزمر/42.

[4] ابن، كثير، التفسير(مصدر سابق)، ص ج2/44.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وفكرة الموت الخلاصي هذه الذي عمل بولس على تأصيلها، هي نفسها فكرة الإله أو السيد الإلهي الذي يموت ثم يبعث من أجل نجاة أتباعه التي كانت شائعة في البيئات الهيليستنية (*)، خاصة في سوريا وأنطاكيا إذ وجد بولس قاعدة لها في المسيحية، وهي موت المسيح، فزادها تقعيدا وترسيخا في الأوساط المسيحية[1] لتصبح بعدئذ الأساس الذي تقوم عليه فكرة واسطية المسيح بين الإنسانية ورب العالمين، وهي الفكرة التي سنمحصها الآن.

3-واسطية المسيح بين الإنسان وخالقه :

سبق وإن اتضح لنا أن واسطية المسيح في علاقة الإنسان بالله مؤسسة على ركنين عقديين هما: وراثة الإنسانية للخطيئة الأولى التي ارتكبها والداها الأمر الذي يجعلها مدينة لله، وهذا ركن أول، ثم شاء الله برحمته أن يخلص الإنسانية، ويزيل عنها هذا الدين التاريخي الموروث فبذل ابنه الوحيد المسيح عيسى ليموت فداء للإنسانية وهذا ركن ثاني . وقد سبق وأن محص ونوقش هذان الركنان، وهما كافيان لإبطال فكرة واسطية المسيح القائمة عليهما، ومع ذلك، ورغبة في الإيضاح أكثر أحاول تمحيص ومناقشة فكرة الواسطية هذه من خلال مظاهر علاقة الإنسان بالله السابقة الذكر بنماذجها الأربعة : معرفته لله، التزامه بوحيه، عبادته وتعلق مصيره بالله.

أ-**معرفة الإنسان بالله:** سبق وإن اتضح لنا أن معرفة الإنسان لربه من أولى الأولويات والواجبات، وأن هذه المعرفة في الاعتقاد الإنجيلي لا تتم إلا عن طريق واحد، هو المسيح، على أساس كونه الابن المجسد لأبيه، وعلى أساس كونه صورة الله وشبهه انطلاقا من نصوص مؤكدة أو موهمة بهذه المعاني، ولكن بعض تلك النصوص لم تفهم على حقيقتها، وإنما أولت تأويلا تجسيميا تشبيهيا فاحشا، خاصة إذا علمنا أن أقوال المسيح في الأناجيل أغلبها أمثال ومعاني رمزية تتضمن أهدافا عقدية وأخلاقية (*) مثل قوله:« لا يقدر خادم أن يخدم سيدين لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر »،ثم أوضح المعنى

(*) البيئة الوثنية التي نشأت فيها المسيحية.

(1) شارل جنيبير، المسيحية (مرجع سابق)، ص95-96.

(*) وقد سئل المسيح عن غرضه في التحدث بالأمثال فأجاب أن ذلك بغرض الإفهام (مت 13/10-11)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقصود في عبارة تالية:« لا تقدرون أن تخدموا الله والمال»[1] ، وشبه في نص آخر نفسه بالراعي المؤتمن الذي يعتني بخرافه إعتناء فائقا وهم قومه تمييزا لنفسه عن الرعاة غير المؤتمنين من الأنبياء الكذبة والفريسيين المخادعين[2] ، وقوله أيضا :« أنا هو الباب إن دخل بي أحد فيخلص »[3]كناية عن كونه الرسول الهادي إلى طريق النجاة والفلاح، بدليل ما جاء عنه في نص آخر أنه إنسان نبي مقتدر في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب[4]. وقول المسيح أيضا في مناسبة أخرى:« الحق الحق أقول لكم أن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة »[5]. وهذه الرمزية التي تعج بها الأناجيل كما تعج بها كتب أنبياء بني إسرائيل والتي كثيرا ما يرجع إليها المسيح مستشهدا، يفهمه المفسرون الإنجيليون ويفسرونها على حقيقتها[6] ما عدا في حالة واحدة، وهي حين تتعلق هذه الرمزية بعلاقة المسيح بالله، فإنها حينئذ تفسر تفسيرا إشراكيا تجسيديا تشبيهيا كما سبق وأن عرفنا في محوري الألوهية وعلاقة الإنسان بالله في الإنجيل.

فالمسيح حقا طريق إلى معرفة الله لكن لا بالمعنى الإشراكي التجسيدي التشبيهي وإنما بالمعنى الرسالي الدعوي، فهو الرسول النبي المؤيد بالمعجزات الباهرات التي لا ينكر مصدرها الإلهي إلا جاحد، وأن عيسى التي جرت على يديه هذه الآيات الباهرات كمثل إخوانه الرسل السابقين له، حيث أيدوا هم أيضا بمعجزات تفوق معجزات عيسى، كموسى وسليمان وغيرهما، والمسيح نفسه يشهد عليها ويستشهد بها في وعظه وخطاباته[7]، فعلى ضوء هذا المعنى تفهم تلك النصوص التي توثق علاقة المسيح عيسى بالله تعالى مثل : « لو عرفتموني لعرفتم أبي »[8]،« الذي يراني يرى الذي

---

[1] لو 13/16.

[2] يو 1/10-7.

[3] يو 9/10.

[4] لو 19/24.

[5] يو 24/5.

[6] على سبيل المثال ، التفسير التطبيقي (مصدر سابق)، ص 2206.

[7] مت 3-7/11 ، 20/11-23، 7/15-9، 38/24، لو 19/16-31.

[8] يو 19/8.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أرسلني »[1]،« أنا هو الطريق والحق والحياة، ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي. لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضا »[2]. والدليل على أن هذا المعنى هو المراد من المسيح من خلال تلك الأقوال، هو تأكيده على أن مجيئه ورسالته لا تختلف عن سنة ومنهج إخوانه الأنبياء والرسل الذين سبقوه في الدعوة إلى توحيد الله وتعريف الناس بربهم، وتبيان طريق الهدى والرشاد من طريق الغي والضلال حين قال:« لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل..»[3]، وقد بين في هذا النص الطويل معنى عدم النقض لما جاء به الأنبياء السابقون له، حيث دعا إلى التشبث بوصايا وشرائع موسى ومن جاء بعده من الأنبياء، وبين معنى الإكمال، في كونه شدد على الطرق التي قد تودي إلى مخالفة تلك الوصايا والشرائع. ومثال ذلك أنه قال في نفس النص السابق :« قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل، ومن قتل يكون مستوجب الحكم. وأما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم»[4]، بهذا المعنى السامي يتبين لنا معنى كون المسيح هو الطريق إلى معرفة الله تعالى، وأن من عرفه عرف الله ، وأن من رآه بما أيد به من معجزات باهرات يكون قد رأى الله وعرفه، من خلال صفاته التي أجرى بعض مظاهرها على يد رسوله عيسى، حيث أقدر عبده عيسى على إحياء الموتى [5]. وإشفاء المرضى [6]، وهذا مظهر من مظاهر صفة القدرة الإلهية، وأقدره على التنبأ بالأحداث قبل وقوعها، وهذا مظهر من مظاهر صفة العلم الإلهي .

كما أن المسيح عيسى حث أتباعه ضمنيا على الاقتداء بمنهج إبراهيم الخليل(*) في رحلته الإيمانية حين شرع في تأمله لملكوت السماوات و الأرض بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى

---

(1) يو12/25.

(2) يو 14/6-7

(3) مت 5/17-48.

(4) مت 5/21-22

(5) مر 5/35-43.

(6) مر7/32-35.

(*)من معاني الخليل: الفقير، أي جعل إبراهيم مفتقرا ومحتاجا إلى الله، ربما هذا المعنى هو المقصود في قوله تعالى:﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلا ﴾ (ابن منظور، لسان العرب .م1 تنسيق وتعليق علي بشرى(بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1988)، ص892) .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حسب رواية برنابا، فقد سأله أحد تلاميذه عن كيفية وصول نبي الله إبراهيم إلى معرفة الله، فأجابه المسيح : أن إبراهيم كان كثير التأمل فيما حوله من المخلوقات إلى درجة اعتقاده أن أحد الأجرام السماوية العظمى هي الله كالشمس مثلا أو القمر أو النجوم ، لكن بعد طول تبصر تبين له أن ما يعرض لها من تغير و أفول لا يجعلها إله، و لما استقر اعتقاده على أن هناك إله أقدر من الإنسان هو الصانع لهذه الأجرام الكونية ، و الصانع للإنسان نفسه شرع في تحطيم الأصنام التي كان يعبدها قومه، وأخذ يدعوهم إلى عبادة الله و حده و الكفر بجميع ما سواه من الآلهة المزعومة ، فلما رفضوا ذلك اعتزلهم ، فأيده الله بالوحي وكلمه : « أنا الله أحد ولا إله غيري ، أضرب و أشفي ، أميت و أحيي ، أنزل إلى الجحيم و أخرج منه (....) وهكذا عرف الله أبونا إبراهيم »[1] .

ب- إلتزام الإنسان بوحي الله :

إن الزعم السابق القائل أن الالتزام بالوحي الإلهي يكمن أساسا في اعتبار ذلك الوحي هو المسيح نفسه ، باعتباره المراد الإلهي المجسد والمعتلن إلى الناس وأن الإيمان به بتلك الصفة، والايمان بكل الأحداث التي جرت على يديه، وبالاختبارات التي مرت عليه كما رويت في الأناجيل هي روح الالتزام الحقيقي بالوحي الإلهي، هو زعم تذوب فيه الفوارق بين الخالق والمخلوق ، بين العابد والمعبود ، بين الرسول الموحى إليه والمبلغ عن الله وبين الله تعالى الموحي إلى عباده ، في وحدة وجود وحظور بين الله تعالى والإنسان، ويصبح التكليف الإلهي الممثل في الأوامر والنواهي التي يتضمنها الوحي سفها وعبثا، ومثل هذا الاعتقاد عند المسيحيين الذي يجعل ذروة الالتزام بالوحي هي إيمانهم وحبهم للمسيح الإله المتجسد بناء على العلاقة الحبية القوية بين الأبناء المسيحيين وأبيهم الإله المعتلن في صورة المسيح، هو الذي جعل علاقتهم بالوحي الإلهي تفتر وتذوب ، ويصبحوا في حل من تلك الأوامر والنواهي، ويمسي الدين أو الوحي هيكلا أجوفا تحكمه مراسيم شكلية جافة يكتفي في أفضلها بمأدبة أكل الخبز وشرب النبيذ اللذان يذكران بجسم المسيح ودمه الذي مات من أجل تحمل خطايا البشر، ومنها ربما جرأة الإنسان على تجاهل وحي الله والاستخفاف بأوامره ونواهيه ! لذلك نجد المسيحيين أكثر أهل الأديان السماوية استخفافا بشرائع الحلال والحرام ، وأشد الناس إباحية لشهوات الجسد

---

[1] بر 2/29-40 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وأفحشهم فيها، وهذا الانحراف في فهم الوحي الإلهي ناشئ من انحراف عقدي في فهم الألوهية التي سبقت وأن مرت بنا، حيث تحول عيسى الإنسان الرسول الذي جاء بالوحي إلى ابن إله متجسد حسب اعتقاد أتباعه، نظرا لما شهدوا على يديه من معجزات باهرات، وبدل أن تكون علامة وعونا لأتباع المسيح على معرفة الله تعالى والالتزام بوحيه كانت فتنة وبلاء شديدا أخرجهم عن الأيمان الصحيح بالله و معرفته . وهذه العاقبة الأليمة التي وصل إليها أتباع المسيح هي التي كان يخشاها المسيح ويحذرها، كلما كان بصدد الإفصاح عن معجزة من معجزاته التي أيد بها و هو بين الناس ، إذ طلب منه مرة أن يحيي إبنا وحيدا لأمه الأرملة ، وهو في طريقه إلى الدفن. فأبى، فألح التلاميذ والناس عليه ، لكن يسوع كان يخفي خشيته من انحراف الناس عن خط التوحيد وعبادة الله وحده ، فتوجه إلى الله داعيا : « خذني من العالم يا رب لأن العالم مجنون وكادوا يدعونني إلها » لكن جبريل نزل بأمر من الله وطمأنه على عدم مسؤوليته عمن ضل بعد أن أدى ما عليه ، وأمره بمواصلة دعوته مستخدما المعجزات التي أيد بها . ثم خاطب المسيح بعد ذلك الميت قائلا :« باسم الله قم صحيحا، فانتعش الغلام . وامتلأ الجميع خوفا قائلين . لقد أقام الله نبيا عظيما بيننا »[1].

وقد تنبأ المسيح أيضا بأن أتباعه من بعده سيدعونه إلها ، وسيغيرون إنجيله، لذلك توجس خيفة من الله يوم الحساب:« إني أقشعر لأن العالم سيدعوني إله، وعلي أن أقدم لأجل هذا حسابا. لعمر الله الذي نفسي واقفة في حضرته إني رجل فان كسائر الناس، على أني وإن أقامني الله نبيا على بيت إسرائيل لأجل صحة الضعفاء وإصلاح الخطاة (...)و أنتم شهداء على هذا: كيف أني أنكر على هؤلاء الأشرار الذين بعد انصرافي من العالم سيبطلون حق إنجيلي بعمل الشيطان، ولكني سأعود قبيل النهاية، وسيأتي معي أخنوخ وإيليا[*]، ونشهد على الأشرار الذين ستكون آخرهم ملعونة، وبعد أن تكلم يسوع هكذا أذرف الدموع، فبكى تلاميذه بصوت عال ورفعوا أصواتهم قائلين: اصفح أيها الرب الإله وارحم خادمك البريء، فأجاب يسوع:

---

(1) بر6/47-19 .

(*) نبيان من أنبياء بني إسرائيل .

آمين آمنين»[1] ودعا المسيح باللعن أيضا على كل من زعم على لسانه أنه ابن الله: «ليكن ملعونا كل من يدرج في أقوالي أني ابن الله، فسقط التلاميذ عند هذه الكلمات كأموات...»[2].

وكلام المسيح في الأناجيل يبطل الزعم السابق في مفهوم الوحي والالتزام به، إذ أن المسيح يفرق بين الله الموحي بالوحي وبين الإنسان الذي يجب أن يلتزم بهذا الوحي: «فإن الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل. فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا، يدعى أصغر في ملكوت السماوات. وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما في ملكوت السماوات. فإني أقول لكم إنكم إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السماوات»[3]. وبعد هذه الوصية العامة الجامعة لضرورة التمسك بالوحي، وعدم نقضه، وتبيان العاقبة الوخيمة لكل من يتساهل مع هذا الوحي، يتبعها بعد ذلك بجملة من الأوامر والنواهي، التي هي عبارة عن تأكيد جديد للوصايا العشر التي جاءت في شريعة موسى في إطار تذكير المسيح لقومه أنه لم يكن بدعا من الرسل وإنما هو مواصل لما دعا إليه الرسل السابقون له، فنهى عن القتل المحرم وأكل المال الحرام، والتعدي، والزنى، والسرقة، والطلاق، والحنث الباطل، وأمر بالتسامح والتآخي والمحبة[4]، والإخلاص في البذل و العطاء، والإخلاص في عبادة الله أثناء الصلاة والصوم[5]... و غيرها من التكاليف الشرعية. وحذر من عاقبة المصير النهائي الذي يؤول إليه الإنسان يوم القيامة و الحساب والجزاء، حيث يفرز الناس بناء على أعمالهم في الدنيا، وبمدى التزامهم بالأوامر والنواهي الإلهية: «هكذا يكون في انقضاء العالم يخرج الملائكة ويفرزون الأشرار من الأبرار. ويطرحونهم في أتون النار، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان»[6]. انطلاقا من هذا المصير الذي ينتظر الإنسان كان المسيح عيسى يفرق بين الله الآمر الناهي، المكلف للإنسان، المجازي له يوم القيامة، وبين الإنسان الذي يجب عليه أن يلتزم بالوحي الإلهي لينال

---

(1) بر 52/10-20.

(2) بر 53/35-36 .

(3) مت 5/18-20.

(4) مت 5/21-48.

(5) مت 6/1-18.

(6) مت 13/49-50 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سعادة الدارين، الأولى والآخرة، لذلك أيضا كان يرسم منهج عبادة الله وحده لا شريك له التي ضيعها أتباع المسيح، و التي هي بصدد التمحيص و المناقشة .

جـ:عبادة الإنسان لله :

مر بنا سابقا في مظاهر علاقة الإنسان بالله بواسطة المسيح عيسى أن عبادة المسيحي لله هي نفسها عبادته للمسيح بأية صورة كانت: اعتقاد، قولا، وطقسا، وسلوكا، وهذا بناء على كون المسيح إله ابن إله، وواسطة لا بد منها لقبول العبادة، لكن استقراء الأناجيل المسيحية يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن المسيح عيسى أكد على أن العبادة لا تكون إلا لله وحده دون سواه مهما كان نوعها سجودا، خوفا ورجاء، تضرعا، صلاة، توبة، طمعا في الإجابة والجزاء، وهو ما تبينه النصوص الآتية من الأنـــاجيل:«إنه مكتوب للرب إلهـــك تسجد، وإياه وحده تعبد»[1].« أقول لكم يا أحبائي لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد وبعد ذلك ليس لهم ما يفعلون أكثر ، بل أريكم ممن تخافون. خافوا من الذي بعد ما يَقتُل، له سلطان أن يلقي في جهنم. نعم أقول لكم من هذا خافوا »[2] ، «أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهارا وليلا وهو متمهل عليهم، أقول لكم إنه ينصفهم سريعا »[3]، « فمتى صنعت صدقة لا تعرف شمالك ما تفعل يمينك. لكي تكون صدقتك في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء هو يجازيك علانية، ومتى صليت فلا تكن كالمرائين، فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين في المجامع وفي زوايا الشوارع لكي يظهروا للناس، الحق أقول لكم قد استوفوا أجرهم، وأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك واغلق بابك وصل إلى أبيك الذي في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية(...) لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه »[4].« واسألوا تعطوا ، اطلبوا تجدوا(...) أبوكم الذي في السماوات يهب خيرات للذين يسألونه (...) لأن هذا هو الناموس والأنبياء »[5]، وقال المسيح على لسان النبي زكرياء عليه السلام و هو يتحدث عن الله

(1) لو8/4.

(2) لو12/4-5.

(3) لو 18/7-8، 9-14 .

(4) مت 6/3-8 .

(5) مت7/7-12.

تعالى:«... إننا بلا خوف منقذين من أيدي أعدائنا، نعبده بقداسة وبر قدامه، جميع أيام حياتنا»[1].

وإذا كان المسيحيون يصلون إلى المسيح ويدعونه من دون الله، فإن المسيح يأمرهم أن يصلوا لله ويعبدونه وحده دون سواه :

« وإذ كان يصلي في موضع، لما فرغ قال واحد من تلاميذه يا رب علمنا أن نصلي كما علم يوحنا تلاميذه. فقال لهم متى صليتم فقولوا أبانا الذي في السماوات. ليتقدس اسمك. ليات ملكوتك. لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض ، خبزنا كفافنا أعطنا كل يوم، واغفر لنا خطايانا، لأننا نحن أيضا نغفر لكل من يذنب إلينا، ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير»[2]، وزاد متى على هذه الــرواية:«.. لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد.آمين...»[3] . وجاء مضمون هذه الصلاة أيضا في إنجيل برنابا مع اختلاف في صيغة الثناء في البداية والنهاية، حيث كانت البداية :« أيها الرب إلهنا» وكانت النهاية« لأنك أنت وحدك إلهنا الذي يجب له المجد والإكرام إلى الأبد»[4]. وأكد المسيح في مناسبة أخرى أن علاقة الإنسان بالله في عبادته وطلبه ورجائه، وتحقيق أهدافه عموما، هي علاقة مباشرة لا واسطة فيها، وهي شريعة كل الأنبياء والرسل، فقال:«صدقوني بالحق: أنه إذا صلى إنسان لله كما يجب ينال كل ما يطلب، أذكر موسى عبد الله الذي ضرب بصلاته مصر وشق البحر الأحمر وأغرق فرعون هناك وجيشه، اذكر يشوع الذي أوقف الشمس(...) و كثيرون غيرهم من الأنبياء الأطهار الذين بواسطة الصلاة نالوا كل ما طلبوا»[5]. وهكذا ينكشف لنا تحريف أتباع المسيح معنى عبادة الإنسان لله تعالى بصريح أناجيلهم، وكشف التحريف في العبادة يقودنا إلى تمحيص المصير الإنساني ذي الصلة الوثيقة بعبادة الله.

---

(1) لو1/74-75.

(2) لو11/1-4.

(3) مت/6/9-15.

(4) بر37/6-16.

(5) بر 38/13-19.

د-مصير الإنسان الأخروي وعلاقته بالله :

ربط المصير الإنساني بالمسيح كما مر بنا سابقا، هو مصادرة وإسقاط للتكليف الشرعي، ولمسؤولية الإنسان عن أفعاله، وهو أيضا تعطيل للإرادة الإلهية، ولبعض صفاته الفعلية الأخرى.

فمن حيث كونه مصادرة وإسقاطا للتكليف الشرعي ولمسؤولية الإنسان عن أفعاله هو أن فكرة الخلاص المسيحي بالمسيح تعني إعفاء المسيحي من أية تبعة أو مسؤولية مما يأتي من أفعال، ولو كانت منافية للشريعة الإلهية، والدليل على ذلك سن المسيحيين لشريعة الغفران، التي يتم بموجبها اعتراف المذنب بذنبه أمام ممثل الدين المسيحي والكنيسة، فتغفر بذلك ذنوبه ويطهر من الإثم.

ومن حيث كونها تعطيل للإرادة الإلهية ولصفات فعلية إلهية أخرى، أن مراد الله، أي ما يريده الله من عباده، ضمنه وحيه وشرعه، لكن هذا الوحي و الشرع معطل بفكرة الخلاص المحقق للمسيحي بواسطة المسيح، ومعطل بواسطة شريعة الغفران. وكل من فكرة الخلاص وشريعة الغفران معا تعطيل لأسماء الله الحسنى وصفاته الفعلية العليا، ككونه تعالى حسيب وغفور وتواب وحاكم وعدل ... يحاسب الناس يوم القيامة على أفعالهم، ويحكم بينهم بالحق، ويغفر ويتوب على من يريد، ويحقق عدله على عباده وفق وعده ووعيده .

وهذه المصادرة و التعطيل لكل من مسؤولية الإنسان عن أفعاله وعن تكاليفه الشرعية من جهة، ولصفات الله الذاتية والفعلية من جهة أخرى، مخالفة ومناقضة لبعض النصوص الإنجيلية الصريحة التي أكدت على نفاذ إرادة الله، ونفاذ وسريان صفاته الفعلية الأخرى التي تتعلق بها بإرادة الإنسان وأفعاله، فهو المريد والحسيب والغفور والمجازي يوم القيامة .

وحتى المسيح عيسى نفسه الذي يعلق المسيحيون مصيرهم الأخروي به يؤكد على أن إرادته تابعة لإرادة الله لا سابقة لها ، وانه هو نفسه رغم مكانته الرسالية عند الله، فهو يعد نفسه كبشر ضعيف ليوم الحساب والجزاء الإلهي كسائر الناس، ويحمل كل إنسان مسؤوليته أمام الله يوم القيامة بعد أدائه أمانة تبليغ الوحي الإلهي للناس، ويرفض كل من يعول عليه على حساب إرادة الله النافذة في كل شيء:« **ليس من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يا رب يا رب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة، فحينئذ**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أصرح لهم أني لم أعرفكم قط . اذهبوا عني يافاعلي الإثم، فكل من يسمع أقوالي هذه ويعمل بها يشبه برجل عاقل بنى بيته على الصخر. فنزل المطر وجاءت الأنهار و هبت الرياح ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط. لأنه كان مؤسسا على الصخر. وكل من سمع أقوالي هذه ولا يعمل بها يشبه برجل جاهل بنى بيته على الرمل. فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الريح وصدمت ذلك البيت فسقط، وكان سقوطه عظيما»[1].

«لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمي »[2]، « ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك»[3]. « طوبى للذين يسمعون كلام الله و يحفظونه»[4].

وعن تحذير المسيح من عاقبة المصير النهائي لكل إنسان بناء على أفعاله وتحمل مسؤوليته شخصيا يقول:« ويل للعالم من العثرات. فلا بد أن تأتي العثرات ولكن ويل لذلك الإنسان الذي به تأتي العثرة. فإن أعثرتك يدك أو رجلك فاقطعها وأقلعها عنك، خير لك أن تدخل الحياة أعرج أو أقطع من أن تلقى في النار الأبدية ولك يدان أو رجلان. وإن أعثرتك عينك فاقلعها وألقها عنك، خير لك أن تدخل الحياة أعور من أن تلقى في جهنم النار ولك عينان »[5].

ثم يؤكد مرة أخرى على تحمل الإنسان للمسؤولية الكاملة بعد ما أدى إليه عيسى أمانة تبليغ الوحي الإلهي:« لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية وأما الآن فليس لهم عذر في خطيتهم(...) لو لم أكن قد علمت بينهم أعمالا لم يعملها أحد غيري لم تكن لهم خطية. وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي. لكن لكي تتم الكلمة المكتوبة في ناموسهم أنهم أبغضوني بلا سبب »[6].

وعن تأكيد عيسى عليه السلام على مسؤوليته شخصيا أمام الله والاستعداد ليوم الحساب يقول :« ولي رجاء بالله في ماهم أيضا ينتظرونه أنه سوف تكون قيامة للأموات

---

(1) مت 7/21-27.

(2) مت 12/50.

(3) لو 22/42.

(4) لو 11/28.

(5) مت 18/7-10.

(6) يو15/22-25.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الأبرار والاثمة لذلك أنا أيضا أدرب نفسي ليكون لي دائما ضمير بلا عثرة من نحـو الله والناس»[1] .

«الحق الحق أقول لكم أن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة (...) أنا لا اقدر أن أفعل من نفسي شيئا، كما أسمع أدين ودينونتي عادلة لأني لا أطلب مشيئتين بل مشيئة الأب الذي أرسلني »[2] .

وعن تأكيده لصفات الله الفعلية المتعلقة بمصير الإنسان:«لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض (...) واغفر لنا خطايانا(...) نجنا من الشرير»[3] .« فأبوك الذي يرى في الخفاء هو يجازيك علانية »[4] ،«إن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضا زلاتكم »[5]، « لكي يطلب من هذا الجيل دم جميع الأنبياء المهرق منذ إنشاء العالم. من دم هبيل إلى دم زكريا الذي أهلك بين المذبح والبيت، نعم أقول لكـــم إنه يطلب من هذا الجيل»[6]. « أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهارا وليلا(...) أقـول لكـم إنه ينصفهم سريعا»[7].

وعن مصير الإنسان عموما الذي يربطه الإنجيليون بالمسيح نجد المسيح نفسه في مناسبة أخرى يرشد إلى الطريق الصحيح لهذا المصير في جوابه عن سؤال فقيه يهودي قال له:« يا معلم ماذا يجب أن أفعل لأحصل على الحياة الأبدية؟ أجاب يسوع: « كيف كتب في الناموس؟ (أي وحي موسى والأنبياء)أجاب قائلا :أحب الرب إلهك وقريبك، أحب إلهك فوق كل شيء بكل قلبك وعقلك،وقريبك كنفسك، أجاب يسوع: أجبت حسنا، وإني أقول لك: أذهب وافعل هكذا تكن لك الحياة الأبدية »[8] .كما أكد المسيح أيضا أن الله سبحانه سيفني كل

---

(1) أ ع 15/24.

(2) يو 24/5-30.

(3) لو2/11-4

(4) مت4/6.

(5) مت 15/6 .

(6) لو 50/11-51.

(7) لو 7/18-8.

(8) لو 25/10-28، بر3/30-10

نفس حية بما في ذلك الإنسان والملائكة و لا يبقى أحد سواه ، ثم يبعثون ويحاسبون و يجازيهم على أعمالهم[1].فالله هو الحسيب يوم القيامة، ويدخل الناس الجنة والنار بعد أن يحاسبهم[2]. وهكذا بناء على التمحيص السابق لعلاقة الإنسان بالله عن طريق واسطية المسيح يتبين لنا بشكل جلي بطلان هذه الواسطية من جهة، كما يعتقدها أتباع المسيح بناء على مفهوم الخلاص، ومفهوم الأبوة. ويتبين لنا أيضا من جهة أخرى أن العلاقة الصحيحة للإنسان بخالقه هي علاقة عبودية أساسها التكليف والمسؤولية اللذين يترتب عليهما الحساب والجزاء الإلهيين يوم القيامة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) بر52-57.
(2) بر 1/52-13.

الفصل الثامن

الله في القرآن

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لما كان القرآن آخر كتاب وحي نزل من عند الله تعالى، فقد ضمنه الله سبحانه الإعتقاد الصحيح به، ورد فيه على كل من ألحد في العقيدة الإلهية من أصحاب المذاهب والملل والنحل المختلفة، خاصة أهل الكتاب، يهودا كانوا أو نصارى. وبناء على ما سبق تبيانه من تصور التوراة والأناجيل لله سبحانه أمكننا التساؤل عن الإعتقاد الصحيح في الله الذي جاء به القرآن، والمخالف لما ألحد فيه الملحدون من أهل الكتاب أولئك. فمن هو الله سبحانه في القرآن الكريم؟

المبحث الأول:
وجود الله تعالى

أولا: فطرية وبداهة وجود الله تعالى في القرآن :

وجود الله تعالى من البداهات الفطرية المتأصلة في الإنسان، فكونه بدهية، فهو لا يحتاج إلى برهان، وكونه فطرة فهو شعور دائم مع الإنسان ما لم يحجب ذلك الشعور حاجب, لأن الفطرة معناها [الخلقة أو الجبلة][1] كما في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾[2]. هذه الفطرة أخبرنا عنها الله سبحانه في قوله :﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾[3] وأخبرنا عنها الرسول ﷺ في قوله: « ما من مولود إلا يولد على الفطرة،فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه...»[4].فالفطرة الواردة في الآية والحديث تعني [أن الله تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده][5]. ويؤيد هذا أيضا قوله تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ

---

(1) أبو بكر الرازي، مختار الصحاح(مصدرسابق)، ص212.

(2) الشعراء/184.

(3) الروم/29.

(4) البخاري، الصحيح، باب لا تبديل لخلق الله (مصدر سابق)، ص 884.

(5) ابن كثير التفسير، ج5(مصدر سابق)، ص358، الزمخشري، الكشاف،ج3(مصدر سابق)، ص222. ومقداد بالجن و يوسف مصطفى القاضي، علم النفس التربوي في الإسلام (الرياض: دار المريخ، 1981)، ص41 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين(172)أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾[1] و في تفسير هذه الآية ساق الإمام ابن كثير جملة من الآثار الدالة على معنى مشترك مؤداه: [أن الله تبارك وتعالى بعد أن خلق آدم مسح على ظهره، وأخرج من صلبه كل روح إنسانية سيخلقها من نسل آدم، وخاطبهم متسائلا: ألست بربكم؟ فأجابوا جميعا: بلى شهدنا. فكانت هذه الشهادة حجة قائمة على كل إنسان يحاول تبرير غفلته عن الله، أو تبرير شركه به أمام ربه سبحانه يوم القيامة، فالاعتراف السابق من الإنسان بربوبية الله تعالى على الناس تؤكد فطرية الإيمان بالله وبوحدانيته في الإنسان، وتنفي كونهما طفرة في طور من أطوار حياته][2].

وبدهية الوجود الإلهي في نفوس الناس جعلت الرسل الذين بعثهم الله تترا لا يصطدمون مع أقوامهم في هذه المسألة،إنما يصطدمون معهم في مسألة الإشراك بالله تعالى في ألوهيته وهذا ما تدل عليه كثير من الآيات في القرآن كقوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله﴾[3] قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: « يعني أن المشركين كانوا يعترفون بأن الله عز وجل هو الخالق للأشياء كلها ومع هذا يعبدون معه غيره مما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا»[4] . ورأى القرطبي: [أنه مع كون المشركين يعبدون الأوثان إلا أنهم يقرون بأن الخالق هو الله][5]. وقوله تعالى ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون(84)سيقولون لله قل أفلا تذكرون(85)قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم(86)سيقولون لله قل أفلا تتقون(87)قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون(88)سيقولون لله قل فأنى تسحرون﴾[6] فهذه الآية التي تؤكد بدهية وجود الله عند

---

(1) الأعراف /172-173.

(2) ابن كثير، التفسير، ج3 (مصدر سابق)، ص 245-250.

(3) الزمر /36.

(4) المصدر السابق، ج6، ص94.

(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج15(بيروت: دار الكتاب العربي، دت)، ص258.

(6) المومنون /85-90.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المشركين، وربوبيته لكل ما في الكون، ترشد في نفس الوقت إلى أن من بيده كل شيء هو فقط دون سواه المستحق للعبادة[1]، وهو الأمر الذي كان المشركون يرفضونه ويردونه على الرسل، كما سنعرف ذلك حين الحديث عن وحدانية الله تعالى، فوجود الله تعالى إذن لا يحتاج إلى برهان، لأنه مسألة فطرية في الإنسان، وينجلي اليقين بوجود الله تعالى كلما كانت فطرة الإنسان موصولة بالله تعالى، ويضعف ذلك اليقين كلما ضعفت تلك الصلة بين الإنسان وخالقه.

وقد صور لنا أحد العارفين وهو ابن عطاء الله السكندري (– 709هـ –1309م) جلاء الفطرة ويقظتها بمعية الله تعالى إلى درجة الاستغناء عن أي دليل يستدل به على الله تعالى :

«إلهي كيف يستدل عليك   بما هو في وجوده مفتقر إليك؟!
أيكون لغيرك من الظهور   ما ليس لك، حتى يكون هو المظهر لك؟!
متى غبت حتى تحتاج إلى   دليل يستدل عليك؟!
ومتى بعدت حتى تكون   الآثار هي التي توصل إليك؟!»[2]

وقد تحتجب هذه الفطرة بفعل عوامل كثيرة، ومتنوعة كالنسيان، واستحواذ الشيطان على الإنسان، وركون الإنسان إلى مغريات الدنيا المادية، وهو ما تبينه الآيات الآتية: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾[3]، ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾[4]. ﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ(13)كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[5]. فيتحول الإنسان إلى مجادل في الله، وفي آياته حتى ولو كان لا يملك ناصية الجدال، وهي العلم بالشيء الذي يجادل فيه:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾[6]. وقد تنكشف هذه الفطرة المحتجبة وقت الشدة التي يكون فيها الإنسان

(1) ابن كثير، التفسير، ج5(مصدر سابق)، ص 33.
(2) يوسف القرضاوي، وجود الله(قسنطينة: دار البعث للطباعة والنشر، 1987)، ص20.
(3) الحشر/19.
(4) المجادلة /19.
(5) المطففون/13/14
(6) الحج/3.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أحوج ما يكون إلى الله خاصة عندما تنقطع به جميع السبل، فلا يجد منجى ولا ملجأ إلا إلى الله، فيعبر عن شعوره الفطري بالله مستغيثا أو مستنجدا به، وهو ما تعبر عنه الآيات الآتية: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ(22) فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[1]، ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾[2]، ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾[3]، ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[4]. وقد ينسى الإنسان رحمة ربه إذ نجاه من الشدة التي كان فيها، كما دلت عليه أواخر هذه الآيات، أو قد لا يتعرض الإنسان لمثل هذه المواقف الحرجة في حياته، فتراه مستمرا في غيه واستنكافه عن الله، وجداله فيه وفي آياته، فحينئذ قد ينفع مع الإنسان الذي تحجرت فطرته توجيه رباني آخر، وهو لفت انتباهه إلى ما خلق الله من آيات تستدعي النظر والتأمل لتوصله إلى أن خالق ومدبر هذه الآيات هو الله، ويمكن أن نطلق على هذا المسلك الذي سلكه القرآن الكريم: الدعوة إلى تأمل آيات الله المبثوثة في الأنفس والآفاق وهو ما سأستقصيه في طرق معرفة الله تعالى في فصل علاقة الإنسان بالله في القرآن.

وإذا كان وجود الله تبارك وتعالى في القرآن حقيقة فطرية بدهية، فهل كشف القرآن عن طبيعة هذا الوجود الإلهي؟

[1] يونس/22-23.

[2] الإسراء/67.

[3] الروم/32.

[4] الزمر/8.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا–طبيعة الوجود الإلهي:

وجود الله تبارك وتعالى وجود مطلق كامل، لأنه سبحانه موجود لذاته وليس موجودا بغيره، إذلم يكن هناك سبب أو مؤثر خارج عنه يكون قد تسبب في وجوده، وبذلك يكون وجوده سبحانه مختلفا تماما عن وجود غيره من المخلوقات جميعا التي خلقها من عدم، وكون مخلوقات الله مفعولة بالله، لها بداية وجود ونهاية وجود، فإن وجودها حينئذ هو وجود نسبي، خلاف وجود خالقها الذي لا أول ولا آخر لوجوده. وهذه المعاني لطبيعة الوجود الإلهي يمكن استشفافها من بعض آيات الخلق في القرآن الكريم التي ترجع جميع عمليات الخلق و الإنشاء إلى الله تعالى وحده دون سواه:﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾[1].

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ(73)مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[2]، إذ أرجع الخلق كله في الآية الأولى إلى الله تعالى، وسلبه عن غيره في الآية الثانيةوهو دليل على انتفاء أي مؤثر محتمل يكون قد أثر في وجوده سبحانه أو في وجود مخلوقاته، فهو سبحانه ليس مفتقرا إلى موجد يوجده مادام هو الموجد لجميع الموجودات، بل غيره مفتقر ومحتاج إليه في وجوده مثلما قال عن نفسه:﴿ الله الصمد﴾[3] ، أي المقصود في الحوائج من جميع خلقه، المعترف له بالخلق والإيجاد، والإلهية، والغني المفتقر إليه غيره، إذ لا يمكن لمخلوق أن يستغني عنه[4].

ثالثا– كيفية وجوده وحقيقة ذاته غيب ممتنع الإدراك:

إن عجز العقل البشري مهما أوتي من قدرة الذكاء والتفكير عن إدراك هاتين الحقيقتين راجع إلى أسباب من أهمها:

1–لا يوجد نص لا في القرآن ولا في السنة يكشف عن هاتين الحقيقتين الغيبيتين الكبريين باعتبار القرآن والسنة المصدران الصحيحان اللذان يعتمد عليهما في معرفة الله ذاتا واسما وصفة.

---

(1) غافر/62.

(2) الحج 72–73.

(3) الإخلاص/2.

(4) الزمخشري، الكشاف، ج4،(مصدر سابق)، ص 298.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2-لا يملك العلم الإنساني، النظري منه أو التطبيقي وسائل يكشف بها عن هاتين الحقيقتين، ولن يملكهما، لأن العلم لم يصل إلى حد الآن إلى كشف حقائق هي أدنى ما يكون من مثل هذه الحقائق الغيبية الكبرى مع عمره الزمني الطويل، فكيف يستطيع أن يصل إلى حقيقة لا يملك لها مناهج ولا وسائل بحث، ولا هي موضوع يخضع للملاحظات والفروض والتجارب العلمية؟!

3-العقل الإنساني محدود الخلق والتكوين الفيزيولوجي، ومحدود القدرة في إدراك حقائق الأشياء وكشف ماهيتها، والدليل على ذلك اختلاف عقول الفلاسفة الذين هم قمة التفكير والتأمل المجرد في محاولة إدراك حقائق كثير من المسائل الفكرية الميتافيزيقية، ومنها الحقيقة الكبرى، حقيقة ذات الله تعالى.

4-المنطق العقلي السليم يسلم بعجز المخلوق عن إدراك حقيقة خالقه إن هو أخفاها عنه لحكمة مقصودة، حتى ولو أوتي هذه العقل القدرة على التمكن من إدراكها، فكيف لا يسلم بالعجز وهو لا يملك تلك القدرة؟! إن غياب هذه الحقيقة العقدية عن إدراك العقل الإنساني يخفي وراءه حكما جمة نستطيع أن نقف على أهمها :

إن إخفاء تلك الحقيقة أو غيرها من الحقائق الغيبية التي يتعذر على الإنسان الكشف عنها بشكل سافر يهدف إلى تحقيق ووقوع الابتلاء و الاختبار، فيظهر من الناس من يؤمن بالله وإن لم يعرف حقيقة وكيفية وجوده ممن لا يؤمن، ويريد مكابرة أن يرى الله جهرة فيخسر في الابتلاء والاختبار كما قالها قوم موسى عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾[1] .

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ الم(1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ(2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ(3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ(4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[2] .

---

[1] البقرة/54.

[2] البقرة/ 1-4.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لأن الحقائق الغيبية إن كشفت للعيان خضعت لها أعناق الناس وكانوا كلهم مؤمنين، فلا يتحقق حينئذ الابتلاء والاختبار.

ثم إن محاولة البحث والاجتهاد العقلي البحت الفاقد للأطر والضوابط النقلية السمعية، أو المعطيات العلمية الصحيحة (إن أمكن وجودها) التي يسترشد، ويهتدي بها العقل الباحث عن الحقيقة في هذه المسائل الغيبية يعد مغامرة عقلية خطيرة، قد تؤدي بالباحث فيها إلى الضلال العقدي، وإلى مناقضة حقيقة الذات كما هي عليه، لأن هذا المنهج سلكته بعض العقول المتفلسفة إفراطا في ثقة العقل وقدرته على الوصول إلى الحقيقة عن طريق التأمل وحده(*)، وهجته بعض المتصوفة المنحرفة، فوصلوا جميعا إلى نتائج فيها الكثير من الخبل والوهم والضلال عن حقيقة الذات الإلهية، والمثال الحاصل على الضلال في حقيقة الذات الإلهية ما آل إليه أصحاب وحدة الوجود من فلاسفة و متصوفة الذين توصلوا إلى الاعتقاد[أن لا موجود في كل شيء إلا الله فجعلوا بالتالي العالم خيالا لا حقيقة، وخلطوا بين الإنسان وذات الله تعالى][1].

ومن تناقضاتهم الدالة على ضلالتهم: أن شيخا صوفيا يعتقد بوحدة الوجود قال لمريده: من قال لك أن في الكون سوى الله فقد كذب فقال مريده: فمن هو الذي كذب؟ فبهت الشيخ و لم يجد جوابا][2].

يتبين لنا مما سبق أن البحث في ذات الله وفي كيفية وجوده مغامرة عقلية، قد لا تحمد عقباها لأنه لا سند لنا في بحث هاتين الحقيقتين العظيمتين من الشرع أو العلم، وتفرد العقل وحده في بحثها سيخرجه عن جادة الصواب .

لكن إذا كانت كيفية وجوده سبحانه، وحقيقة ذاته ممتنعتين عن إدراك العقل الإنساني، هل يعني ذلك أن الله سبحانه مجهول لدى الإنسان في القرآن الكريم؟

(*) للإطلاع على كثير من النتائج المجانبة للحقيقة التي توصل إليها بعض الفلاسفة في تصور الألوهية ينظر : أبو حامد الغزالي، تهافت الفلاسفة(القاهرة: دار المعارف، دت). ومصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين، ط2(بيروت: دار إحياء التوراث العربي، 1981).

[1] دي بور، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة وتعليق محمد الهادي أبو ريدة، ط5(بيروت: دار النهضة العربية، 1981)، ص127.

[2] ابن تيمية، الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان(قسنطينة: دار البعث، 1987)، ص48.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن القران الكريم يعج بوصف الله تعالى بصفات كثيرة عليا، وتسميته بأسماء كثيرة حسنى هي مقتضى تلك الصفات،تكون كلها مجتمعة معرفة تامة واضحة لله تعالى، لأنها أعلام وأوصاف للذات الإلهية، هذه الصفات و الأسماء هي التي ستكون محور استقصاء في القرآن الكريم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني:
صفاته وأسماؤه:

1-صفاته سبحانه وتعالى من خلال القرآن :

صفات الله تعالى في القرآن الكريم كثيرة من حيث العدد على غرار ما تبين لنا في التوراة مع الفارق البعيد بينهما في كيفية الوصف من حيث التتريه وعدم التتريه الذي سنعرفه في صفة المخالفة للحوادث، ولكثرة الصفات الإلهية وتنوعها في القرآن، وتعذر استقصائها تفصيلا، فسأكتفي باستقصاء أهمها إجمالا، أكانت صفات ذاتية أو فعلية بنوعيها الخبرية والمعنوية، إذ أن هذه الصفات، هي صفات جامعة تدخل في ضمنها سائر الصفات غير المبحوثة، وقد قسمتها إلى نوعين: ثبوتية ومعنوية:

أ-**الصفات الثوبتية**: وهي كل صفة تليق بالله تعالى يكون مضموها نفي وسلب مالا يليق به تعالى من أضداد تلك الصفات، ولذلك فهي تسمى أيضا بالصفات السلبية، وأهم هذه الصفات، الوحدانية، القدم، البقاء، القيام بالذات، والمخالفة للحوادث .

الوحدانية: الوحدانية لغة من الوحدة، وهي الانفراد[1]، واصطلاحا هي تفرد الله تعالى في ذاته، وصفاته وأسمائه، ودليل ذلك من القرآن كثير، مثل قوله تعالى ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾[2]. قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «يعني هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا زير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله عز وجل لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله»[3]. والقرآن الكريم في إثبات هذه الصفة خلافا لما عرفناه في التوراة والإنجيل صريح وحاسم، إذ لم يترك ولو مجالا صغيرا للتشكيك في وحدانية الله تعالى بل اغلق جميع الأبواب التي يمكن أن يتسرب منها الاعتقاد المناقض لوحدانية الله المطلقة، إذ نفى سبحانه وتعالى عن نفسه الوالدية لأي كان، ونفى أن يكون معه أي إله، مهما كـــان نوعه:

---

[1] أبو بكر الرازي، مختار الصحاح(مصدر سابق)، ص296.

[2] الإخلاص /1.

[3] ابن كثير، التفسير، ج7(مصدر سابق)، ص411-412.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴾[1]، ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[2].

ورد القرآن بقوة على أهل الضلالة من أهل الكتاب، خاصة المسيحيين الذين زعموا أن عيسى عليه السلام ابن الله، وعلى الذين أهوا مريم أم المسيح أو أهوا ما يسمى عندهم بروح القدس، فجعلوا بالتالي الله الواحد آلهة ثلاثة، ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾[3] ، ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ ﴾[4]. ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾[5].

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (72) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[6]. ورفض القرآن أيضا ما يزعمه اليهود والنصارى من كونهم أبناء الله وأحباءه، وأكد أنه لا تربطهم بالله أية علاقة من هذا النوع تجعلهم مختلفين عن غيرهم من سائر البشر، بل هم كسائر البشر تربطهم بالله علاقة العبودية: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ

(1) المؤمنون/91.

(2) سورة الإخلاص .

(3) النساء /170.

(4) مريم 34 .

(5) المائدة 17 .

(6) المائدة /72-74

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[1]. وقد بين القرآن الكريم أيضا الأصول الوثنية لاعتقاد اليهود والمسيحيين في الله تبارك وتعالى حين أشركوا به بما نسبوا إليه من أبوة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[2] فهم فيما نسبوه إلى الله تعالى من أبوة كذب لا حقيقة، إذ ما هو إلا تقليد لكلام غيرهم من أهل الكفر والضلالة الذين قالوا مثل ما قالوا من الكفر والضلال في حق الله تعالى وليس لهم مستند فيما أدعوه[3].

والقرآن الكريم في تأصيله لعقيدة الوحدانية، أو توحيد الله تعالى، وتقويض عقيدة الشرك مهما كان نوعها يستند إلى مبدأ عقلي منطقي بدهي مألوف ومفهوم لذي كل عقل سليم، وهو بهذا يتجاوز مجرد الإثبات النصي لوحدانية الله الموجودة في التوراة، هذا المبدأ الذي يتفرد به القرآن هو مبدأ الاستحالة العقلية المبني بدورها على استحالة واقعية معلومة في واقع الناس لوجود اكثر من إله واحد في الكون، وهو ما تبينه الآيات القرآنية مثل :﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[4]، إذ لو كان معه سبحانه إلها آخر غيره يتصف بما يتصف به هو سبحانه، لانفرد كل واحد بخلقه الذي خلقه، ولكان ملك كل واحد متميزا من ملك الآخر، ولتنازعا، ولغلب بعضهم بعضا كحال ملوك وأمم الدنيا، ولكن لما لم يحدث هذا النزاع والغلبة، فمالك الخلق جميعا المؤثر فيه، وغير المتأثر بأحد هو الله الواحد الذي بيده ملكوت كل شيء، الذي تصدق عليه كل الصفات التي وصف بها نفسه،، ولا يوجد من له ما يماثلها بطلاقتها وكمالها غير الله تعالى[5].

---

(1) المائدة/18.

(2) التوبة /30.

(3) ابن كثير، التفسير، ج3(مصدر سابق)، ص384-385.

(4) المومنون/91.

(5) الزمخشري، الكشاف، ج3(مصدر سابق)، ص 40.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وهذا المعنى أيضا يؤيده قوله تعالى ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1]، أي لو كان يتولاهما، ويدبر أمرهما آلهة أخرى غير الواحد الذي هو فاطرها لفسدتا[2]، ويسمي المتكلمون المسلمون هذا المبدأ بدليل التمانع[3] . و نظرا للتأكيد القوي لعقيدة التوحيد في القرآن الكريم فإن الباحث فيه يجد سردا متكررا ومتنوعا لجهاد الأنبياء والرسل في سبيل ترسيخ هذه العقيدة في عقول أقوامهم في إطار قصصي مثير ملهم بالعبر والدروس، وهذا ما تفتقده التوراة و الإنجيل اللذان يركزان على التشريع السلوكي والأخلاقي، ونادرا ما يشيران إلى التوحيد الإلهي . و يمكن إجمال دعوات الرسل التي ذكرت في القرآن الكريم، والتي بشرت بالتوحيد وأنذرت الناس من عاقبة الشرك بالله من آدم إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ في قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[4]. ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[5].

-**القدم والبقاء:** على عكس التوراة التي لم أعثر فيها إلا على نص واحد يشير إلى قدم الله تعالى، وتخلو تماما من إثبات أبدية الله تعالى، فإن القرآن يؤكد بوضوح هاتين الصفتين في آيات كثيرة، منها على سبيل المثال﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾[6]، فالأول هو مالا بداية لوجوده والآخر هو مالا نهاية لوجوده[7].و قوله تعالى أيضا معبرا عن بقائه الأبدي وحده دون سواه، وهو ما يخالف عقائد الإنجيل في إثبات قدم الابن مع الأب:

(1) الأنبياء/22.

(2) المصدر السابق، ج2، ص567.

(3) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ج1(الجزائر: موفم للنشر، 1990)،200، ومصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين، ج3(مصدر سابق)، ص84.

(4) الأنبياء /25.

(5) النحل/36.

(6) الحديد /3.

(7) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة،ج1(مصدر سابق)، ص118.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [1]، ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [2]، أي كل غير الله هالك، فعبر بالوجه عن ذاته سبحانه[3].

-القيام بالذات: على خلاف التوراة والإنجيل اللذان يثبتان حاجة الله تعالى إلى اتخاذ الأبناء، واعتقاد اليهود بفقر الله سبحانه وتعالى[4]، فإن القرآن الكريم يؤكد استغناء الله المطلق عن العالمين، وعدم احتياجه لأي كان من مخلوقاته، وخلق الله لعباده ليعبدوه، ليس لحاجة الله في ذلك، وإنما ذلك لتكريمهم و تشريفهم، وحتى لو كفروا بعد ذلك، فإن كفرهم لا يضره في شيء كما أن طاعتهم وإيمانهم لا ينفعه في شيء، لأنه سبحانه أغنى الأغنياء عن أي شيء بل كل شيء في العالمين محتاج ومفتقر إليه، ودليل ذلك توجههم إلى الله بالطلب لقضاء حاجاتهم: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [5]، ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [6]، ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [7]، فأي عمل تكليفي يقوم به الإنسان طاعة لله، ولو كان من أعلى مراتب الأعمال كالجهاد في سبيله فإن الله تعالى يتنزه عن الاحتياج إليه، وإنما فائدته تعود على صاحبه المكلف: ﴿ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [8].

-المخالفة للحوادث: مخالفة الله تعالى للحوادث تعني عدم مشابهته أو مماثلته لأي من مخلوقاته مطلقا، ودليل ذلك من القرآن قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ... ﴾ [9]. وعلى

(1) الرحمان/27.

(2) القصص/88.

(3) ابن كثير، التفسير، ج5(مصدر سابق)، ص306.

(4) آل عمران/181

(5) فاطر/15.

(6) الزمر/8.

(7) آل عمران/97.

(8) العنكبوت/5.

(9) الشورى /9.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أساس هذا المعنى فإن القرآن لا يلتقي مطلقا مع الإنجيل الذي لا يشابه فقط عيسى الرسول البشري الآدمي بالله بل يجعله كفؤا ونظيرا لله تعالى، بما أثبت له من ألوهية في الذات والصفات، وما أثبته من حلول وتجسد، وتعدد، إذ جعل الله الواحد هو المسيح، وهو الروح القدس. أما التوراة فتلتقي مع القرآن في وصف الله ببعض الصفات العليا، وتسميه ببعض الأسماء الحسنى، لكن هذا النوع من الوصف في التوراة سرعان ما تبدد وذهبت ريحه حين أوقفنا الاستقصاء على نصوص أخرى تصف الله تعالى وصفا تشبيهيا تجسيميا حلوليا شنيعا، لا يوجد له نظير في القرآن.

وما ورد في القرآن الكريم من الصفات الخبرية التي يوهم ظاهرها التشبيه على غرار ما ورد في التوراة، فإنها تستند إلى مبدأ التنزيه المحكم، الظاهر الواضح في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ... ﴾[1]، إذ أن هذه الآية هي الأصل المحكم الذي ترجع إليه آيات الصفات المتشابهات. بينما في التوراة لا يوجد مثلها يمكن إرجاع ما تشابه فيها من نصوص الصفات الإلهية. بل أن فظاعة التشبيه و التجسيم التوراتي يمنع حمل نصوصها تلك على التنزيه.

فالآية القرآنية التنزيهية السابقة تنفي نفيا مطلقا أن يكون هناك أي شيء من الأشياء شبيها لله تعالى، والشيء لا ينحصر معناه في الجسم كالإنسان مثلا بل يتجاوزه إلى غيره مهما كان، قال الإمام الزمخشري(+528هـ –1166م) صاحب الكشاف : « الشيء أعم العام لوقوعه على كل ما يصح أن يعلم ويخبر عنه، فيقع على القديم والجرم والعرض، والمحال والمستقيم، ولذلك صح أن يقال في الله عز وجل شيء لا كالأشياء، كأنك قلت معلوم لا كسائر المعلومات، ولا يصح: جسم لا كالأجسام...»[2]. وقد نزه القرآن الكريم الله تعالى بطريقة أخرى غير طريقة نفي الشبيه عنه حين رد على الطاعنين والملحدين في ذاته وصفاته بما أثبتوا معه من آلهة تشركه في ألوهيته وربوبيته، وباقي صفاته،فرد على المسيحيين خصوصا وعلى المشركين عموما﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾[3]،﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ

---

[1] الشورى/9.

[2] الزمخشري ، الكشاف، ج2(مصدر سابق)، ص9.

[3] المائدة/74.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ (1)، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (2)، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (3)، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (4) ، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (5).

فالتتريه الإلهي في القرآن الكريم ذو مكانة مرموقة عند علماء الإسلام أيضا ،قديمهم وحديثهم، أو سلفهم و خلفهم، لمترلته من توحيد الله تبارك و تعالى، ويبقي اختلاف هؤلاء العلماء جميعا في فهم آيات الصفات الخبرية اختلافا منهجيا يتعلق بالطريقة المثلى في تتريه الله تعالى عما لا يليق به من صفات المحدثات، وليس اختلافا في التتريه ذاته، إذ التتريه هو عقيدة الجميع، علماء وعواما.

ب- **الصفات المعنوية**:الصفة المعنوية هي كل صفة قائمة بذاته سبحانه يمكن للعقل إدراكها وإثباها إلى جانب ثبوها بالنص، وأهم هذه الصفات: العلم، الإرادة ،القدرة ، السمع و البصر، الكلام والحياة.

- **العلم**: علم الله تعالى يعني إحاطته سبحانه بكل شيء إحاطة مطلقة أين وأنى كانت تلك الأشياء المعلومة، عظيمها ودقيقها، عامها وخاصها، في الماضي والحاضر والمستقبل. ويعرفها الإمام محمد عبده(-1323هـ- 1905م) بقوله : « ما به انكشاف شيء لمن يتصف

(1) المائدة/75.

(2) الصافات/159.

(3) القصص/68.

(4) سورة الإخلاص.

(5) الأنعام/101-103.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بها »[1] ودليلها من القرآن قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [2] ، وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[3].

والقرآن في تأكيده على هذه الصفة يخالف التوراة التي تكاد تخلو من ذكر هذه الصفة ما عدا إشارة واحدة في سفر التكوين التي تنسب المعرفة إلى الله، ولكن هذه الإشارة سرعان ما تنقضها نصوص أخرى تنسب قلة العلم إلى الله أو تعدمه كما عرفنا سابقا في بحث هذه الصفة في التوراة. أما في الإنجيل فهذه الصفة يستحوذ عليها الأقنوم الثالث من الثالوث الإلهي وهو روح القدس إله العلم والمعرفة. كما ينفرد القرآن بتفصيل صفة العلم الإلهي حيث أشار إلى علم الله تعالى بما مضى وما حضر وما سيأتي، ففي إشارته إلى علم الله بالماضي نقرأ مثلا:﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾[4]، وعن علم الله بالحاضر: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [5]وعن علمه المستقبل الغائب: ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ [6]، كما أن علمه سبحانه محيط بكل شيء مهما دق:﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ [7]﴾ ،وإخبار القرآن بالغيوب و بماضي الأقوام البائدة،و بمصائر العباد الآتية كلها دليل على علم الله المطلق الشامل الكامل. و علم الله بهذه الكيفية يختلف تماما عن علم الإنسان

---

[1] محمد عبده ، رسالة التوحيد، ط5(بيروت: دار إحياء العلوم)، ص60.

[2] الحج/68.

[3] التوبة/116.

[4] طه/50-51.

[5] المجادلة/7.

[6] الأنعام/60.

[7] الأنعام/60.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

القليل الذي جعلته التوراة في إمكانية التساوي مع العلم الإلهي: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [1].

– **الإرادة** : إرادة الله تعالى هي مشيئته كما بينها القرآن نفسه: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾[2]، و ثبوت هذه الصفة في القرآن كثير، منها: ﴿ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [3]، وأمام كثرة النصوص القرآنية التي تثبت هذه الصفة الإلهية فإن القرآن لا يلتقي قط و التوراة التي تنعدم فيها الإشارة إلى هذه الصفة ، و ما كان فيها من نصوص يستشف منها ضمنيا إرادة الله ، فإنها تقيد إرادة الله بإرادة غيره فتصبح بالتالي إرادة إكراه و اضطرار لا إرادة إله مطلق المشيئة وهو عكس ما في القرآن الذي يثبت طلاقة المشيئة الإلهية دون تعلقها بإرادة غيره .وهو ما تبينها مثل النصوص الآتية: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [4]،﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[5] ، وإرادة الله في القرآن بهذا المعنى لا تلتقي أيضا بمفهوم الإرادة في الإنجيل، إذ إرادة الله فيه معلقة وشبيهة بإرادة الإله الابن.

– **القدرة**:قدرة الله تعالى هي صفة يكون بها الإيجاد و الإعدام [6]و القرآن الكريم يعج بذكر هذه الصفة بشكل مجمل و بشكل مفصل، أما إجمالا فقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾[7]، وتفصيلا تأتي القدرة الإلهية متعلقة بفعل من أفعاله سبحانه مثل قوله : ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى

---

(1) الإسراء/85.

(2) البقرة/251.

(3) الأحزاب/17.

(4) البروج/16.

(5) النحل/40.

(6) محمد عبده، (مرجع سابق)، ص63.

(7) فاطر/44.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، وقدرة الله تعالى مطلقة لا يقيدها و لا يعيقها شيء ،و لا يعجز الله شيئا مهما كان عظيما أو دقيقا: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾[2]، هذا على سبيل الإجمال والشمول، وعلى سبيل التفصيل لبعض المخلوقات التي خلقها : ﴿ أو لم يروا أن الله الذي خلق السماوات و الأرض و لم يعي بخلقهن بقادر على أن يحي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير ﴾[3] ، ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾[4] . ورغم أن التوراة تعج بذكر هذه الصفة إلا أنها تطعن فيها طعنا فاحشا بما تنسب إلى الله تعالى من التعب و الحاجة إلى الراحة بعد العناء الكبير ،و بما تنسبه إلى الله من الخشية من بعض مخلوقاته و هو الإنسان من أن يسرق من الله سر الحياة الأبدية،و كأن الله عاجز عن أن يأخذ على يد الإنسان فلا يفعل ما يريد. و وفق هذا الإلحاد في القدرة الإلهية فإن القرآن لا يلتقي مع التوراة . كما لا يلتقي مع الإنجيل الذي لا يثبت هذه الصفة لله وحده بل يثبتها للإله الأب و الإله الابن معا في آن واحد.

-**السمع و البصر**: صفتان بهما تنكشف المسموعات و المبصرات مهما كثرت و دقت ، و في القرآن الكريم خمسون آية بين مثبتة للسمع و مثبتة للإبصار، منها قوله تعالى: ﴿ .. قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[5] ، ﴿ .. إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[6] ، و سمع الله و إبصاره لا يشبهان سمع و إبصار المخلوقات التي تتحكم فيها الشروط العضوية و الفيزيائية ، استنادا إلى قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[7]. و القرآن الكريم إذ يلتقي مع التوراة

---

(1) النحل/77.

(2) فاطر/44.

(3) الأحقاف/32.

(4) ق/ 38.

(5) طه/45.

(6) غافر/20.

(7) الشورى/11.

في إثبات هاتين الصفتين لله ، فإنه يفترق معها في بيان طبيعتهما ، فهما في القرآن منزهتان عما لا يليق بهما، لكن في التوراة مشبهتان بسمع و إبصار المخلوقات، لأنه تتحدد فيهما الشروط العضوية و الفيزيائية غير اللائقة برب العالمين.

و في الإنجيل فإن سمع و بصر الآدمي الإله، عيسى بن مريم هو نفسه سمع و إبصار أبيه الإله! فالتجسد الإلهي في الناسوت يذيب الفوارق بين الإلهين!

-**الكلام**: صفة قائمة بذاته، هو بها آمر وناه ، مبشر و منذر ، واعد و متوعد، عبر عنها ما أنزل من وحي على الأنبياء و المرسلين كالتوراة و الإنجيل و القرآن و دليل هذه الصفة من القرآن قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾[1] ، ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ ﴾[2] ،و كلام الله تعالى لا يشبه كلام غيره من المخلوقات إنطلاقا من القاعد التنزيهية القرآنية: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[3]، و من مظاهر التنزيه في كلام الله تعالى ، ألا يكون كلامه للبشر مباشرا مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[4]، أي و ما صح لأحد من البشر أن يتلقى كلاما من الله إلا عن ثلاثة طرق : الوحي والإلهام، أو من وراء حجاب و هو الحائل المانع من الخطاب المباشر سواء كان هذا الحائل نوما كما حصل لأم موسى، وحصل للخليل إبراهيم حين أمر بذبح ابنه إسماعيل أو كان غيره، أو يرسل الله رسولا من الملائكة فيوحي إلى من يشاء كما حصل للرسل عليهم السلام[5] .

و رغم أن القرآن يلتقي مع التوراة في إثبات هذه الصفة إلا أنه يختلف معها في بيان كيفية هذه الصفة، ففي الوقت التي تكيف فيه التوراة كلام الله بجعله كلاما مباشرا وعيانا دون واسطة

---

(1) النساء/164.

(2) التوبة/6.

(3) الشورى/11.

(4) الشورى/51.

(5) الزمخشري، الكشاف، ج3(مصدر سابق)، ص475 و الرازي، التفسير الكبير، ج 27 ط3،(بيروت: دار الكتاب العربي، دت)، ص186-187.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أو حائل، وتشبه كلام الله بكلام البشر، بجعله صوتا يشبه أصوات الإنسان والظواهر الطبيعية كالريح والرعد، فإن القرآن يتزهه عن مثل هذه المظاهر التشبيهية التجسيمية. أما كلام الله (*) في الإنجيل فهو الله نفسه إبن الله عيسى بن مريم كما جاء في سفر يوحنا، وقد مر بنا سابقا في بحث الألوهية في الإنجيل، وعلى أساس هذا التصور الحلولي الإشراكي فإن التوراة والقرآن لا يلتقيان مع الإنجيل في صفة الكلام وغيرها من الصفات الذاتية.

-**الحياة**:صفة قائمة بذاته سبحانه، بها تثبت كل الصفات التي إتصف بها، وينتفي عنه الموت والعدم، فهو الحي سبحانه الذي لا يموت أزلا وأبدا ودليلها من القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ (1)، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾(2) .

وحياة الله تعالى ليست كحياة غيره من المحدثات التي يسبقها العدم ويلحقها الموت بل لم يسبقها ولا يلحقها موت أو عدم بناء على ما ثبت لنا أنه الأول الذي لم يكن قبله شيء، وأنه الآخر الذي ليس بعده شيء.

والقرآن في إثبات هذه الصفة لا يقارن بالتوراة التي لم أعثر فيها إلا على نص واحد يثبت الحياة الأبدية لله تعالى ، بل أن حياة الله فيها غير مأمونة من سرقة الإنسان الذي كاد أن يظفر بسر الحياة لو أفلح في تفويت الفرصة على خالقة كما حكى ذلك سفر التكوين ، وإذا كانت التوراة لا مكان فيها لموت الإله فإن الإنجيل يثبت موت الإله عن طريق التضحية والفداء من أجل الخلاص، لكن هذا الموت دام ثلاثة أيام ليبعث من جديد ويتخلص من صورته الجسدية الناسوتية، ويستقر في عليائه اللاهوتية! فسبحان الله عما يقال عنه علوا كبيرا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(*) القرآن الكريم يسمي عيسى كلمة، كما في قوله تعالى: « إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله و كلمته ألقاها إلى مريم و روح منه » النساء/170. و لقد فسرت الكلمة بالأمر، و الروح بنفخة جبريل في عيسى و هو في بطن أمه بأمر من الله، استنادا إلى قوله تعالى: « فنفخنا فيه من روحنا » التحريم/12.الرازي، التفسير الكبير، ج11 (مصدر سابق)، ص115-116 و الزمخشري ، الكشاف ، ج1(مصدر سابق)، ص584.إذ هناك فرق بين كلام الله كصفة قائمة بذاته و بين المسيح الذي أوجده الله بكلمته أي بأمره وفقا لقوله تعالى: « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون» يس /81. فالصفة قديمة،وعيسى مخلوق محدث.

(1) البقرة/255.

(2) الفرقان/58.

2- أسماء الله الحسنى:

الحسنى مؤنث الأحسن على وزن أفعل، كالكبرى و الصغرى، والفضلى، وهي ضد السوأى، ولفظ الحسنى يعني: أن لله أحسن الأسماء، وأجلها، وأعظمها، وأشرفها، لتضمنها معاني القدسية، والعظمة، و الجلال، وتنزهها عن معاني النقص كلها[1] . فالعليم مثلا اسم من أسماء الله الحسنى الدال على كون الله تعالى عالما بعلم مطلق شامل، لا يسبقه، ولا يتخلله، ولا يلحقه جهل أبدا كما اتضح في صفة العلم. ودليل ثبوت أسماء الله الحسنى في القرآن هو قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2]،﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾[3]،﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾[4]، و دليلها من السنة النبوية قول النبي صلى الله عليه و سلم : « إن لله تسعة و تسعين اسما ، مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة »[5] و زاد الإمام الترمذي في جامعه على صيغة البخاري : « ...وتر يحب الوتر، ثم ذكر مسرد الأسماء : هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمان الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدىء، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الأحد، الفرد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب،

(1) حسنين محمد مخلوف ، أسماء الله الحسنى(الجزائر: دار الشهاب باتنة، دت)، ص18.

(2) الأعراف/180.

(3) طه/8.

(4) الإسراء/ 110.

(5) البخاري، صحيح البخاري، باب إن لله مائة اسم إلا واحدا، رقم 7393(مصدر سابق)، ص 1336.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور»[1].

و أسماء الله تعالى في القرآن تنقسم من حيث الدلالة إلى أربعة أقسام:

أ-اسم العلم الدال على الذات الموجودة و هو الله.

ب-الأسماء الدالة على الصفات الثابتة للذات كالأسماء المناظرة للصفات المعنوية مثل، العليم والقدير والسميع والبصير..

جـ-أسماء الأفعال الدالة على إضافة أمر إلى الله تعالى مثل: الخالق والرازق...

د-الأسماء الدالة على سلب شيء يتنزه عنه سبحانه مثل: الباقي والواحد والغني .. و هي مناظرة للصفات السلبية مثل: القدم، والبقاء، والمخالفة للحوادث..[2]

وأسماء الله تعالى دالة على صفات كماله، لأنها مشتقة من الصفات، و لو لم تكن كذلك لما سماها الله حسنى، ولما عد المحرفين، والمعطلين والمشبهين لها ملحدين[3]، ولأن الإلحاد في الأسماء بالضرورة إلحاد في الصفات، والعكس كذلك صحيح.

وما دامت أسماء الله تعالى دالة على صفات كماله فهي منزهة أيضا لله عما لا يليق به، وإن تسمى بها بعض مخلوقاته، فقد سمى القرآن مثلا النبي محمد صل الله عليه و سلم الرؤوف الرحيم: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[4]، وسمى بعض عباده من الظلمة والكفار متكبرا وجبارا: ﴿ ... كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [5] و هي جميعا من أسماء الله الحسنى، فهذا النوع من الأسماء لا تطلق ولا تفهم على طلاقتها وكمالها إلا إذا كانت منسوبة لله، بينما تطلق وتفهم

---

[1] الترمذي، جامع الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد، رقم3507، ج5، تح أحمد محمد شاكر(بيروت: دار عمران، دت)، ص530.

[2] أبو حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد(بيروت: دار الكتب العلمية، 1983)، ص100-101 والصنعاني ، سبل السلام، ج4، تح عبد العزيز الخولي(بيروت: دار الجيل: 1960)، ص1444.

[3] ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ج 1، تح، محمد حامد الفقي(بيروت: دار الكتاب العربي، 1972)، ص.28

[4] التوبة/128.

[5] غافر/35.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بنسبيتها على غيره، فرأفة الله ورحمته غير رأفة ورحمة رسوله، وغير رأفة ورحمة باقي عباده، وتكبره وجبروته سبحانه بالمعنى الأحسن والأعلى غير جبروت وتكبر عباده الظالمين بالمعنى الأسوأ والأدنى، والقاعدة المرجعية دائما في ذلك قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[1].

والقرآن في عقيدة الأسماء تلتقي معه التوراة نسبيا من حيث كثرة أسماء الله وتنوعها، ومن حيث احتوائها على جملة من الأسماء ذات المعنى الأحسن التي يمكن أن تكون البقية الباقية من الوحي الإلهي المنزل على الرسول موسى عليه السلام، وهي النوع الأول المبين سالفا في بحث أسماء الله في التوراة ، وتختلف معه في النوع الثاني من الأسماء بشقيه، سواء كانت أعلاما على الذات، أو أسماء مستشفة من أفعال الله، كما تختلف أسماء الله في القرآن عن تلك المسماة بالأسماء الشرعية في التوراة، فهذه الأنواع الثلاثة الأخيرة من أسماء الله في التوراة أسماء وضعية لا وقفية كأسماء الله في القرآن، وضعها اليهود خلال تاريخهم الطويل متأثرين بالبيئات الدينية الوثنية التي عاشوا بين ظهرانيها، فهي أسماء طاعنة ملحدة في عقيدة الألوهية.

وتختلف أسماء الله في القرآن تمام الاختلاف عن الأسماء الواردة في الإنجيل وهي قليلة جدا الأمر الذي جعلني أغض عنها النظر، لأنها مع ندرتها الشديدة فهي أسماء لا لإله واحد بل لآلهة متعددة، مثلها مثل الصفات، الأمر الذي يجعلها غير قابلة للموازنة مع القرآن والتوراة.

---

[1] الشورى/11.

الفصل التاسع

الإنسان في القرآن

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إذا استثنيا النصوص التشريعية القرآنية التي تتحدث عن الإنسان في إطار ضبط علاقاته المختلفة مع ربه ومع بني جنسه، ليضمن حياة طبيعية كما أرادها له خالقه، كما استثنيا هذه النصوص سابقا في بحث موضوع الإنسان في التوراة و الإنجيل، فإن القرآن نجده يهتم كثيرا بذكر الإنسان في جوانبه الأخرى، من بداية خلقه حتى رجعته الأخيرة إلى الله ليلقى مصيره النهائي في عالم الآخرة . ومن بداية الرحلة إلى نهايتها تفاصيل كثيرة عن هذا الإنسان، وهذا الشمول والتفصيل لعقيدة الإنسان في القرآن لا نجدها في التوراة و الإنجيل معا، وهو ما سيتبين لنا من خلال استقصاء أهم الأفكار الرئيسة المتعلقة بالإنسان في القرآن الكريم على غرار تلك التي بينت سابقا في كل من التوراة و الإنجيل، وهي : مفهومه، مكانته، وظيفته، ومصيره:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

مفهومه:

قيل أن اسم الإنسان من النسيان، كما قال ابن عباس ﷺ : إنما سمي إنسانا لأنه عهد إليه فنسي، وقيل غير هذا[1] مما يتعذر استقصاؤه لغة في هذا المقام، والتعريف اللغوي السابق يفي بالغرض الوظيفي، وعرف الإنسان اصطلاحا بمختلف التعاريف، إذ كل تعريف ينطلق من جانب معين في الإنسان، فهناك التعريف المنطقي، والتعريف النفسي، و التعريف الرسالي، والتعريف الاجتماعي ... وغيرها [2]، و يمكن إجمال تلك التعاريف في تعريف جامع واحد: الإنسان هو أحد مخلوقات الله العظيمة شأنا، التي كرمها الله بالعقل وشرفها بالتكليف وحمل الأمانة، وفضلها على كثير ممن خلق تفضيلا. ويلتقي القرآن و التوراة في مفهوم الإنسان من حيث خلقته الأولى التي ابتدأها الله في آدم لتستمر في نسله من بعده، لكن بشكل أكثر تفصيلا، فهو مخلوق من طبيعتين: مادية ترابية أرضية، وروحية إلهية: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ(7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ(8) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾[3]، ثم يذكر القرآن تفصيل هذه الخلقة بعد خلقة آدم الأولى وفق مراحل متسلسلة ومتعاقبة: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ(12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ(13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[4]. وهذه الخلقة الإنسانية خلقها الله في أحسن ما يمكن من التسوية و التقويم والجمال، وهو ما تدل عليه صورة الإنسان رجلا و امرأة بمختلف أشكاله وألوانه: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ(6) الَّذِي خَلَقَكَ

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) أبو بكر الرازي، مختار الصحاح(المصدر السابق)،11.

(2) عباس محمود العقاد، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه(بيروت: منشورات المكتبة العصرية صيد)، ص76.

(3) السجدة /7-8.

(4) المومنون/12-14.

فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ(7)فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾[1]، ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[2] ثم يزيد القرآن تفصيلا أكثر عن خلقة الإنسان وتركيبته من خلال سبر طبيعته النفسية الداخلية وما تحويه من نوازع الخير و الشر التي ألهم الإنسان بمعرفتها والتمييز بين جانبها الخير وجانبها الشرير ، الأمر الذي يجعله قادرا على اختيار أحداهما دون الأخرى وعلى أساس هذا الاختيار يكون الإنسان في القرآن محمودا ممدوحا تارة ومذموما معابا تارة أخرى :﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا(7)فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا(8)قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا(9)وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾[3]، فكل صفة حمد ومدح للإنسان في القرآن راجعة إلى حب الإنسان للخير المتمثل في طاعة الله وكل صفة ذم وقدح راجعة إلى ميله للشر المتمثل في عصيان الله تعالى[4].وعلى هذا الأساس يصنف الإنسان في القرآن إلى نوعين: نوع محمود ذو صفات يرضاها الله ويحبها، وهي صفات المؤمن الطائع[5]، ونوع مذموم ذو صفات لا يرضاها الله، ولايحبها وهي صفات الكافر العاصي،كالكفر[6]،الجحود[7]،الإعراض[8] والاستكبار ونسيان وجحود نعمة الله[9]،القنوط[10]، الإشراك بالله[11]،الهلع والجزع والمنع[12]... وغيرها من صفات الذم.

وهناك نوع ثالث من البشر خصهم الله بالمدح والثناء أكثر من غيرهم، وهم صفوته المختارة من الأنبياء والمرسلين عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم الذين عصمهم الله من الخطأ

(1) الانفطار 6-8.

(2) التين 4.

(3) الشمس 7-10.

(4) عباس محمود العقاد،الإنسان في القرآن الكريم(بيروت: منشورات المكتبة العصرية صيدا، دت)، ص 14.

(5) كالمذكورة مثلا في بداية سورة المومنين وآخر سورة الفرقان .

(6) الإسراء/67.

(7) العاديات/6.

(8) فصلت/15.

(9) الزمر/9.

(10) الروم/35.

(11) الروم/34.

(12) المعارج/19-21.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الذي يقع فيه سائر الناس، واصطفاهم لمهمة عظيمة هي الإبلاغ عن الله والتبشير والإنذار، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[1]، ﴿... أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ﴾[2].

والإنسان بأنواعه الثلاثة هو عبد لله وليس ابنا أو شريكا أو إله مع الله كما عرفنا في التوراة والإنجيل: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَدًا(88)لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا(89)تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا(90)أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَانِ وَلَدًا(91)وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَانِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا(92)إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَانِ عَبْدًا(93)لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا(94)وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾[3]، ﴿لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾[4].

والإنسان بين عظمة الخلقة وسويتها وبين التشريف بالعبودية فقد أكرمه الله تعالى بالمكانة المرموقة في هذا الكون، فما هي مكانته كما بينها القرآن الكريم؟.

(1) آل عمران/34.

(2) مريم/58.

(3) مريم/88/95.

(4) النساء/172.

المبـــــحث الثاني

مـــــكانته :

كان التكريم الحقيقي للإنسان في التوراة والإنجيل في المرحلة الأولى من خلقة الإنـــسان، وإسكانه في جنة عدن ثم زال هذا التكريم نهائيا في تصور الإنجيل بينما انتزع منه نسبيا في تصور التوراة بعد وقوع آدم في الخطيئة. لكن القرآن نص على هذا التكريم دون إشارة إلى المساس به قبل خطأ آدم في الجنة أو بعد ذلك.ويبدأ التكريم الإلهي للإنسان من إرادة الله في خلقه وجعله خليفة في الأرض، رغم ما أبداه الملائكة من ملاحظة تعبر عن رأيهم فيما سيصدر عـــن هـــذا الإنسان من أخطاء في حق الله تعالى الذي لا يليق بجلاله وعظيم سلطانه إلا العبادة والتـــسبيح والتقديس كما يفعل الملائكة، وهذا بعد أن أعلمهم الله بإرادته في شأن خلق الإنـــسان، إلا أن الله تعالى أخبر الملائكة أن إرادته في خلق الإنسان ستكون نافذة لعلمه الغيب ولعلمه بالحكمـــة التي ستكون من خلق الإنسان، وهو ما كانت الملائكة تجهله. فخلق الله هذا الإنسان وأكرمـــه بالعلم وقدرته على التعلم، وأسجد له الملائكة وأسكنه وزوجه الجنة ينعمان فيها بكل خير، و لم ينهاهما عن أي شيء فيها ماعدا شجرة واحدة لحكمة يعلمها سبحانه، لكن إبليس الذي سبق وأن عصى الله في عدم امتثاله لأمر الله والسجود لآدم أفلح في غواية آدم وإيقاعـــه في شـــرك المعصية حين أكل من الشجرة المنهي عنها هو وزوجته ، لكن آدم بعد أن تفطن لزلته رجع إلى الله مستغفرا تائبا، فتاب الله عليه، ولحكمة يعلمها الله أنزل آدم وإبليس إلى الأرض بعد أن بين الله للجميع طريق الهدى من طريق الضلالة وعاقبة كل من سلك إحـــدى الطـــريقتين[1].وفي الأرض كان التكريم والتسخير والتمكين للإنسان بما فضله الله على كثير ممن خلق تفضيلا، وبما رزقه من أنواع النعم والطيبات في البر والبحر والجو، حيث كل شيء مذلل سهل الاستغلال، وما على الإنسان إلا السعي وبذل الأسباب للوصول إلى ما أراد من خيرات هذا الكـــون، ولا يعد ذلك عقابا إلهيا له، بل هو من كمـــال التـــسخير ومتطلباتـــه:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا

(1) البقرة،29-38، والأعراف/10-24.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تَفْضِيلًا ﴾[1]، ﴿... قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ﴾[2]إذ لو كان بذل الجهد عقابا للإنسان كما في التصور الإنجيلي لما سماه الله تعالى عونا، ولما جعل نتيجته رحمة: ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا(97) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ﴾[3]، ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾[4] .والقرآن في التقائه مع التوراة في كون الكون مسخرا للإنسان ببره وبحره وما فيهما من كائنات نجده يتجاوز التوراة في تفصيل مظاهر التسخير وأنواعه، في حين لا يكاد يعثر على مفهوم التسخير بصورة مجملة أو مفصلة في الإنجيل،فمن مظاهر التسخير الإلهي للإنسان المذكورة في القرآن بشكل مفصل ومتنوع ولو نسبيا، والتي تشكل في مجملها توازنا مدهشا يوفر الظروف المناسبة لاستمرار حياة الإنسان في هذا الكون ما يأتي :

1-الأرض مذللة للزرع والغرس والإنبات وإخراج أنواع من الأغذية والثمرات:﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾[5]، ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ(64) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ(65) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ(66) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ(67) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ(68) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ(69) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ(70) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ(71) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ . . . ﴾[6] .

---

(1) الإسراء/70.

(2) الكهف/95.

(3) الكهف/97-98.

(4) الأعراف/10.

(5) الملك/15.

(6) الواقعة/64-72.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2-الأرض هيأها الله مخزنا للثروات الباطنية والسطحية يستغلها الإنسان في كل زمان ومكان : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾[1]، لأن من مكونات البترول والغاز الشجر الأخضر المتخمر تحت الأرض لملايين السنين .

﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ [2] .

3-الأرض تحتوي على مصادر المياه المختلفة من محيطات وأنهار..و هذه الأخيرة تحتوي بدورها على مصادر هامة للغذاء والاستمتاع، ولو لا وجود الماء لما أمكن للإنسان أن يحيا أو تحيا الكائنات والنباتات مصدر عيشه وحياته:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ(10)يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3]، ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[4] .

4-خلق الله في هذا الكون العظيم آيتي الشمس والقمر التي هما قوام الإنسان والكائنات معا. فالشمس تعطي الإنسان من نورها وحرارتها قدرا ملائما يجعل حياة الإنسان على الأرض ممكنة ولو لا وجودها لاستحال على الإنسان الحياة، كما أن القمر لا يقل أهمية عن الشمس بالنسبة للإنسان وغيره: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[5]، ومظاهر التسخير هذه هي قليل من كثير مما ذكر في القرآن الكريم، عرضتها على سبيل موازنتها بما ورد في التوراة لا على سبيل استقصائها الشامل، هذا التسخير الإلهي للنعم المختلفة التي لا يمكن حصرها، كلها كانت

---

(1) يس/80.

(2) الحديد/25.

(3) النحل/10-11.

(4) النحل/14.

(5) يونس/5.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من أجل حياة وراحة الإنسان لا من أجل أن يتمتع ثم يموت عقابا له كما في الاعتقاد الإنجيلي والتوراتي في تصور الحياة والموت، وإنما لأجل القيام بوظيفة هامة في هذا الكون، هذه الوظيفة هي التي ستكون فيما يأتي موضوع استقصاء:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث:

وظيفته:

رغم التقاء القرآن مع التوراة والإنجيل في الإشارة إلى ما كان فيه الإنسان الأول الممثل في أبوي الإنسانية، آدم وحواء من حياة النعيم في الجنة، ثم عصيان آدم وحواء لربهما بفعل غواية كائن شرير سمته التوراة بالحية، وسماه القرآن الشيطان، وهبوطهما إلى الأرض، مع اختلافات تفصيلية في سرد هذه القصة، فإن القرآن لا يتفق مع التوراة في حصرها وظيفة الإنسان الأساسية في عمارة الأرض واستغلال خيراتها، وتكثير النسل الإنساني ما عدا ما جاء في غير التوراة من كتب الأنبياء، بل القرآن يتجاوزها إلى ذكر وظائف أخرى كما سنعرف، ويختلف كذلك عن التصور الإنجيلي الذي لا يعير أي اهتمام لوظيفة الإنسان في الأرض، لأنه يرى أن الإنسان طرد إلى الأرض شر طردة بفعل خطيئته الأولى ، وأنه يعيش في الأرض شقيا مدنسا، مغضوبا عليه حتى يأتيه الموت عقابا له لأن فيه خلاصه، ومن لم يمت لم يخلص حتى إذا جاء المسيح الابن الإله الفادي المخلص أعاد الاعتبار للإنسان عند الله الأب، وحينئذ فإن وظيفة الإنسان هي الإيمان بهذا المسيح والموت فيه ولأجله. وتحديد الأرض كمقر رئيسي يؤدي فيه الإنسان وظيفته كان قبل خلق الإنسان نفسه [1] كما أخبر بذلك القرآن، وهو ما لم يأت ذكره في التوراة ولا في الإنجيل: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2]، ومن هذا المنطلق في إرادة الله لخلق خليفة إنساني في الأرض، فإن وجود هذا الإنسان لم يكن وجودا عبثيا وسدى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [3] بل خلق لوظيفة يؤديها أثناء فترة وجوده حيا في هذا الكون تحقيقا للإرادة الإلهية في خلق الإنسان واستخلافه في الأرض، وهذه المهمة العظمى التي سيقوم بوظيفتها الإنسان كانت بناء على إعداد إلهي سابق

[1] ابن كثير، التفسير، ج1(مصدر سابق)، ص120.

[2] البقرة/30.

[3] المومنون/ 115.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لهذا الإنسان وفق ما تبين لنا في مبحث مفهوم الإنسان، حيث خلقه الله في أحسن تقويم، ومن مظاهر خلقته في أحسن تقويم إكرامه بنعمة العقل التي تميز الإنسان عن غيره من الكائنات غير المكلفة، وإكرامه بالعلم والقدرة على التعلم: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(31)قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ(32)قَالَ يَاآدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[1]، ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ(3)الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ(4)عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[2] .

وأكرمه أيضا بالوحي الذي هو مراد الله من الإنسان لأجل الإنسان نفسه، فبين له طريق الهداية والرشاد من طريق الغي والضلال: ﴿ اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(38)وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[3].

هذه الإمكانيات وغيرها، كلها جعلته أهلا لأن يتحمل رسالة وأمانة عظيمة في هذا الكون لا تطيق حملها السماوات والأرض والجبال: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[4]، هذه الأمانة في صورتها المجملة هي وظيفة الإنسان في هذا الكون المتمثلة في وظيفة الاستخلاف التي تكلم عنها القرآن في مواضع عدة: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ﴾[5] «أي جعلكم تعمرونها جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن وخلفا بعد سلف»[6] .

---

(1) البقرة/31-33.

(2) العلق/3-5.

(3) البقرة/38-39.

(4) الأحزاب/72.

(5) الأنعام/167.

(6) ابن كثير، التفسير، ج3،(مصدر سابق)، ص142.

مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا ﴾[1].

أما في صورها التفصيلية والجوهرية فهي عبادة الله تعالى والالتزام بوحيه، وهو ما سيكون أحد محاور الاستقصاء في فصل علاقة الإنسان بالله في القرآن، قال الله تعالى محددا أمانة العبادة التي من أجلها وجد الإنسان: ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾[2]، ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾[3]، مهما كانت صورة هذه العبادة، إذ أن معنى العبادة في المفهوم القرآني تتجاوز الواجبات العقدية والسلوك الأخلاقي في المعاملات العامة إلى غيرها من أنواع النشاط الإنساني المشروع بشرع الله، كطلب العلم: ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ﴾[4]، ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب ﴾[5]، والعمل بأنواعه من أجل استغلال الكون المسخر، وبناء الحضارة وتشييدها في الخير عبادة. وبصيغة مجملة، فإن كل حركة وسكنة لا يستبعد منها ابتغاء الله هي عمل عبادي: ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾[6]، ﴿ وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ﴾[7]، ﴿ ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن

(1) فاطر/39.

(2) الذاريات/ 56-58.

(3) البقرة/21.

(4) محمد/19.

(5) الزمر/9.

(6) التوبة/105.

(7) يونس/61.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾[1]، ﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾[2]. وعلى أساس حمل الإنسان لتلك الأمانة بمعناها العام المجمل، ومعناها الخاص المفصل في القرآن الكريم أصبح الإنسان مكلفا في هذا الكون، كل قدر إمكـــانياته واستطاعته: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾[3]، وجوهر هذا التكليف هو ضبط خلافة الإنسان في الكون، وما يقوم به من أنواع الأعمال الفكرية والعملية بمنهج الله المتمثل في شرعه، المبلغ إلى الإنسان عن طريق الوحي، وذلك التكليف بهذا المعنى ليس إرهاقا للإنسان، ولا عقبة في طريق تحرره مما يعانيه، بل هو منهج إلى حياة أفضل وآمن وأسعد في الدنيا والآخرة، ومسلك عاصم للإنسان من الخروج إلى طرق غير محمودة العواقب في حياته العاجلة ومستقبله الآجل: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[4]،وهو منهج محرر للإنسان من كل ما قد يقيده ويستعبده أو يضره في دنياه وأخراه : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾[5].

ثم أن هذا المنهج بعد ذلك يعد حجة الله على الإنسان المكلف الذي قد يعتذر إلى الله مبررا شره بعدم تلقيه البلاغ من الله، أو يندم ويتمنى أن تكون له فرصة أخرى ليكون من المهتدين حين يعلم مصيره يوم القيامة: ﴿ .. أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ(57) أَوْ تَقُولَ

(1) النساء/124.

(2) لقمان/21.

(3) البقرة/286.

(4) الأنعام/153.

(5) الأعراف/157.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ(58)بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾(1)، ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(155)أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ(156)أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴾(2).

وعلى أساس هذا التكليف الإلهي للإنسان الوارد في الوحي المبني على حرية الإرادة في الاختيار: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا ﴾(3)،﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾(4) فإن الإنسان مسؤول عن كل فعل أو قول يصدر عنه وفقا لمعيار التكليف السابق، وهو الخيرية في حالة الالتزام بشرع الله، والشر في حالة الإعراض عن شرع الله، وعليه فإن الجزاء المترتب عن مسؤوليته يكون من جنس العمل، خير بخير، وشر بشر: ﴿... لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾(5)،﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ﴾(6)،﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾(7)،﴿ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(14)مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ

(1) الزمر/57-59.
(2) الأنعام/155-157.
(3) البقرة/256.
(4) الكهف/29.
(5) البقرة/285.
(6) النور/11.
(7) المدثر/38.

وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾[1]، والمسؤولية في القرآن فردية، إذ لا يتحمل أحد وزر الآخر: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾[2]وفي إطار التكليف الإلهي للإنسان الذي يترتب عنه ذلك الجزاء يتحقق الاختبار والابتلاء بمفهومه الواسع، وهو امتحان الله للإنسان بما يحب وبما يكره: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾[3]،[أي أُخضعوا لأنواع من المحن والتكاليف الصعبة لأجل التقوى، وليتبين مدى ثباتهم وصبرهم على التقوى، لأن حقيقة التقوى لا تعلم إلا عند المحن والشدائد والاصطبار عليها، ولذلك يقال للذهب أنه امتحن إذا أذيب فخلص جوهره ونقاؤه من خبثه وغبشه، فالامتحان اختبار بليغ أو بلاء جهيد][4] .

وفي مقدمة هذه الإبتلاءات التي يجب على الإنسان أن يتجاوزها بسلام، مدى نجاحه في إخضاع تلبية نوازعه وميوله لشرع الله، لأن هذه الميول والنوازع لا تشبع، فهي دائمة الإلحاح على صاحبها، فإن أطلق عنانها أهلكته وأهلكت غيره، فيكون بالتالي من النوع الذي اتبع هواه أو نفسه الأمارة بالسوء، واتبع الشيطان عدو الإنسان القديم الجديد الذي يتربص بالإنسان لإيقاعه في شرك معصية الله ليخسر بالتالي في امتحان الله وابتلائه، لذلك نبه القرآن الإنسان إلى حظورة هؤلاء الأعداء، وأن اتباعهم يودي به إلى الخسارة في الابتلاء: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا(7)فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا(8)قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا(9)وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾[5]،﴿ وَلَا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾[6]، ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[7]، ﴿ وَمَنْ يَتَّخِذْ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا(119)يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا

---

(1) الجاثية/14-15.

(2) النجم/38.

(3) الحجرات/3.

(4) الزمخشري ، الكشاف، ج557/3.

(5) الشمس/7-10.

(6) ص/26.

(7) القصص/50.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

غرورا(120)أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا ﴾[1] ،﴿ إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا ﴾[2] ،﴿ يابني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ﴾[3]، والشيطان قد يكون من النوع الوارد في الآيات السابقة،وقد يكون إنسانا يفعل مثلما يفعل الشيطان من النوع الأول: ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴾[4].

والإنسان الخليفة المكلف المبتلى في هذا الكون، كما كانت له بداية ونهاية، تكون كذلك مدة خلافته وتكليفه وابتلائه ، حيث يخرج من فترة الامتحان هذه إما ناجحا وإما خاسرا ليؤول إلى مصير نهائي فيه سعادته الأبدية أو شقاؤه الأبدي، وهو ما سيتبين في مبحث المصير الإنساني، الآتي استقصاؤه:

---

(1) النساء/118-120.

(2) الإسراء/53.

(3) الأعراف/27.

(4) الأنعام/112.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الرابع

مصيره:

القرآن والتوراة يلتقيان في كون الإنسان تختم حياته الدنيوية بموت حتمي وفق أجل يعلمه الله، ينتهي برجوعه إلى التراب الذي خلق منه، وأن طبيعة الموت هو خروج النفس من البدن، دون أن تذكر التوراة ملك الموت الموكل بقبض الأرواح أو غيره من الملائكة،والقرآن لا يرى في الموت الإنساني عقابا على الخطأ كما كان موت آدم عقابا على خطيئته في الجنة مثلما ذهبت إلى ذلك التوراة. ويتجاوز القرآن ما جاء في التوراة من ذكر محدود للعالم الآخر أو يوم القيامة، وما فيه من أهوال، وما يحتويه من اهتمام بمصائر الناس الذين يوزعون حسب أعمالهم في الدنيا بين شقي في النار يذوق فيها ألوانا من العذاب، وسعيد في الجنة ينعم فيها بأصناف النعيم المقيم.أما الإنجيل رغم إشارته إلى العالم الآخر وما فيه من حياة أبدية رضية للمؤمنين بالمسيح كإله وابن إله مخلص، ووجود جحيم للكافرين بالمسيح بالصيغة المذكورة، فإنه مثل التوراة لا يشير إلى تفاصيل هذه الحياة من حيث وقائعها المختلفة، ولا إلى طبيعة حياة السعداء و حياة الأشقياء كما هو الحال في القرآن.

والقرآن كثير الإسهاب في الحديث عن يوم الآخرة ابتداء من الموت، لأنه بداية ذلك العالم حتى المصير النهائي في الجنة والنار اللتين يفيض القرآن في وصفهما مرغبا ومرهبا، مبشرا ومنذرا بهما.ولما كان استقصاء هذا العالم الذي سيؤول إليه المصير الإنساني بتفاصيله متعذرا في هذا البحث ، فسأكتفي بالإشارة إلى أصوله المحورية فقط قدر ما تقتضيه الموازنة، ليتجلى الفرق بين اهتمام القرآن الفائق بالمصير الإنساني النهائي في ذلك العالم، وضعف الاهتمام به في كل من التوراة والإنجيل. ففي القرآن يبدأ المصير الإنساني الأخروي من حادثة الموت أو الوفاة التي ستلحقه بمجرد انتهاء أجله المحدد عند الله:﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (1)، إذا الموت حتمي لا بد منه، لا لأنه عقاب إلهي للإنسان على أخطائه، و إنما هو سنة من سنن الله في الكون يسرى على كل مخلوق، وأنه مرحلة من حياة الإنسان لا بد منها يتطلبها التكليف والابتلاء بعد انقضاء فترة الاستخلاف والامتحان:﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ

(1) الأعراف /34 .

وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [1] ، ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾[2] ، وهذه السنة الإلهية تسري على كل مخلوق، حتى لا يبق أحد في هذا الكون إلا الله وحده، وليس هناك مكان حصين أو منيع يحول بين أي مـخلوق والموت :﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ(26)وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [3]،﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [4] ، وكما خلق الإنسان من الأرض فإنه سيعود إليها بعد موته:﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [5] .

ويؤول الإنسان بعد الموت إلى حياة ما قبل الآخرة أو البرزخ الذي يعد البداية الأولى للحياة السعيدة أو الشقية قبل حلول يوم القيامة الأكبر، بناء على صلاح الإنسان أو فساده، نجاحه أو خسرانه في امتحان الاستخلاف والتكليف، ودليل هذه الحياة البرزخية من القرآن قوله تعالى:﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ(45)النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [6]، إذ تعد هذه الآية أصلا كبيرا في الاستدلال على عقيدة البرزخ وما فيها من نعيم وعقاب عند المسلمين[7]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ: أنه مر بقبرين يعذبان فقال:« إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير،أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة» ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين، ثم غرز في كل قبر واحدة، فقالوا: يا رسول الله لم صنعت هذا؟ فقال : «لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا»[8] . وبعد انقضاء فترة الحياة البرزخية وحلول يوم القيامة يبعث الإنسان، وتكمن طبيعة البعث في

---

(1) الملك/2.

(2) الواقعة /60.

(3) الرحمان/26-27.

(4) النساء 78.

(5) طه /55

(6) غافر/45-46.

(7)ابن كثير، التفسير، ج6،(مصدر سابق)، ص142.

(8) البخاري، الصحيح، باب الجريد على القبر، رقم الحديث 1361،(مصدر سابق)، ص 252.

إحياء الله لجميع الأموات وإخراجهم من القبور، ومن كل أماكن انحلال الأجساد استعدادا للحشر والحساب والجزاء النهائي ودخول الجنة والنار، ويبدأ البعث بعد النفخة الثانية في الصور من قبل ملك النفخ إسرافيل بأمر من الله:﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [1]،﴿ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [2] وبعد بعث الإنسان تعرض عليه أعماله شاهدة عليه بما قدم من خير أو شر: ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا(13)اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [3] ، ﴿ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا(48)وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [4] وبناء على صحائف أعمال الإنسان يحاسب وتقييم أعماله ليتضح مصيره النهائي:﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ(7)فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا(8)وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا(9)وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ(10)فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا(11)وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ [5]، ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [6].

وبعد الحساب النهائي يأتي الجزاء النهائي المستحق فيدخل الفائزون الجنة ويدخل الخاسرون النار:﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [7]، ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا

---

[1] الزمر/ 68.

[2] الأنعام /36.

[3] الإسراء /13-14

[4] الكهف /48-49.

[5] الإنشقاق/ 7-12

[6] إبراهيم/51.

[7] الشورى/7.

حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ(73)وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (1)

وقد وصف القرآن الكريم هذه الجنة المعدة للإنسان المفلح في أعماله أنها عرض السماوات والأرض: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ (2) وفي الجنة ألوان من النعيم المقيم، المعنوي منه والمادي، ومنه على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ (3).

والجنة في نعيمها درجات متفاوتة بتفاوت أعمال الإنسان الخيرية، وبتفاوت طاعة الإنسان لله: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ (4). وروي عن النبيﷺ قوله لأم حارثة الذي استشهد يوم بدر حين قالت له: فإن يك في الجنة أصبر وأحتسب وإن تكن الأخرى ترى ما أصنع: « ويحك، أو هبلت، أو جنة واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة، وإنه لفي جنة الفردوس»(5).

وعلى غرار الجنة ونعيمها وأهلها المفلحين، فإن هناك النار مصير الخاسرين الذين خسروا في إمتحان الله وابتلائه حين خالفوا أوامره ونواهيه في فترة الاستخلاف الدنيوية بشهادة أهلها أنفسهم : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا

---

(1) الزمر /73-74..

(2) الحديد/ 21.

(3) محمد/ 15.

(4) الإسراء /21.

(5) البخاري، الصحيح، باب صفة الجنة والنار، رقم الحديث ، 6550(مصدر سابق)، ص1192.

قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ(71)قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [1]ومثلما أسهب القرآن في ذكر الجنة وأوصافها ونعيمها، فإنه أيضا أسهب في الحديث عن النار وأهوالها، وألوان العذاب فيها المعد لأصحابها، فمن أصناف العذاب فيها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ(19)يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ(20)وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ(21)كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[2] ومن طعام أهل النار الزقوم، ومن شرابهم الحميم: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ(51)لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ(52)فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ(53)فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ(54)فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ(55)هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [3] ، وبانتهاء تحديد مصير الإنسان النهائي في الجنة والنار، كل خالد أبدا فيما هو فيه كما تبين لنا سابقا، لا يصبح للموت وجودا ولا معنى، كما قال النبي ﷺ : « إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادي مناد: يا اهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم» [4].

ووفق هذا التفصيل القرآني للمصير الإنساني الأخروي يتبين لنا الفرق المشار إليه آنفا بين اهتمام القرآن بهذا المصير اهتماما كبيرا، وضعف الإشارة إلى هذا المصير في كل من التوراة والإنجيل. وقوة الاهتمام القرآنية هذه بالمصير الإنساني له صلة قوية بعلاقة الإنسان القرآني بخالقه، حيث يربط نفسه بخالقه أكثر وهو ما سيكون محور استقصاء في فصل علاقة الإنسان بالله في القرآن.

(1) الزمر/ 71-72.

(2) الحج/ 19-21.

(3) الواقعة / 51-56.

(4) البخاري، الصحيح، باب صفة الجنة والنار، رقم الحديث: 6548، (مصدر سابق)، ص 1192.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل العاشر

علاقة الإنسان بالله في القرآن

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

علاقة الإنسان بالله في القرآن هي علاقة عبودية، لا علاقة خاصة في إطار قومية عنصرية كما صورتها التوراة، ولا علاقة أبوة وشراكة وصداقة كما صورها الإنجيل، وعلاقة العبودية تلك تتجلى أكثر للذي يفرق بين الخالق و المخلوق، بكل ما يعنيه الخالق من صفات وأسماء الكمال و العلو والجلال، وما يعنيه المخلوق من صفات النسبية والمحدودية الموهوبة له من خالقه، وهذا التفريق لا يتأتى إلا بمعرفة المخلوق لخالقه، وهي أهم مظاهر علاقة الإنسان بخالقه بعد الإيمان بوجوده، وإذا تمت هذه المعرفة للإنسان بخالقه، فإنه سيصبح شغوفا بالالتزام بما رسم له من طريق سوي يقوده إلى الصلاح و الفلاح في العاجلة و الآجلة، وهذا الطريق هو وحيه و شرعه، وإذا أعرض الإنسان عن توثيق علاقته بخالقه مفضلا اتباع طريق آخر غير المرسوم له من خالقه وفق حرية الإرادة في اختيار ما يشاء، فإن عدل الله لا يتخلف عن إنصاف الإنسان في اختياره الأول والثاني، أي في نوع العلاقة التي اختارها بربه، سواء كانت علاقة اتصال و عبودية أو كانت علاقة انفصال و إلحاد. ووفق هذه المعالم الرئيسة التي بينت سابقا في كل من التوراة و الإنجيل أحاول أن استقصي نظائرها في القرآن الكريم ، لأنها تمثل أجلى مظاهر الصلة الإنسانية بالله تبارك و تعالى بعد الإيمان بوجوده سبحانه الذي سبق وأن بين في فصل الألوهية.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

علاقة الإنسان بالله علاقة عبودية :

إن عقيدة توحيد الله تبارك و تعالى التي أصّلها القرآن، و المثبتة سابقا في فصل، الله في القرآن، المؤكدة لتفرد الله وحده دون غيره في الكون جميعا بكل صفات الكمال والعظمة والجلال المطلقة كالخلق والرزق والهيمنة والإيجاد و الإعدام...تقتضي أن يكون الله وحده دون سواه الإله المعبود من قبل الجميع، بمعنى أن الصلة التي يجب أن تربط الكون بأسره بخالقه العظيم، ومنها صلة الإنسان، هي صلة عبودية(*) لا صلة أبوة وصداقة وحلولية، ووحدة وجود، وقومية عنصرية كما عرفناها سابقا عند المؤمنين بالتوراة و الإنجيل الحاليين من اليهود والمسيحيين رغم أن كتبهم لا تخلوا من الإشارة إلى أن العلاقة بين الإنسان وربه هي علاقة عبودية، كما تبين لنا في مباحث التمحيص والمناقشة، وإلى علاقة العبودية هذه التي يجب أن تربط الكون بأسره ومنه الإنسان بالله تعالى دون سواها من العلاقات أشار القرآن في كثير من الآيات إشارات واضحة لا لبس فيها أن الكون بأسره بما فيه ومن فيه إلا وهو عبد الله بالفطرة والخلقة لأنه خالق الجميع من عدم ورازقهم ومميتهم ومحييهم والقائم عليهم في الدنيا و الآخرة، وأن كل واحد سيمثل أمام الله تعالى يوم القيامة بمفرده ليحاسب على مدى توحيد وصدق عبوديته لخالقه تعالى. وأن من عظائم افتراءات من فسدت فطرهم و انحرفت عن عبودية الله من المكلفين من ينسب إلى الله ولدا لينقض بذلك حقيقة فطرية كبرى هي عبودية الجميع لله تعالى، حتى أن الكون بإسره بسمائه وأرضه وجباله ...اهتزت لهذا الافتراء العظيم وفزعت منه وكادت أن تزول لهول ما قيل في حق الله تعالى وهو أعلى وأجل عن هذا النوع من العلاقة التي تربطه بمخلوقاته، فسبحان الله عما يقال عنه علوا كبيرا:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(*)العبودية هي الخضوع و الذل (أبو بكر الرازي ، مختار الصحاح /172)،ويعرفها الجرجاني في كتاب التعريفات بقوله:« هي الوفاء بالعهود، وحفظ الحدود، والرضا بالموجود، والصبر على المفقود »/121.

أما في سياق البحث فالمقصود بها: الاعتراف بربوبية الله و ألوهيته، والخضوع له بمقتضى أوامره ونواهيه التي ضمنها وحيه المنزل على أنبيائه ورسله.

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَانِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَانِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَانِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾[1] .

وهؤلاء بنو إسرائيل الذين يزعمون بنوتهم لله تعالى افتراء يسميهم عبادا كسائر عباده: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴾[2] ، وينزه الله سبحانه نفسه عن افتراء بني إسرائيل يهودا ونصارى حين جعلوا علاقته ببعض عباده علاقة أبوة وبنوة، تقليدا لكلام غيرهم من أهل الكفر والضلالة من قبلهم: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (30) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[3]، والنبي عيسى عليه السلام يعترف بأن علاقته بالله تعالى هي علاقة عبودية بالدرجة الأولى ثم علاقة نبوة ورسالة، فهو مكلف بما كلف به غيره، إذ أمر بالصلاة والزكاة وبير والدته ما دام حيا حتى يتوفاه الله: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾[4]، ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾[5] ، فما كان من عيسى عليه السلام من آيات ومعجزات خاصة بميلاده ورسالته ورفعه ما هي إلا نعم من الله أنعم بها عليه، وأكرمه بها، كما أنعم وأكرم عباده الأنبياء و المرسلين بمعجزات وآيات مثلها أو تفوقها تأييدا لصدق

---

(1) مريم/ 88-96.

(2) الشعراء/52.

(3) التوبة/30-31.

(4) مريم/029-31.

(5) مريم/ 35.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رسالته، و لا تمثل في أي حال من الأحوال أن عيسى له علاقة بالله تختلف عن علاقة غيره به سبحانه:﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[1]. والشيطان نفسه عدو الله ورسوله وعدو الإنسانية جعل العلاقة التي تربط بين الإنسان وربه علاقة عبودية لا علاقة أخرى مما ابتدعه الإنسان رغم أن الشيطان نفسه يعمل جاهدا لإضلال الناس عن العلاقة الصحيحة بربهم: ﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا(117)لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا . . .﴾[2]فقال عبادك و لم يقل أبناءك أو أية صيغة أخرى تثبت غير علاقة العبودية لله تعالى، وقال سبحانه مثبتا بصيغة مجملة أن كل المعبودات التي اتخذت آلهة تعبد بغير حق مع الله أو دونه ما هي إلا مخلوقا لله لا تخرج عن دائرة عبوديتها لله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [3] ، وجعل الله سبحانه دليل ذلك كما أشارت الآية، أنهم لا يستجيبون لدعاء من دعاهم من الإنس وغيرهم، إذ لو كانوا آلهة و لم يكونوا عبادا لاستجابوا لمن يدعوهم. وهذا أكبر دليل على بطلان ألوهيتهم وثبوت وصدق عبوديتهم لله خالقهم، وقال سبحانه عن الملائكة الذين جعل بعض الناس علاقتهم بالله علاقة نسب أو أبوة، مكذبا لما يفترونه، مثبتا لعبوديتهم لله كسائر مخلوقاته:﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ(26)لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ(27)يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ(28)وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[4] ، وتأكيدا أكثر لعبودية الإنسان لله خاطب الله تعالى الناس مضيفا عبوديتهم إلى نفسه سبحانه كما في قوله: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي

---

[1] الزخرف/ 59.

[2] النساء/ 116- 117.

[3] الأعراف / 194.

[4] الأنبياء/ 26-29.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

واسعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِي﴾[1] ، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[2]، ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (49) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾[3]، فرغم هذا التأكيد القرآني على كون علاقة الإنسان وغيره من المخلوقات بخالقها هي علاقة عبودية إلا أن هناك من يأبى أن تكون كذلك كما فعل أتباع التوراة والإنجيل، وهذا راجع إلى جملة من الأسباب ذكرت بعضها في الفصول السابقة من بحث الألوهية في التوراة والإنجيل، وبعضها المتبقى يرجع إلى عدم معرفة الإنسان لله تعالى، التي تعد من أولويات علاقة الإنسان بخالقه، وهي إحدى العلاقات التي هي بصدد الاستقصاء .

---

(1) العنكبوت/56.

(2) البقرة/185.

(3) الحجر/49-50.

المبحث الثاني:

علاقة الإنسان بالله علاقة معرفة:

إذا كانت علاقة الإنسان بالله علاقة عبودية، فإن من كمال هذه العبودية اعتقادا وسلوكا، التي تجعل المعبود في مقامه المستحق، والعبد في مكانته المناسبة وفقا لما عرفناه في فصل الإنسان في القرآن، أن يعرف(*) الله معرفة يقينية، لأن معرفة الله تعد إحدى صور علاقة الإنسان بخالقه. وفي القرآن الكريم عدد كبير من الآيات التي تمثل في جملتها دليلا مرشدا إلى معرفة الله، يمكن الإصطلاح عليها بطرق معرفة الإنسان بالله.

وهذه الطرق الموجودة في القرآن لا تخالف بعض ما يماثلها في التوراة كمبادئ عامة، لكن من حيث التفصيل، فالقرآن شديد الإسهاب والتفصيل في كل طريق من طرق معرفة الله. والقرآن لا يجعل معرفة الله ممثلة في شخص معين مهما كانت مكانته في إطار حلول الله في ذلك الشخص أو بالاتحاد معه، أو اتحاده مع مخلوق ما، أو مع الكون بأسره كما يدعي ذلك أتباع المسيح في المسيح، كما يرفض القرآن أيضا كل وساطة مشروطة بين الإنسان وخالقه، وهذا خلاف ما يزعمه أتباع الإنجيل في كون المسيح هو الواسطة بين الإنسان وخالقه، هذه المفاهيم والطرق الخاصة بمعرفة الإنسان بالله في القرآن تتضح لنا فيما يأتي

1-طريق تأمل آيات الله:

تأمل آيات الله تعالى في الأنفس والآفاق تأملا حسيا وتأملا علميا متخصصا ودقيقا من أقوى طرق معرفة الله تعالى واليقين به، وطريق اليقين هذا هو ما أشارت إليه جملة من الآيات في القرآن كقوله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ

(*) المعرفة المقصودة هي العلم، لأن العارف في المعنى كالعالم والعليم (أبو بكر الرازي، مختار الصحاح (مصدر سابق)، ص 180)، وأعلى درجات المعرفة اليقين، وهو العلم وزاول الشك (المصدر السابق، ص 310)، أو العلم الذي لا شك معه (الجرجاني، كتاب التعريفات(مصدر سابق)، ص204) . وكلا المعنيين مقصودان.

الْمُوقِنِينَ﴾[1]، ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[2]، ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾[3].

ولضرورة وأهمية هذا الطريق للباحث عن الله جاء القرآن وهو يعج بالآيات التي تدعو الإنسان إلى النظر والتأمل في شتى المخلوقات الموجودة في هذا الكون، العظيمة منها والدقيقة، في آفاق الكون الرحب، وفي عالم الأنفس المتنوع، كما لم يغفل القرآن الدعوة إلى النظر في آيات الله المسطورة في القرآن، التي أوحاها الله إلى نبيه، لأنها تنسجم وتتجاوب مع تلك الموجودة في الأكوان.

أ- آيات الله عموما:

فمن حيث دعوة القرآن إلى النظر في آيات الله عموما نقرأ قوله تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[4]، ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾[5]، ولقد لخص الإمام أبو بكر محمد بن العربي (-543هـ-1181م) عموم آيات الله في الآفاق والأنفس التي تستدعي النظر والتدبر حين فسر الآية الأخيرة في قوله: «وآكد من هذا أن تعلم الإيمان بالله بمعرفته ومعرفة صفاته وأفعاله، وملكوته في أرضه وسماءه، ولا يحصل ذلك إلا بالنظر في مخلوقاته، وهي لا تحصى كثرة، وأمهاتها السماوات، فترى كيف بنيت وزينت من غير فطور، ورفعت بغير عمد، وحولف مقدار كواكبها، ونصبت سائرة شارقة وغاربة نيرة، وممحوة، كل ذلك بحكمة ومنفعة. والأرض، فانظر إليها كيف وضعت فراشا، ووطئت مهادا، وجعلت كفاتا، وانبتت معاشا، وأرسيت بالجبال، وزينت بالنبات، وكرمت بالأقوات، وأرصدت لتصرف الحيوانات ومعاشها، وكل جزء من ذلك فيه عبرة تستغرق الفكرة والحيوان أحد قسمي المخلوقات، والثاني الجمادات، فانظر في أصنافها، واختلاف أنواعها وأجناسها،

---

(1) الأنعام/ 76.

(2) الجاثية/3.

(3) الذاريات/20.

(4) يونس/ 101.

(5) الأعراف/ 185.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وانقيادها وشر سها، وتسخيرها في الانتفاع بها، زينة وقوتا، وتقلبا في الأرض. والبحار أعظم المخلوقات عبرة، وأدلها على سعة القدرة في سعتها، واختلاف خلقها، وتسيير الفلك فيها، وخروج الرزق منها، والانتفاع في الانتقال إلى البلاد البعيدة بالأثقال الوئيدة بها. والهواء، فإنه خلق محسوس، به قوام الروح في الآدمي وحيوان البر، كما أن الماء قوام لروح حيوان البحر، فإذا فارق كل واحد منهما قوامه هلك (...) والإنسان (...) فلينظر إلى نفسه من حين كونها ماء دافقا إلى كونه خلقا سويا، يعان بالأغذية، ويربي بالرفق، ويحفظ باللين حتى يكتسب القوى، ويبلغ الأشد»[1].

ب-دعوة القرآن إلى النظر في الآفاق تفصيلا:

إضافة إلى تلك الآيات القرآنية التي دعت إلى النظر عموما هناك آيات فصلت وحددت النظر في آيات بعينها، مثل قوله تعالى:

﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]، ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ(6) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ(7) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ(8) وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ(9) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ(10) رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾[3]، ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ(24) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا(25) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا(26) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا(27) وَعِنَبًا وَقَضْبًا(28) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا(29) وَحَدَائِقَ غُلْبًا(30) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا(31) مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[4]، ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ

---

[1] أبو بكربنالعربي، أحكام القرآن، ج2 (مصدر سابق)، ص 817.

[2] الروم/ 50.

[3] ق/ 6- 11.

[4] عبس/ 24-32.

إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ(17)وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ(18)وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ(19)وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [1]

2-دعوة القرآن إلى النظر في آيات الأنفس تفصيلا:

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[2]، ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ(5)خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ(6)يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ(7)إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ [3]، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ(20)وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(21)وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾[4]، ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[5]، ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [6].

3-دعوة القرآن إلى النظر في آيات النعم:

الله سبحانه أنعم على الإنسان نعما كثيرة يعسر إحصاؤها : ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [7]، ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [8]، ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ

---

(1) الغاشية/ 17-20.

(2) الذاريات/ 21.

(3) الطارق/ 5-8.

(4) الروم/20-22.

(5) الطور/ 35.

(6) الذاريات/ 49.

(7) إبراهيم/34.

(8) النحل / 53.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يَجْحَدُونَ ﴾ [1]، ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [2]، ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [3].

بعض هذه النعم فصلها القرآن تحديدا ليتأملها الإنسان بعين عقلة ليدرك مدى أهميتها في حياته، ومدى الخطر الذي سيحدق به إن فقدها كلها، أو فقد بعضا منها إن أراد الله- صاحب النعمة- ذلك: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [4]، ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [5]، ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ [6] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ(72)وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[7]، ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ(63)أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ(64)لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ(65)إِنَّا لَمُغْرَمُونَ(66)بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ(67)أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ(68)أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ(69)لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ(70)أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ(71)أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ نَحْنُ

(1) النحل/ 71.
(2) الصافات/ 57.
(3) لقمان/ 20.
(4) النحل/78.
(5) الأنعام/47.
(6) يس/36.
(7) القصص/71-73.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين﴾[1]، ﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون(41)وخلقنا لهم من مثله ما يركبون(42)وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون(43)إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين﴾[2]، ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين﴾[3].

إن هذا الإلحاح القرآني في الدعوة إلى النظر في آيات الله المختلفة يجب ألا يفهم منه أنه مجرد نظر حسي فقط، بل يجب أن يكون نظرا علميا بشكل أخص، لأنه كلما كان علميا معمقا، استطعنا من خلاله الوقوف بشكل أوضح وأدق على عجائب الخلق وأسراره وحكمه لنسيقن في الأخير أن وراء هذا الخلق المبدع الحكيم خالقا أبدعه وأحكمه، ولذلك كان أقرب الناس إلى الإيمان الصحيح العلماء الراسخون في العلم: ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾[4]، ﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾[5]. وأبعد الناس عن الإيمان وأقربهم إلى الشك المفضي إلى التكذيب أهل الجهل: ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم﴾[6]، هذا إضافة إلى أن النظر العلمي يؤدي في نفس الوقت إلى امتلاك ناصية التقدم المادي، وامتلاك القيادة والريادة في كل شيء إلى جانب ناصية الإيمان، وفي هذا الإطار قال الشيخ الغزالي-رحمه الله- (-1416هـ- 1996م):« إن هذا الكون، هو المسرح الأول لفكرنا، وهو الينبوع الأول لإيماننا، والذهول عن الكون سقوط إنساني ذريع، وحجاب عن الله غليظ، وفشل في أداء رسالتنا التي خلقنا من أجلها، وعجز عن التجاوب مع وصايا القرآن التي تكررت في عشرات السور(...) وهذه الآيات[7] قليل من كثير مما نزل بمكة، وتأكد بالمدينة، لإيقاظ العقول النائمة، وتبصرها

(1) الواقعة/63-73.

(2) يس/40-43.

(3) الملك/30.

(4) آل عمران/7.

(5) سبأ/6.

(6) يونس/39.

(7) الجاثية/2-5

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بالدلائل المبثوثة في كل شيء تدل على الله، وتشرح أوصافه الجليلة، إن التفكير فريضة إسلامية كما قال العقاد، والمجال الأول للفكر مادة هذا الكون، كما أبان القرآن الكريم، و إن عجبنا لا ينقضي من تلكؤ الفكر في هذا السبيل»[1].

4- الدعوة إلى النظر في آيات الله المسطورة في القرآن :

دعوة الله سبحانه إلى النظر والتدبر في آياته المسطورة في القرآن لا تقل عن تلك التي دعا إليها في الأنفس والأكوان، لأن علاقتهما جد وثيقة، فكلتاهما صادرتان عن الله، وكلتاهما تدلان على الله وصفاته، ففي الكون ايات الله المشهودة، وفي القران اياته المكتوبة المقروءة، وكلتاهما تستدعيان النظر والتدبر للوصول إلى من صدرتا عنه، الذي أحاط بهما علما:﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾[2]. فقال سبحانه في ضرورة تدبر آيات القرآن:﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[3].وقال الإمام الحارث بن أسد المحاسبي (-243 هـ-857م) في تفسير هذه الآية:« إن الله أخبر عباده أنه أنزل كتابه ليدبروا آياته بعقولهم ويتذكروا ما قال بألبابهم (...) فأخبر أنه أنزله للتذكر والتفكر فيه، وخص بالتفكر والتذكر أهل العقول، أولي الألباب(...) لا يضل السالك باتباع دلالته لأنه النور الذي استضاء به الموقنون، و الغاية التي يتسابق إليها المتسابقون ، والمنهج الذي لا يصل السالك إلا باتباع دلائله، ولا يعلم لها طريق النجاة إلا مع الاستضاءة بنوره، ولا يصاب الحق إلا في محكم آياته(...) فوصف تعالى نفسه بأحسن الصفات ودل خلقه و نبههم فيه لمعرفته، بما وضع في سماواته وأرضه من آثار صنعته، ونفاذ قدرته، وذكرهم فيه أياديه عندهم، وكثرة نعمه، وتعهده إياهم،من ابتداء خلقهم، وحسن تقديرهم، وإجراء أرزاقهم»[4].

---

(1) محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم(الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر عين مليلة، 1990)، ص63-64.

(2) الحج/68.

(3) ص /28.

(4) الحارث بن أسد المحاسبي، العقل وفهم القرآن، تح حسين القوتلي، ط3، (بيروت : دار الكندي ودار الفكر،1982)، ص72-75.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ودعوة التدبر في القرآن كثيرا ما تفصح صراحة عن الغاية منها، وهي، أن ما تحمل هذه الآيات المقروءة من معجزات [*]، تحديات لا تدل إلا على حقيقة ساطعة هي أن منزل هذا الكتاب هو الله الخالق القادر العليم، وأن الرسول الذي جاء بهذا القرآن صادق فيما أخبر عن الله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾[1]. ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ(37)أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[2]. ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(13)فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[3].

ويلفت الله سبحانه انتباهنا ونحن ننظر في هذا القرآن ونتدبر آياته بحثا عن الحق فيه إلى ضرورة الاستئناس بأهل العلم، لأهم أقرب الناس إلى الإيمان بالله وآياته، وأهم أهل لقيادة من دوهم في العلم والإيمان: ﴿ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[4]، ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[5]، ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾[6]، ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ

(*) كالإعجاز البياني والعلمي والغيبي والتشريعي .

(1) النساء 81.

(2) يونس/37-38.

(3) هود/13- 14.

(4) النساء/161.

(5) الحج /52.

(6) العنكبوت/49.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾[1]، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2].

5-آية الدعاء و الإجابة:

هناك وجه آخر للدلالة على الله واليقين به، هو متيسر لكل إنسان يبحث عن ربه سبحانه، وهو آية من اياته المسطورة في القرآن، ولها ما يطابقها في حياة الإنسان، تلك الآية التي تستدعي النظر والتأمل أيضا، آية دعاء الإنسان ربه، واستجابة ربه سبحانه له، وهذه الآية العبادية العمليه، وإن لم يعز بتجربتها كل إنسان،فيكفيه أن يتأكد منها من خلال غيره من الذين نالتهم نعمة استجابة الله لدعواتهم، كدعوات المضطرين، والأنبياء والصالحين، وعباد الله المؤمنين، وهو ما تجسده الآيات الآتية: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾[3]،﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[4]و كان النبي ﷺ يدعو الله عند الكرب بقوله:«لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم»[5]. وعن الأنبياء الذين استجاب الله لدعواتهم قال تعالى:﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ(87)فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ(88)وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ(89)فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ

---

(1) سبأ/6.

(2) الأنبياء7.

(3) النمل/62.

(4) يونس/12.

(5) الإمام مسلم، الجامع الصحيح، باب دعاء الكرب، م4، ج8، (بيروت، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، دت)، ص 85. والبخاري، الصحيح، باب الدعاء عند الكرب، رقم:6346 (مصدر سابق)، ص 1161.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[1]. وفي غزوة بدر الكبرى ألح النبي ﷺ في الاستغاثة بالله تعالى لينصره و الفئة المؤمنة على المشركين فاستجاب الله تعالى له وللمؤمنين معه وأنزل الملائكة يقاتلون معهم حتى انتصروا[2]، فذلك قوله تعالى :﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (9) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[3].

وقد يظل الإنسان ردحا من الزمن يدعو ولكن لا يستجاب له، فذلك راجع إلى الإخلال بشروط الدعاء، وأخصها في هذا المقام بالذكر[4]، أن يكون الدعاء موجها لغير الله تعالى، أو مُشركا فيه مع الله تعالى، فأنى يستجاب لهذا الدعاء؟!

وهذا ما أكده القرآن في غير ما آية:﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾[5]. ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[6]، ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (13) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾[7]،﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو

(1) الأنبياء/86-89.

(2) ابن كثير، التفسير، ج3(مصدر سابق)، ص284- 286.

(3) الأنفال /9-10.

(4) هناك شروط أخرى لاستجابة الدعاء ذكرها السنة النبوية، كطيب المطعم، وعدم الاستعجال في الإجابة، وعدم الدعاء بالإثم:(الإمام مسلم، الجامع الصحيح، م4، ج8، باب بيان أنه يستجاب للداع ما لم يعجل،(مصدر سابق)، ص87والبخاري، الصحيح، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل رقم : 6340 (مصدر سابق)، ص.1160.

(5) الأعراف/ 197.

(6) يونس/106.

(7) فاطر/13-14.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (5)وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾[1].

إذن يبقى الدعاء الصحيح المستوفي للشروط العقدية والشرعية أحد الآيات التي تعرف الإنسان بربه، وتقربه إليه، خاصة وأن الله تعالى أمر به، ووعـــد من يدعوه بالاستجابة: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[2]، ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[3]، ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾[4].

وقال النبي ﷺ:« إن الله يقول أنا عند ظن عبدي بي و أنا معه إذا دعاني»[5].

وقد تحتجب فطرية دعاء الله عند الإنسان تبعا لاحتجاب شعوره بالله ومراقبته ومعيته لكن هذا الاحتجاب سرعان ما يزول وينكشف حين تحل بالإنسان الشدائد والأهوال، فلا يجد ملجأ إلا إلى الله، فيظل داعيا ربه أن يكشف ما به من بأس وضر، لذلك نجد القرآن يلفت انتباهنا إلى أن الإنسان الذي يعرض عن دعاء ربه والتضرع إليه يحتاج في أوقات ما إلى ابتلاء بالشدائد عساه أن يرجع إلى ربه متضرعا تائبا، لكن قد تصل فطرية الدعاء عند أصناف من الناس إلى درجة التحجر والقساوة فلا تتأثر ولا تعتبر حتى بأقسى أنواع الابتلاء الرباني، وهو ما تحكيه الآيات الآتية:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ(40)بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ(41)وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا

(1) الأحقاف/4-5.

(2) غافر/60.

(3) البقرة/185.

(4) الفرقان/77 .

(5) مسلم، الجامع الصحيح، باب فضل الذكر والدعاء و التقرب إلى الله،م4، ج8(مصدر سابق)، ص66.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ(42)فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1] .

إن تلك الآيات كلها التي ساقها الله تعالى في الآفاق والأنفس، وما أنعم الله به على الإنسان من نعم، وما ضمنه في القرآن من آيات، وما شرعه في علاقة الإنسان بربه، هي براهين كافية على وجوده سبحانه، وطرق واضحة لمعرفته، وحجج بالغة لله على الناس إذا هم أعرضوا عن تأملها وفهمها والاعتراف بها، وهذا ما توضحه الآيات الآتية:

﴿ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾[2]، أي تأمل كيف نبينها ونوضحها ونفسرها دالة على الله وحده، ثم أنهم مع هذا البيان الواضح يعرضون عن الحق،و ويصدون الناس عن اتباعه[3] .

﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾[4] أي نبينها ونوضحها من أجل أن يفهموا ويتدبروا آيات الله وحججه وبراهينه[5].

ولا شك أن الإنسان الذي يخرج من هذه الرحلة المعرفية الإيمانية، التي صال من خلالها في آيات الله المختلفة يكون قد عرف الله، وإذا عرفه، عرف ما يجب في حقه، ومما يجب في حقه طاعته بما أوحى وشرع، أي الالتزام بوحيه الذي أنزله على أنبيائه ورسله مبشرين ومنذرين، ومبلغين التكليف الإلهي للناس. ويعد التزام الإنسان بوحي الله إحدى مظاهر علاقة الإنسان بالله تعالى وهي التي ستكون موضوع استقصاء فيما يأتي:

(1) الأنعام /41-44.

(2) الأنعام47.

(3) ابن كثير، التفسير، ج3 (مصدر سابق)، ص24.

(4) الأنعام /66.

(5) المصدر نفسه، ص42.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث

علاقة الإنسان بالله علاقة التزام بوحيه:

من معاني الوحي: الكتاب والرسالة[1] ، أما الكتاب فهو القرآن الكريم، وأما الرسالة، فهي رسالة النبي محمد ﷺ ، وأن الإنسان المعني بالالتزام بهذا الكتاب وهذه الرسالة هم جميع الناس من بداية بعثة النبي محمد عليه الصلاة والسلام إلى يوم القيامة، على أساس كونه رسولا إلى الناس كافة، وليس رسولا إلى قوم معينين كرسالة من سبقه من المرسلين:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2].

وهذا الوحي الخاتم لجميع ما أوحى به الله إلى أنبيائه ورسله المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين لا يختلف في كثير من أهدافه ومضامينه عن وحي الله الذي أنزله على موسى وعيسى في التوراة والإنجيل على أساس كونه جميعا من عند الله، مبلغا عنه إلى عباده، يهدي إلى طريق الحق والهداية والرشاد، ويحذر من طريق الباطل والغي والضلال، فيه وعد الله لعباده الطائعين الملتزمين بوحيه، وفيه وعيده لعباده العاصين المستكبرين عن الالتزام بوحيه، أما التوراة والإنجيل الحاليين فلا يلتقي معهما القرآن إلا فيما ندر من التشريعات وأخلاق السلوك بعد أن مسهما التحريف والتبديل، بل أن القرآن لا يلتقي مطلقا مع تصور المسيحية للوحي، لأن القرآن يفرق بين الله الواحد المتكلم بوحيه وبين عبد مصطفى من عباده ليبلغ عنه إلى سائر عباده من أراده منهم، بينما المسيحيون يجعلون الوحي هو الله نفسه الممثل والمجسد في شخص المسيح الإبن الإله، وأن جوهر الالتزام بالإنجيل هو الإيمان بالمسيح نفسه بالصيغة المذكورة آنفا.

وعلى غرار ما جاء في التوراة من الأمر بالتمسك بوحي الله وشريعته المنزلة على موسى عليه السلام فإن القرآن أيضا كثير التأكيد على وجوب الإيمان والعمل بوحي الله الخاتم المنزل على محمد عليه الصلاة والسلام، حيث يتضمن الالتزام بهذا الوحي كل أنواع علاقة الإنسان بخالقه،

(1) أبو بكر الرازي، مختار الصحاح (مصدر سابق)، ص297.

(2) سبأ/28.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كالإيمان به سبحانه، ومعرفته والعبودية له، وطاعته وعبادته وتقواه ورجاؤه والطمع في رضوانه وجنته، ومن الآيات التي تأمر الإنسان بالالتزام بهذا الوحي والشرع على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى:

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(1).

[أي قد جاءكم محمد ﷺ بالهدى ودين الحق والبيان الشافي من الله تعالى فآمنوا بما جاءكم به واتبعوه يكن خيرا لكـــم، وإن أعرضتم عن الالتزام بهذا الهدى فإن الله غني عنكم](2) وقوله أيضا ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾(3)أي استجيبوا للقرآن لأن فيه النجاة والبقاء والحياة، أو استجيبوا للإسلام(4). وقال أيضا﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(5)أي التزموا بالإسلام طريقا أوحدا دون غيره من الطرق المنحرفة عن الحق كاليهودية والمسيحية والمجوسية وسائر البدع والضلالات(6).

و الالتزام بوحي الله في الأمر القرآني لا يخص فقط القرآن الكريم بل يشمل أيضا وحي سنة النبي ﷺ فكلامه وحي من الله وليس كلاما من هواه مثلما قال عنه سبحانه:﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى(1)مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى(2)وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى(3)إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى(4)عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾(7). أي إنما يقول ما أمر به يبلغه إلى الناس كاملا من غير زيادة ولا

---

(1) النساء/169.

(2) ابن كثير، التفسير/ج2 (مصدر سابق)، ص 458.

(3) الأنفال/24.

(4) المصدر السابق، ج3، ص299.

(5) الأنعام /154.

(6) الزمخشري، الكشاف، ج2 (مصادر سابق)، ص 62.

(7) النجم/1-5.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

نقصان[1]. إذ ما يسند إلى النبي محمد ﷺ من قول وفعل أو تقرير كله وحي لا هوى[2].
ولذلك جاء في القرآن الأمر باتباع النبي وطاعته، و أن طاعته هي من طاعة الله: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[3]، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[4] ، ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾[5] .

وقال ﷺ :« من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني»[6].

و قال أيضا مؤكدا على ضرورة إتباع سننه، وأنها جزء لا يتجزأ من الوحي الإلهي الذي يورث الإنسان الجنة ويبعده عن النار:«كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»[7] .

والإنسان تجاه وحي الله بالمفهوم السابق نوعان:

1-نوع مؤمن معترف بقيمة هذا الوحي وعظمته، ونوره وهديه، شاكر لله على نعمة هذا الوحي، متبع وملتزم به، محققا بذلك علاقة وثيقة بربه كما أمر، فاستحق بالتالي رضاه في الدنيا وجزاءه الحسن في الآخرة، وهو ما تعبر عنه الآيات الآتية على سبيل المثال لا الحصر:

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [8] . ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

---

(1) ابن كثير، (مصدر السابق)، ج6، ص442.

(2) الزمخشري، (مصدر سابق)، ج4، ص28.

(3) الحشر /7.

(4) الفتح/10.

(5) النساء 80.

(6) البخاري، صحيح البخاري، باب قوله تعالى:﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ رقم 7137 (مصدر سابق)، ص 1293.

(7) البخاري ، (مصدر سابق)، باب الاقتداء بسنن الرسول، رقم الحديث: 7280، ص1318.

(8) البقرة/ 285.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الذي أُنزِلَ إليكَ من ربِّكَ هو الحقَّ ويهدي إلى صراطِ العزيزِ الحميدِ ﴾ [1] ، ﴿ ... ربِّ أوزعني أنْ أشكرَ نعمتكَ التي أنعمتَ عليَّ وعلى والديَّ وأنْ أعملَ صالحًا ترضاهُ وأصلحْ لي في ذريتي إني تبتُ إليكَ وإني من المسلمين(15)أولئكَ الذين نتقبلُ عنهم أحسنَ ما عملوا ونتجاوزُ عن سيئاتهم في أصحابِ الجنةِ وعدَ الصدقِ الذي كانوا يوعدون ﴾ [2] ، ﴿لتجدنَّ أشدَّ الناسِ عداوةً للذين آمنوا اليهودَ والذين أشركوا ولتجدنَّ أقربَهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأنَّ منهم قسيسين ورهبانًا وأنهم لا يستكبرون(82)وإذا سمعوا ما أُنزلَ إلى الرسولِ ترى أعينَهم تفيضُ من الدمعِ مما عرفوا من الحقِّ يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين(83)وما لنا لا نؤمنُ بالله وما جاءنا من الحقِّ ونطمعُ أنْ يدخلنا ربُّنا مع القومِ الصالحين(84) فأثابهم اللهُ بما قالوا جناتٍ تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها وذلك جزاءُ المحسنين﴾ [3] ، ﴿ ورحمتي وسعتْ كلَّ شيءٍ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاةَ والذين هم بآياتنا يؤمنون(156)الذين يتبعون الرسولَ النبيَّ الأميَّ الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراةِ والإنجيلِ يأمرهم بالمعروفِ وينهاهم عن المنكرِ ويحلُّ لهم الطيباتِ ويحرمُ عليهم الخبائثَ ويضعُ عنهم إصرَهم والأغلالَ التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النورَ الذي أُنزلَ معه أولئك هم المفلحون ﴾ [4]

ويقول هذا النوع من الناس الذين وثقوا علاقتهم بربهم في الدنيا حين التزموا بوحيه، وبعد أن نالوا رضا الله وجزاءه في الجنة يوم القيامة: ﴿ الحمدُ للهِ الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أنْ هدانا اللهُ لقد جاءتْ رسلُ ربنا بالحقِّ ونودوا أنْ تلكمُ الجنةُ أورثتموها بما كنتم

(1) سبأ/ 6.

(2) الأحقاف/ 15- 16.

(3) المائدة/ 82-85.

(4) الأعراف/ 156- 157.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تَعْمَلُونَ(43)وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ(44)الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ (1)، يقولون هذا فرحا، واعترافا وشكرا لله بما نالهم من نعمة الهداية في الدنيا والنجاة يوم القيامة من غضب الله وعقابه، وما آلوا إليه من مصير سعيد أبدي، وكل ذلك كان بسبب إيمانهم بالله وبوحيه وبالتزام طريقه وشرعه.

2-أما النوع الثاني من الناس تجاه الوحي الإلهي، فهو الذي لا يعترف بقيمة هذا الوحي وعظمته، ونوره وهديه، كفرا واستكبارا وعنادا، تراه معرضا عنه متبعا غيره من سبل الهوى والشيطان مثلما قال عنه سبحانه وتعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾(2) وهذا الإعراض عن الله وعن منهجه يُبعد الإنسان عن الله ويُضعف صلته به، ويجلب لنفسه بسبب ذلك غضب ربه في الدنيا وعقابه الأليم يوم الآخرة، وهو ما تعبر عنه الآيات الآتية على سبيل المثال لا الحصر:

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى(123)وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى(124)قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا)125(قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى(126)وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ (3)، ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ(103)إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(104)إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ

---

(1) الأعراف /42-44.

(2) الأعراف/ 146.

(3) طه/ 120- 125.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الْكَاذِبُونَ ﴾ [1]وهذا إخبار من الله تعالى لما كان يقوله المشركون وغيرهم من أهل الكتاب في القرآن وفي الرسول عليه الصلاة والسلام، حيث ينسبون ما ينزل عليه من الوحي إلى رجل أعجمي لا يعرف العربية، وإنما قالوا ذلك افتراء وكذبا، وجحودا ونكرانا لما أنزل الله من الحق، إذ أن هذا القرآن في إعجازه الفائق في كل شيء، وبلاغته وفصاحته وتحديه لأهل اللسان العربي، أبعد من أن ينسب إلى رجل ذي لسان أعجمي[2]. وقال الله سبحانه أيضا مخبرا عن الذين رفضوا إتباع وحيه مبررين ذلك بعدم اقتران الوحي الذي جاء به النبي محمد ﷺ بمعجزات باهرات على غرار تلك التي جاء بها موسى عليه السلام،[3] وانما قالوا ذلك لا من جهة إرادتهم الحقيقية في الهداية وإنما من جهة تبرير جحودهم واتباعهم هواهم، وإلا فالقرآن من أعظم المعجزات التي يطالبون بها، ولو نفعت المعجزات الباهرات لنفعت من قبلهم، ومنهم من أرسل إليهم موسى، حيث كذبوه رغم ما أيد به من معجزات باهرات، واتهموه بالسحر كما اتهموا النبي ﷺ: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ(48) قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(49) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [4].

فهذا النوع من البشر الذين قطعوا صلتهم بالله حين كفروا بوحيه وبرسله الذين جاءوا بهذا الوحي، سيتحسرون ويندمون أشد الحسرة والندم حين يرون ما اعد الله لهم من مصير مهين وعذاب أليم يوم الآخرة جزاء إعراضهم عن الله وعن الالتزام بوحيه وشرعه، ولكن لا ينفعهم ندمهم حينئذ ولا حسرتهم لأن الله قضى بعدله قضاء نهائيا لا رجعة فيه: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(27) بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا

(1) النحل/ 103- 105.

(2) ابن كثير، التفسير، ج4(مصدر سابق)، ص 226.

(3) المصادر السابق، ج5، ص 286.

(4) القصص/ 48-50.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [1]، ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ(30)قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [2]، ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ(66)وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ(67)رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [3]، ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ(47)قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ(48)وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ(49)قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ(51)يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [4].

وهذا المصير النهائي للنوعين من البشر، من أهل السعادة والنجاة الذين التزموا بنهج الله وشرعه، ومن أهل الشقاوة والخسران الذين قطعوا صلتهم بالله في الدنيا حين كفروا وعصوا وأعرضوا عن منهجه وشرعه قائم على علاقة أخرى تربط الإنسان بربه سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة وهي العدالة أو العدل الإلهي، إذ العدالة صفة فعلية إلهية جارية في الدنيا والآخرة، تسري على الإنسان في الدنيا والآخرة كما تسري على غيره، لذلك فإن أمل الإنسان في كل شؤونه الدنيوية والأخروية معلق على ربه العادل الذي ينصف ولا يظلم أحد. وهذه العدالة

---

(1) الأنعام/ 27- 28.

(2) الأنعام/ 30-31.

(3) الأحزاب/ 66-68.

(4) غافر/ 47-52.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإلهة التي تعد احدى مظاهر علاقة الإنسان بخالقه هي التي ستكون موضوع استقصاء في القرآن الكريم فيما يأتي:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الرابع
علاقة الإنسان بالله علاقة إيمان بعدله

العدل في اللغة: [ضد الجور] [1]. والجور [الميل عن القصد أو عن الحق] [2].

فيكون العدل إذن: هو التزام الحق والصواب، والإنصاف، والقسط ومجانبة أضداد هذه المعاني.

وبهذا المعنى كانت صفة العدل الإلهي في القرآن، فهي واضحة المعنى، بسيطة الفهم، غير متشعبة ولا معقدة.

فالله سبحانه عدل مقسط في أمره ونهيه، وإخباره، وفي كل كلامه المضمن كتبه المنزلة على رسله، وعدل مقسط في أفعاله وتصرفاته التي تتضمنها صفاته العليا وأسماؤه الحسنى. يتنزه عن الظلم، وعن مجانبة الصواب والحق في كل شيء كما قال عن نفسه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[3]، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[4] .

وقال أيضا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[5] .

والعدل في اصطلاح المتكلمين هو : [صفة فعل تستوجب إثبات ما يجوز على الله تعالى ونفي مالا يجوز عنه.

ولما كان العدل مصدر: عدل، يعدل، عدلا، فقد يراد به الفعل الصادر عن الله: وهو كل فعل حسن يفعله الله.وقد يراد به الفاعل العدل وهو اسم من أسماء الله والمراد به:

(1) أبو بكر الرازي، الصحاح (مصدر سابق)، ص 176.
(2) نفس المصدر، ص49.
(3) النساء/ 40.
(4) الأنعام/ 115.
(5) يونس/ 44.

أن الله لا يفعل القبح أو لا يختاره (كأن يظلم مثلا) وأن أفعاله كلها حسنة][1].

ونستشف من التعريف الكلامي الاصطلاحي السابق أن مفهوم العدل الإلهي تجاوز مفهومه القرآني البسيط، وطور إلى إشكال فلسفي كبير تتطلب الإجابة عنه، والإحاطة به بحثا موسعا، نظرا لما يدخل تحت العدل الإلهي من مفاهيم أخرى بحثها علماء الكلام المسلمون تحت عنوان: نظرية العدل الإلهي (*)، كمسألة: الفعل الإنساني وعلاقته بالفعل الإلهي، وعلاقة ذلك بوجود الخير والشر، وحرية الإنسان أو جبريته في إتيان أفعاله.

وسنبحث العدل الإلهي بهذا المفهوم الاصطلاحي في إطاره القرآني بعيدا عن الجدال الكلامي المتشعب .

والقرآن الكريم يلتقي مع التوراة في إثبات العدل الإلهي في إطار علاقة الإنسان بربه في الدنيا والآخرة، كما أن تطور مفهوم العدل الإلهي عند المسلمين من تصور عقدي بسيط واضح إلى إشكالية فكرية كلامية تتطلب معالجتها نقاشا كبيرا وتأصيلا واسعا يشبه ما أثير في الأوساط الدينية اليهودية الأولى من مسائل القدر المتعلقة بفعل الإنسان وعلاقته بفعل الله. لكن القرآن يختلف عن التوراة في كثرة اهتمامه بمسألة العدل الإلهي من جوانبها المتعددة، حيث أصلها بطرق الإثبات وبطريق السلب حين نفى الظلم عن الله تعالى، ونفى تحمل الإنسان وزر إنسان آخر، وفي عدم احتوائه لنواقض العدل الإلهي التي تعج بها التوراة. كما أن تطور مفهوم العدل الإلهي في الفكر الإسلامي إلى موضوع كلامي كان أكثر منه في الفكر اليهودي، حتى أن موسى بن ميمون أكثر المتكلمين اليهود أخذ عن المتكلمين المسلمين منهجهم في تأصيل العدل الإلهي من منظور توراتي. أما في الإنجيل، فإن النصوص التي تشير إلى العدل الإلهي تكاد تكون منعدمة الأمر الذي تعذر دونه موازنته بغيره في التوراة أو في القرآن.

وصفة العدل على غرار صفة الكلام لم تكن كما لم يكن أسلافنا في حاجة إلى بحثها بحثا معمقا لو لا التحديات العقدية التي حمل لواءها أصحاب الملل والنحل الأخرى بهدف التشكيك في العقيدة الإسلامية من خلال إثارة شبه عقدية في صفات الله تعالى.

[1] عبد الجبار المعتزلي، شرح الأصول الخمسة، ج 2(مصدر سابق)، ص3 .

(*) سماها القاضي عبد الجبار المعتزلي: (علوم العدل)، على الشابي، أبو لبابة حسن وعبد المجيد النجار، المعتزلة بين الفكر والعمل، ط2، (تونس : الشركة التونسية للتوزيع، 1989)، ص43.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فكان على علماء العقيدة الإسلامية كعادتهم سلفا وخلفا أن يذودوا عن عقيدتهم ضد مطاعن المشككين والفاتنين الذين يريدون أن يفتنوا المسلمين في عقيدتهم بإثارة شبه حول عدل الله تعالى من خلال طرح مسائل قدرية[1] لم تكن موضع اهتمام ولا حاجة من المسلمين كمسألة الجبر[2]، والاختيار، ووجود الشر في الكون المرتبطة بأفعال الإنسان، وعلاقة كل ذلك بالفعل الإلهي، ووجه الارتباط بين هذه المسائل المثارة والعدل الإلهي أن الله سبحانه كلف عباده بتكاليف خلال وجودهم في الحياة الدنيا فوعد القائمين بالتكاليف بالثواب والجزاء الحسن وتوعد المنكرين والمتقاعسين بالعذاب الأليم. فإذا كان المكلف حرا في اختياره للأفعال سواء كانت خيرا أو شرا كان الجزاء الإلهي يوم القيامة عدلا، وإذا كانت أفعال المكلف تلك، يفعلها قسرا عنه والكتاب سابق له ثم يحاسب ويجازى يوم القيامة إما بالثواب أو العقاب فهل ذلك عدل أم لا؟!

قبل الإجابة عن هذا الإشكال المطروح يجدر بنا أن نشير إلى أن المسلم الصحيح الإسلام يسلم بالعدل الإلهي دون حاجة إلى طرح مثل هذه الأسئلة الجريئة وغير المؤدبة مع الله تعالى ومع دينه، لأن الله عز وجل أعز وأجل، وأعظم من أن يظلم عبده، وهو خالقه، وهاديه، ومغدق ما لا يحصى من النعم عليه.

---

(1) قيل أن أول من أثار القول بالقدر في الملة المحمدية وأفسد ناسا بها هو معبد الجهني، وكانت عاقبته أن قتله عبد الملك بن مروان سنة 80هـ، (محمد محيي الدين عبد الحميد، مقدمة مقالات الإسلاميين للأشعري، ط2،ج2(مصر: دار الحداثة، 1985)، ص 10).

(2) وقيل أن أول من أظهر شبهة الجبر هو الجعد بن درهم (-118هـ) ثم أصلها الجهم بن صفوان (-128هـ) (الشهرستاني، الملل والنحل، ج1(مصدر سابق)، ص87).

(كما أن الاثنين أخذاها عن الصابئة والبودية والسمنية والفلاسفة) .

على سامي النشار، وعمار الطالبي، عقائد السلف(مصر: منشأة المعارف بالأسكندرية، 1971)، ص 7و 18.

لكن لا مفر من الإجابة عن مثل تلك الأسئلة ما دامت قد تثير شبها حول العدل الإلهي.

إن الحديث عن العدل الإلهي مرتبط بما يثيره القدريون[1]. الأوائل في الملة الإسلامية من شبه حول العدل الإلهي من خلال تتبعهم لبعض النصوص في القرآن التي يرونها في إطار تأويلهم وفهمهم الجبري أنها دليل على كون (الإنسان مسيرا في أفعاله لا مخيرا وإنما تنسب إليه أفعاله مجازا، وأفعاله في الأصل ترجع إلى الله خالقها فيه، فلا قدرة للعبد ولا إرادة في ذلك....)[2].

مثل هذه الآيات قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾[3].

وقوله أيضا: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى ﴾[4] .

مكتبة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) (القدرية التي قال فيها النبي ﷺ : « القدرية مجوس هذه الأمة».

هم الذين يزعمون أن الله هو قدر المعاصي، وجعلوا ذلك كالعذر للعاصي، فقالوا: لا مقدر للمعاصي إلا الله فسموا قدرية، فقولهم السابق يبرئ الإنسان من المعصية، وينسب سببها إلى الله تعالى)، القاضي عبد الجبار، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، تح فؤاد السيد، ط2(تونس/الجزائر: الدار التونسية والمؤسسة الوطنية للكتاب، 1986)، ص167.

والحديث أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في القدر رقم 4691، ج4، تح محمد محي الدين عبد الحميد (بيروت: دار الفكر، دت)، ص222.وابن ماجة في مقدمة سننه رقم 92، ج1 تح محمد فؤاد عبد الباقي(بيروت: دار الفكر، دت)، ص35. والحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان، رقم 286، ج1 تح مصطفى عبد القادر عطاء، ط1(بيروت: دار الكتب العلمية، 1990)، ص 109، واختلف علماء الحديث في الحكم عليه، فمنهم من حسنه كالحافظ بن حجر، والشيخ الألباني ومنهم من وضعه كالشوكاني، وعلى القاري، وسراج الدين القزويني، و المعلمي، ومن قبل الحافظ بن الجوزي وغيرهم، ومنهم من ضعفه كالحافظ العلائي، أنظر: الموضوع في معرفة الحديث الموضوع بتعليق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة /107-110، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للعلامة الشوكاني بتعليق العلامة المعلمي، ط2(اليمن: المكتب الإسلامي، 1971)، ص502-504، وسنن أبي داود بتعليقات الشيخ الألباني، ط1(الرياض: مكتبة المعراف للنشر والتوزيع، دت)، ص 703، والسلسلة الصحيحة أيضا رقم 2741.

(2) الشهر المستاني، الملل والنحل، ج1(مصدر سابق)، ص 87.

(3) يونس/ 99.

(4) الأنعام/35.

فكل فعل إنساني مقضي ومقدر سابقا ولا يملك الإنسان إلا الانسياق لما قضي وقدر.

فما مدى صحة هذا الإدعاء في إطار علاقة الفعل الإنساني بالفعل الإلهي، أو علاقة الفعل الإنساني بما قضاه الله وقدره؟

إن من يلقى المسؤولية في أفعاله على القضاء والقدر ويتبرأ من تبعة أفعاله جاهل لمعنى القضاء والقدر.

فما معنى القضاء والقدر؟

(فالقضاء هو علم الله الأزلي بما سيصدر عن الإنسان من أفعال وأحوال. والقدر: هو صدور ووقوع الأفعال والأحوال على الصورة التي علم الله بها أزلا، في حياة الإنسان، أو غيره من الكائنات)[1].

وقال الإمام محمد عبده: «... ثم علم الواجب محيط بما يقع من الإنسان بإرادته، وبأن عمل كذا يصدر في وقت كذا وهو خير يثاب عليه، وأن عملا آخر شرا يعاقب عليه عقاب الشر..»[2]

ولا يستطيع أحد أن ينفي تعلق علم الله الأزلي بما سيصدر عن العباد من خير أو شر، لأنه لو لم يتعلق علم الله بأفعال العباد قبل وقوعها وأثناء وقوعها، لا نقلب علمه جهلا، والجهل على الله محال، ومما يؤيد ذلك اتصافه سبحانه بصفة العلم.[3]

ويؤيده أيضا قول الرسول ﷺ حين (سئل عن أبناء المشركين وعمن يموت وهو صغير ما يكون مصيره؟ فقال: « الله أعلم بما كانوا عاملين »).[4]

لكن ما علاقة هذا العلم الإلهي المسبق بأفعال العباد وأحوالهم ومصائرهم وبما يصدر عنهم من أفعال خيرة يستحقون عليها الثواب والجزاء الحسن، ومن أفعال شريرة يستحقون عليها الإثم والعقاب؟

---

(1) محمد سعيد رمضان البوطي: من الفكر والقلب(الجزائر: دار الهدى، 1986)، ص41، وعبد الرحمان بن صالح المحمود، القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، ط2 (الرياض: دار الوطن، 1997)، ص 39.

(2) محمد عبده، رسالة التوحيد (مرجع سابق)، ص77.

(3) تفصيل ذلك في صفة العلم في القرآن في فصل الله في القرآن .

(4) البخاري، صحيح البخاري، باب الله أعلم بما كانوا عاملين، رقم الحديث: 6597 (مصدر سابق)، ص1199.

إن مجرد العلم الإلهي المسبق بما سيصدر عن الإنسان من أفعال خيرة أو شريرة لا يدعو بحال من الأحوال إلى كون الله سبحانه أجبر أحدا على فعلها، وسلب منه قدرة إرادتها واختيارها، وإلا لو سلمنا بذلك فرضا، واعتقدنا أن الله سبحانه فرض على الآثم الإثم ثم يحاسبه ويعاقبه يوم القيامة ألا يكون هذا تناقضا مع التكاليف الشرعية وهي جملة الأوامر والنواهي مثل قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

وتناقضا مع وعد الله ووعيده مثل قوله تعالى ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ(7)وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[2] .

وتناقضا مع ما سلب الله عن نفسه من صفات لا تليق به كالظلم مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[3].

فمجرد العلم بوقوع الفعل ليس مؤثرا في وجوده، وإنما يوجد الشيء بسلسلة علله، وظروفه، وملابساته لا بعلم العالم أو جهل الجاهل. قال الحسن البصري (-110هـ-622م): «والعلم ليس بدافع إلى معاصيه لأن العلم غير العمل»[4].

وقال الإمام محمد عبده: «والأعمال في جميع الأحوال حاصلة عن الكسب والاختيار فلا شيء في العلم بسالب للتخيير في الكسب، وكون ما في العلم يقع لا محالة، إنما جاء من حيث هو واقع و الواقع لا يتبدل»[5].

ولذلك فإن الاعتذار بالقضاء والقدر، وسبق الكتاب، أو القلم وما شابه هذه المعاني لا يعني أبدا عدم تحمل الإنسان تبعة ومسؤولية ما يصدر عنه من أفعال وأنه لا يد له فيها ولا إرادة

---

[1] الحج/ 77.

[2] الزلزلة/ 7-8.

[3] يونس/ 44.

[4] عبد الجبار ، فضل الإعتزال وطبقات المعتزلة (مصدر سابق)، ص221.

[5] محمد عبده، رسالة التوحيد(مرجع سابق)،77.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ولا اختيار، وإلقاء التبعة على الله سبحانه وتعالى جهلا أو ظلما وهو يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [1]، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[2] ،﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا(9)وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[3]، مخالف لصريح هذه النصوص وأمثالها.

وتبقى بعض الآثار التي يحتج بها أهل القدر أو الجبر أمام هذه النصوص الناطقة بالحق والعدل [آثار مؤولة تأويلا باطلا كما قال الحسن البصري مثل: « أن الله تعالى قبض قبضة فقال: هذه في الجنة ولا أبالي، وقبض أخرى وقال: هذه في النار ولا أبالي» [*].

قال الحسن البصري معلقا : « فإن كان الحديث حقا، فقد علم الله تعالى أهل الجنة وأهل النار قبل القبضتين، وقبل أن خلقهم، فإنما قبض الله أهل الجنة الذين في علمه أنهم يصيرون إليها»][4].

وتعليق الحسن البصري صحيح لا شك فيه ما دام علم الله تعالى محيط بما مضى وما حضر وبما سيأتي.

ولكن هل كون الإنسان كاسبا لأفعاله الخيرة ومكتسبا لأفعاله الشريرة ينفي تجرد أفعاله عن إرادة الله وقدرته؟

1--إن كسب الإنسان واكتسابه لا ينفي ولا يبعد أبدا إحاطة الله بأفعاله، وهو مضمون الآيات التي يستشهد بها أهل الجبر استنادا إلى تأويلهم الباطل لها.

فالآيات مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾[5] وغيرها هي التي تعبر في الحقيقة عن طبيعة العلاقة بين إحاطة الله وعنايته وإرادته وقدرته بأفعال عباده، فالمراد منها كما قال الحسن البصري [هو تبيان قدرته على كل شيء كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ

---

(1) المدثر/ 38.

(2) البقرة / 286.

(3) الشمس/ 9-10.

(*) رواه الإمام أحمد في مسنده، رقم: 21572، ج6 (مصر: مؤسسة قرطبة، دت)، ص316.

(4) القاضي عبد الجبار، (مصدر سابق)، ص 220.

(5) الأنعام/35.

يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[1]. وقوله: ﴿إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾[2] | [3].

ومما يدل على أن مثل تلك الآيات لا تدل على الجبر في شيء قوله تعالى ردا على الذين لم يتبعوا سبيله و لم يستجيبوا لرسوله حين سيقولون يوم القيامة اعتذار بالقدر:

﴿ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾[4] : ﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ ﴾[5].

وقال أيضا على الذين اعتذروا عن كفرهم: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ ﴾[6]: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾[7].

قال هذا مكذبا لهم، وقال تعالى أيضا: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾[8].

فهذه صورة من صور علاقة الفعل الإنساني بالفعل الإلهي.

2-والصورة الثانية التي تتجلى فيها العلاقة بين الفعل الإنساني والفعل الإلهي: توفيق الله تعالى للمطيع في فعل الخير وتجنيبه فعل الشر، فالخير لا يتحقق إلا بمعونة الله تعالى خاصة إذا كان المطيع صادقا في إيمانه بالله ومتوكلا عليه وطالبا منه ذلك كما قال تعالى لرسوله ﷺ :

﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾[9].

---

(1) يس/ 82.

(2) سبأ/ 9.

(3) المصدر نفسه/ 221.

(4) الزمر/57.

(5) الزمر/ 59.

(6) الأنعام/148.

(7) الأنعام/148.

(8) الزخرف/ 76.

(9) الإسراء/ 74.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقول يوسف عليه السلام كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾[1]،

وقول هود عليه السلام:

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[2]، وحياة المؤمنين تعج بمثل هذا التوفيق الذي يكون دائما ماثلا للعيان كلما سألوا الله وتضرعوا إليه وتوكلوا عليه ولا ينكر ذلك إلا جاحد لأنعم الله تعالى.

3- والصورة الثالثة لعلاقة الفعل الإنساني بالله هي هيمنة إرادته وقدرته سبحانه على الكون كله بما فيه الإنسان وشؤونه فما أراد الله أن يقع، يقع لا محالة، وما لم يرد أن يقع فلا يقع أبدا، فله سبحانه المشيئة المطلقة، لا يسأل عما يفعل وغيره يسأل.

قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾[3] فقدرته وإرادته سبحانه مرجع جميع الإرادات والقدرات.

وهذه الآية وأمثالها لا تعني أبدا سلب الإرادة الإنسانية.

لأن الفعل: تشاءون في الآية يمنع ذلك، إذ لو لم تكن للإنسان مشيئة وإرادة يقرر بها ما يرغب فعله لما نسب إليه تعالى المشيئة، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ﴾[4]

4-والصورة الرابعة لعلاقة الفعل الإنساني بالفعل الإلهي هي أن الإنسان لا يخلق أفعاله بل يختارها بإرادته وقدرته الحرتين وإنما الخلق لله تعالى، لأن الإنسان لا يملك عناصر الفعل أي لا يملك مصادر إيجادها. فالله سبحانه هو خالقها والإنسان يختار عناصر الأشياء الممكنة التركيب فيركبها فينشأ منها الفعل.

فقتل النفس بغير حق مثلا هو من أكبر أفعال الشر، فالعناصر المخلوقة لله في هذا الفعل هي: الإنسان القاتل صاحب العقل والإرادة الحرتين في إحداث القتل المحرم، والإنسان المقتول،

---

(1) يوسف/33.

(2) هود / 88.

(3) الإنسان/30.

(4) هود/123.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وأداة القتل المصنوعة من كون الله، وملك الموت الذي يخرج الروح وقت قتلها..... فالإنسان القاتل هنا هو فاعل للقتل لا من عدم بل من عناصر جاهزة قابلة للتركيب حسب إرادة الإنسان المكلف بعدم قتل النفس التي حرم الله.

وكذلك الأمر بالنسبة لقتل النفس إن كانت بحق كفعل خيّر، مثل قتل الكافر الظالم الذي أمر الإنسان بقتله، وعلى هذا الأساس يفهم قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [1].

وهذه الصور الأربع لعلاقة أفعال الإنسان بأفعال الله تعالى لا تخرج عن قضاء الله وقدره بالمفهوم الذي بيناه سابقا.

وبناء على ما سبق توضيحه فإن الجزاء الإلهي العاجل في الدنيا والآجل يوم القيامة بناء على وعده ووعيده،وبناء على ما سبق من قضائه وتحقق قدرة هو عدل، وفعله سبحانه حسن كله وخير كله.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1] الصافات/96.

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخـــــــاتمة

الاستقصاء التمحيصي الموازن السابق لمحاور البحث قادني إلى جملة من النتائج العقدية والفكرية يمكن إيجازها مرتبة حسب المحاور الرئيسة المبحوثة في الفصول السابقة فيما يأتي:

أولا- الله تبارك وتعالى:

1-وجوده:

تلتقي مصادر البحث الثلاثة التوراة والإنجيل والقرآن في إثبات وجود الله تبارك وتعالى والحظ على الإيمان به، وإن اختلفت طريقة وأسلوب عرض هذه العقيدة ، فهي في التوراة والقرآن تتركز أساسا في الاستدلال بالشاهد من المخلوقات الكثيرة والبديعة على خالق، هو في التوراة مشهود منظور، وفي القرآن مدرك معروف رغم غيابه عن الأبصار. فوجوده وصفات وجوده مقروءة في الكون بأسره، حتى أن فطرة الإنسان تؤسر بالإيمان بالله بمجرد النظر في عظائم خلقه وبديع صنعه كما قال النبي داود (عليه السلام) مترنما:« أنا عرفت أن الرب عظيم (...) كل ما شاء الرب صنع في السماوات وفي الأرض في البحار وفي كل اللجج، المصعد السحاب من أقاصي الأرض. الصانع بروقا للمطر المخرج الريح من خزائنه .....»[1]. وفي القرآن الكريم نقرأ مثلا:﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2].

أما وجوده الله تعالى والإيمان به في الإنجيل من خلال القراءات المسيحية، فهو وجود وإيمان بثلاثة آلهة تتحد و تتجسد في شخص إنساني هو يسوع المسيح، والمعجزات التي كان يأتي بها هي دلائل على وجود هذا الإله الثالوثي:«أنا والآب واحد»[3]. لكن التعمق التمحيصي قادني إلى أن الإنجيل الحالي يبرئ المسيح من الألوهية ويثبت وحدانية الله، وأن التعدد والشرك الموجود في النصوص الإنجيلية دخيل وموضوع. وما الإنجيل الذي جاء به عيسى (عليه السلام) إلا امتداد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) مز 135/5-7.

(2) العنكبوت /19.

(3) يو 30/10.

لرسائل الرسل من قبله باعتراف عيسى نفسه حين قال:« ما جئت لأنقض بل لأكمل»[1]، ومما لم ينقضه عيسى توحيد الله تعالى.« للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد»[2].

2-صفاته وأسماؤه:

رغم ثبوت أسماء الله تعالى وصفاته بكثرة في التوراة سواء أكانت تسمي وتصف الذات الإلهية العلية أو تسمي وتصف أفعاله العظيمة إلا أن معظمها تلحد فيه سبحانه، أي تحيد عن تسميته ووصفه بأسماء وأوصاف لائقة به كرب العالمين، وتلحق به أسماء وصفاة شبيهة لأسماء وصفات مخلوقاته ، فأنزلت التوراة بذلك مقام الألوهية العظيم الجليل إلى مقام المخلوقات الضعيفة الناقصة، إذ أن قراءة التوراة لا تشعر قارئها بعظمة الله الذي تتحدث عنه، حتى لا يعدو أن يكون هذا الإله واحدا من وسط الآلهة الكثيرة التي تتآمر شعوبها على إله إسرائيل.

وأعظم الصفات الإلهية قدرا التي طعنت فيها التوراة، وحدانية الله تعالى، فعلى الرغم من تأكيد التوراة على وحدانية الله وإلزامية عبادته وحده وعدم التوجه إلى عبادة آلهة الوثنين، أو السجود للأصنام: «لا يكن لك آلهة أخرى أمامي (...) لا تسجد لهن ولا تعبدهن» [3]، « اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد» [4] إلا أن التوراة الحالية فيها ما يلحد في هذه الصفة. ويثبت الشرك بالله تعالى من خلال نسبة البنوة لله تعالى[5]، ومن خلال تأكيد التوراة على تصور وجود آلهة أخرى خاصة بالشعوب الأخرى غير إسرائيل: «من مثلك بين الآلهة» [6]. وعلى غرار الطعن في الوحدانية، طعنت باقي الصفات كالعلم والقدرة والإرادة... وغيرها.

وأما صفات الله تعالى وأسماؤه في القرآن على كثرتها، فهي منزهة لله تعالى، مثبتة له كل العظمة و الجلال والكمال ، حتى ما كان منها موهما بمماثلة صفات المحدثات فله من الأصول المحكمة التي تنزهه عن تلك المماثلة:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[7]. وهذا التنزيه

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) مت 5/17.

(2) مت 4/10.

(3) خر 10/ 3-6.

(4) تث 4/6.

(5) تك 4/6 وتث 1/14.

(6) خر 15/ 11.

(7) الشورى/11.

القرآني لله تعالى سمت العقيدة الإلهية سموا شامخا لا نظير له، حتى أن القارئ للقرآن يزداد إيمانا بالله تعالى وهو يستشعر عظمته وجلاله من خلال حديث القرآن عن الله وأسمائه الحسنى وصفاته العليا.

ومن أعظم الصفات الإلهية التي أولاها القرآن اهتماما كبيرا، توحيده تعالى إذ أن توكيد القرآن للوحدانية الإلهية يفوق توكيده لصفة أخرى، ذلك لأن الشرك بالله مفسد لفطرة الإنسان، ولفهمه للكون، ومفسد للعبادة التي يقوم بها لذلك عده الله ظلما عظيما منهيا عنه: ﴿ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[1]، وعده ضلالا عظيما ما بعده ضلال: ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾[2]، وعده سببا لعدم المغفرة و الحرمان من الجنة والمصير النهائي السعيد: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[3]، ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾[4].و لأهمية توحيد الله تعالى لم تخل أية رسالة جاء بها رسول من آدم إلى محمد ﷺ من التأكيد على هذا التوحيد: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي ﴾[5]. وعلى أساس هذا التصور للألوهية يكون القرآن قد أرسى أسمى عقيدة إلهية صححت ما شاب هذه العقيدة نفسها في التوراة والإنجيل، وصححت أيضا أخطاء أرباب العقول الفلسفية في كل زمان ومكان في تصورهم لله تعالى.

و عقيدة الصفات والأسماء في الإنجيل في ضوء الفهم المسيحي هي خلط لا معقول بين الله سبحانه وبين عيسى النبي المخلوق من الله الذي أسقطت عليه الصفات الإلهية الذاتية والفعلية، وبالمثل أسقطت الصفات البشرية المتمثلة في عيسى على الله تعالى في إطار فكرة التجسد، فيصبح الإله في صورة إنسان هو عيسى، فيولد ويحمل ويرضع ويربى ويمسح بالزيت المقدس، ويهان، ويؤذى، ويحارب، ويحاكم، ويصلب، ويموت، ويقبر، ثم يبعث بعد موته!

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) لقمان/12.

(2) النساء/115.

(3) النساء /115.

(4) المائدة /72.

(5) الأنبياء/25.

ورغم هذه الحماقات اللامعقولة في مفهوم الألوهية إلا أن أربابها من المسيحيين يصرون على صحتها بتناقضاتها و يلزمون العقل على تقبلها دون إخضاعها لقوانينه، لا لشيء إلا لكونها إلهية! وكأن الله لا يأمر بالتناقض ولا يرضى به إلا فيما يتعلق بالإيمان به وبمعرفته!

وتصور الألوهية بهذا الشكل يعد معضلة فكرية وعقبة إبيستمولوجية أو معرفية تحول دون وصول الإنسان إلى أعظم حقيقة على الإطلاق تتعلق بمصيره الدنيوي والأخروي، وهي حقيقة الألوهية كما أفصح عنها الله نفسه في مصادر أخرى غير المسيحية.

والألوهية بالمفهوم المسيحي السابق ووفقا للتمحيص الذي أخضعت له، تعد خطأ منطقيا تاريخيا ناتجا عن أغلوطة غير منتبه إليها أو مغالطة متعمدة ومبيتة، أو عن الإثنين معا يجب تصحيحها وإلا كانت خطرا عظيما على كل من يتقبلها هذا الخطأ الفادح، لأن مفهوم الإله في نظر العقل السليم هو الذي يمتلك مطلق الصفات التي لا ينبغي لأحد امتلاكها،والتي تجعل منه كائنا مطلق الكمال والعظمة والجلال، يقتضي من الجميع الخضوع له بالطاعة والمحبة والعبادة والرهبة والرغبة. أما إذا كان هناك من يشركه في صفاته فإن مفهوم الألوهية يتغير، ويصبح يحمل من المتناقضات ما لا يمكن حله إلا بالكفر والإلحاد بمفهوم هذه الألوهية المتناقضة نفسها. ولذلك قال الله تعالى في القرآن : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [1].

ثانيا –الإنسان:

مذهب الإنسان في التوراة والإنجيل مذهب متقارب ومتماثل على أساس كون المسيحية تستمد فلسفتها الإنسانية العامة من النصوص اليهودية، لأن الإنجيل ليس فيه مذهب شامل عن الإنسان يمكن تسميته فلسفة إنسانية، كل ما هناك هو حديث مركز عن إنسان واحد هو محور الإنسانية، وهو يسوع المسيح الإنسان المؤله، ذلك التقارب بين التصور التوراتي والتصور الإنجيلي يشمل الأفكار الرئيسة والمفاهيم العامة، ككون الإنسان مخلوقا من الله من طبيعتين مادية وروحية، أسكن الجنة ثم طرد منها بعد خطيئة آدم وحواء ليسكن الأرض، ويشقى فيها حتى يأتيه الموت عقابا له، لينتقل بعد ذلك إلى عالم آخر يسعد فيه أو يشقى، ومع هذا التقارب

(1) النساء /115.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والتماثل توجد هناك إستثناءات تنفرد بها المسيحية عن اليهودية تعد مواطن إفتراق واختلاف بينهما منها على الخصوص:

1-فكرة الخطيئة الأولى لأبوي الإنسانية تراها المسيحية موروثة ملازمة للإنسانية لا تتخلص منها إلا بالإيمان بالمسيح إله ابن إله، جاء فاديا ومخلصا للإنسانية من خطيئتها وضياعها. وعلى أساس هذا التصور لا يصبح لإنسانية الإنسان في المسيحية معنى إيجابيا، إذ لا يمكن له أن يحقق إنسانيته وكرامته وفلاحه إلا بالذوبان في شخص آخر هو كبش فدائه، وهو المسيح اللاهوتي الناسوتي المصلوب، الذي سيطهر الإنسان ويرجع له إنسانيته وكرامته، وهذا التصور لو صح ستترتب عنه نتائج مأساوية تلحق الإنسانية التي لا تؤمن بالمسيح كما يؤمن به مؤلهوه، أو ستلحق مؤلهي المسيح إن كان ذلك التصور خاطئا، وقد تبين لنا خطأه في فصل الله في الإنجيل !

لكن فكرة الخطيئة الأولى عند اليهود ليست موروثة وملزمة للإنسان بعد آدم وحواء.

2-وجود الإنسان في هذا الكون المليئ بالنعم والخيرات لا ترى فيه المسيحية إلا عقوبة إلهية يتخللها صراع هذا الإنسان مع الكون من أجل أن يعيش حتى يأتيه الموت، نافية بذلك أي دور رسالي يقوم به الإنسان نحو خالقه، ونحو الكون بأسره، ماعدا رسالة واحدة، هي رسالة التبشير بيسوع المؤله المخلص الذي جاء لتحقيق الخلاص للإنسانية.

3-العالم الآخر الذي ينتقل إليه الإنسان ليلقى فيه مصيره السعيد أو الشقي، يصنع أحداثه في تصور الإنجيليين المسيح المؤله، إذ هو المحاسب و المعاقب و المثيب. بينما في تصور التوراتيين الله هو المحاسب و المجازي بالخير لحافظي شريعته ووصاياه، والمعاقب بالشر لعصاته ومضيعي وصاياه.

وفلسفة الإنسان في المنظور الإنجيلي سواء المتعلقة بتلك التي تتفق فيها مع المنظور التوراتي أو في تلك التي تختلف فيها معه، قادني تمحيص الأناجيل إلى وجود ما ينقض الشاذ فيها في الإنجيل نفسه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ففكرة الخطيئة الموروثة مثلا لا تستقيم وتأكيد الإنجيل على كون الله غفور يغفر الذنوب[1]، وأنه تواب يقبل التوبة من الخاطئين[2].

وفكرة وجود الإنسان في الكون عقوبة لا تستقيم بدورها مع إكرام الله لنوح واستخلافه في الأرض وتمكينه من كل نعم الله فيها[3]، و إسناد نفس الرسالة لإبراهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام[4]، ثم تحمل عيسى عليه السلام كرسول نبي للدور الذي قام به أسلافه من الأنبياء والمرسلين[5].

ونتائج التمحيص تلك في الأناجيل تناظرها نتائج أخرى توصلت إليها من خلال تمحيص نصوص التوراة المتعلقة بفلسفة الإنسان، تظهر ما شذ وتناقض من تلك الفلسفة منها على سبيل الخصوص:

1-بطلان فكرة نجاسة الجسم العينية على أساس كونه خلق الله تجلت فيه آيات اقتداره وصنعه وإبداعه، وثبوت طهارته وجماله[6]، وبطلان شرية ذلك الجسم في ذاته وإنما الشر و والخبث في الشيء الذي يدفع الإنسان بجسمه ليفعل الشر والخبث، وهو شيطانه وهواه المتبع[7].

2-بطلان فكرة التكريم الإلهي للإنسان لا يكتمل إلا بالبنوة الإنسانية لله، وهو ما يناقض العبودية لله التي أثبتتها التوراة[8].

3-لعن الأرض بسبب الإنسان تتناقض و تمكين الله الإنسان من نعم الأرض وخيرتها وجمالها[9].

---

[1] مت 12/6.
[2] مت 17/4.
[3] تك 9/1-11.
[4] تك 17/1-22، 3/46
[5] مت 17/5.
[6] تك 26/1-31.
[7] مز 1/36.
[8] عد 7/12.
[9] تك 1/9-17.

4-غموض عالم الآخرة وما فيها من أصناف النعيم والعذاب ينقضه تصريح التوراة بالجنة التي كان فيها آدم وحواء، وما فيها من نعيم مقيم حسي ومعنوي[1]، ونتائج التمحيص في كل من التوراة والإنجيل المتعلقة بفلسفة الإنسان تلتقي وما ورد في القرآن الكريم، لكن بشكل أشمل وأوسع وأدق تفصيلا مما هو موجود في التوراة والإنجيل، فالإنسان في القرآن الكريم في أهم محاوره الرئيسة هو :

1- كائن مخلوق لله كسائر مخلوقاته، أظهر الله في جسمه وروحه آيات اقتداره وعجيب صنعه وعظمة إبداعه، فهو آية على عظمة الخالق سبحانه وعلمه وقدرته وحكمته.

2-أكرمه الله بنعمة العقل وميزه به عن سائر مخلوقاته، ولمكانة الإنسان عند الله وعلو قدره أسجد له أطهر وأعبد مخلوقاته وهم ملائكته، وأسكنه في جنته.

3-رغم خطأ الإنسان الأول المتمثل في أبوي الإنسانية، آدم وحواء في حق الله تعالى ومن بعدهما ذريتهما إلا أن الله لم يجعل خطيئتهما وزرا يتحملها ويرثها من يأتي بعدهما، بل تاب الله عليهما وغفر لهما، كما يتوب الله ويغفر لذريتهما من بعدهما كلما استغفروا وتابوا.

4-أنزل الله الإنسان إلى الأرض لا عقوبة ولا انتقاما وإنما استخلافا وعمارة للأرض وتكليفا واختبارا، بعد أن هداهم وأرشدهم إلى طريق الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، وبعد أن حذرهم من طريق الشيطان الذي بسببه أنزل الإنسان للاستخلاف والامتحان.

5- لم يترك الله الإنسان هملا في الأرض بل أحاطه بعنايته ورعايته ومكنه من كل شيء فيه صلاح معاشه وسعادة معاده.

6-للإنسان في الكون مادام حيا رسالة وأمانة هي من أعظم الرسائل و الأمانات، هي عبادة الله تعالى خالقه بروحه وجسمه وقلبه وعقله، عبادة خالصة له وحده لا شريك له، تتجسد هذه العبادة في كل حركة وسكنة يقوم بها الإنسان لا تخلو من استحضار الله فيها ذكرا وخشية ورغبة ورهبة، مما يعطي للعبادة مفهوما واسعا شاملا، بما في ذلك عمل الإنسان وشقاؤه من أجل العيش وتعمير الأرض وإصلاحها وتشييد الحضارة والمدنية، و الإمساك بزمام القوة والعلم، والقيادة والريادة، وجعلها في سبيل الله ورفع كلمته وهداية عباده إليه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1] تك 2/8-19.

7-وإخلاص الإنسان لله في كل أعماله مبني على اعتقاد راسخ بالرجوع في يوم ما، قد يكون قريبا إلى الله ليحاسبه على أعماله ويجازيه، خيرا بخير وشرا بشر، هذا اليوم هو يوم القيامة، الذي سيحيا فيه الإنسان مخلدا إما في السعادة والنعيم المادي والمعنوي، والرضى الإلهي، وإما في الشقاوة والعذاب المادي والمعنوي، والسخط الإلهي، والعياذ بالله تعالى.

ثالثا علاقة الإنسان بالله:

علاقة الإنسان بالله في كل من التوراة والإنجيل و القرآن قائمة على مفهوم الله ومفهوم الإنسان، فكلما كان تصور الألوهية و الإنسان ساذجا ومنحطا كانت العلاقة بينهما كذلك كما في التوراة والإنجيل، وكلما كان تصورهما ساميا ومنزها، كل يوضع في مقامه المستحق، لاخلط بينهما في الجوهر والحقيقة والفعل. كانت العلاقة علاقة سمو وتتريه كما هو الحال في القرآن الكريم، ومن هذا المنطلق العام يمكن الوقوف على خصوصيات هذه العلاقة في كل من التوراة والإنجيل والقرآن:

1-في التوراة:

أ-علاقة الإنسان بالله علاقة قومية عنصرية. يظهر فيها الله رب العالمين ورب الناس أجمعين هو يهوه رب بني إسرائيل وحدهم اختاره هذا الشعب لنفسه كما اختار يهوه هذا الشعب لنفسه دون سائر الشعوب، بل تآمر وحارب ضد الشعوب الأخرى من أجل إسرائيل، حبه وعطفه مكرس لهذا الشعب دون غيره وإن غضب وعاقب أحيانا للحفاظ على هذه العلاقة الحبية العطوفة:« لقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي»[1]، « واتخذكم لي شعبا وأكون لكم إلها»[2]،« الرب رب إسرائيل وإسرائيل شعبه»[3] وقد كان لنوع هذه العلاقة نتائج سلبية مست عقيدة الألوهية في صميمها، وهو التوحيد، لأن من مقتضيات التوحيد خضوع الكون بأسره لله رب العالمين، وعدم حصر قيوميته وصفاته الأخرى في مكان معين وجماعة معينة، وعدم تصور آلهة أخرى لشعوب أخرى تنازعه في ألوهيته وربوبيته كما تصور التوراة ذلك:« من مثلك بين الآلهة يا رب»[4]. وهذا الفهم العنصري لعلاقة الإنسان بالله تطعن

(1) لا 26/20.
(2) خر 7/6.
(3) 2 صم 7/8-18.
(4) خر 11/15.

وتلحد في عدل الله القائم على كل نفس في الكون، إسرائيلية أو غيرها، هذا العدل الذي أكده الوحي الإلهي، ومنه التوراة نفسها«إن جميع سبله عدل، إله أمان لا جور فيه، صديق وعادل»[1].

كما أن الفهم العنصري لعلاقة اليهودي بالله هي تكريس لفكرة الأفضلية و التفوق العنصري اليهودي على باقي الشعوب.

و الحقيقة في منشأ هذا التصور التوراتي لعنصرية العلاقة بين الانسان اليهودي وخالقه لا يعود إلى الوحي الإلهي وإنما يعود إلى تصور الشعوب الوثنية في علاقتها بآلهتها، هذه الشعوب التي كان اليهود في جوارهم وبين ظهرانيهم حسب ما دلت عليه الدراسات المقارنة للأجناس والأديان في منطقة فلسطين وما جاورها حيث كان يسكن اليهود[2] .

ب-علاقة الإنسان بالله في التصور التوراتي علاقة أبوة [3]، وقد قادني التمحيص إلى إثبات بطلان هذا النوع من العلاقة في التوراة نفسها [4] كما أن القرآن أبطل هذا النوع من العلاقة: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[5].

جـ-علاقة الإنسان اليهودي بالله في إطار الالتزام بشرعه علاقة تمرد وعصيان وتضييع لأمانة الوحي التي استحفظوا عليها وأمروا بالتمسك بها بنص التوراة نفسها:«خذوا كتاب التوراة هذا(...) ليكون هناك شاهدا عليكم لأني عارف تمردكم ورقابكم الصلبة.هو ذا وأنا بعد حي معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحري بعد موتي»[6].

د-علاقة الإنسان بالله في إطار عدله تصور واهن ضعيف، قاصر وساذج محصور في الدنيا بشكل أخص أما في الآخرة لا يكاد يذكر، وهذا بسبب ضعف وقصور الدين اليهودي عامة والتوراة خاصة في الاهتمام بهذا اليوم العظيم الذي سيتحقق فيه عدل الله بشكل أكبر، حاسم

(1) تث 32/4-6.

(2) دي بورج ، تراث العالم القديم(مرجع سابق)، ص67. وبيار غرولو، من أنت أيها الإنسان (مرجع سابق)، ص13 -15.

(3) تك 6/ 1-3، 6/4، عر 4/ 22- 24.

(4) عد 12/ 7 ومبحث الله في التوراة (تمحيص ومناقشة).

(5) المائدة /20.

(6) تث 31/26-28.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فاصل، وهو ناتج كذلك عن علاقة العنصرية التي ربط بها اليهود أنفسهم بالله المبينة سابقا التي تقتضي أن يكون العدل الإلهي هو عدل شعب واحد ومحاباته دون غيره ومن ثم فلا ضير أن يتكل على إلهه الذي اختاره شعبا خاصا، فيفعل ما يشاء في حق الآخرين ولا يحسب حسابا ليوم آخر يحاسب فيه ويعاقب مادام خطأه لا يمس واحدا من أفراد الشعب اليهودي المختار .

2-في الإنجيل:

إن كون يسوع المسيح هو إله ابن إله يشترك مع أبيه الإله في الصفات الذاتية والفعلية، في الجوهر والعرض، وكونه الوسيط المشروط الذي لا يستغنى عنه قط بين الإنسان والإله الأب، أفسد مفهوم علاقة الإنسان بالله، وقلب موازينها وضوابطها فلم تصبح لهذه العلاقة من معنى إلا معنى واحد، هو أن الله المقصود ليس هو الله رب العالمين ورب الناس أجمعين، الواحد الأحد الذي لا شريك له في ذاته وصفاته وأفعاله وملكه وعباده ومنهم عيسى الإنسان الرسول النبي،وإنما هو مجموعة من الآلهة تتكون من ثلاثة أشخاص أو عناصر، يحتل يسوع المسيح بينهم المكانة الرئيسة والمهمة، به أولا وقبل غيره تتعلق جميع مظاهر علاقة الإنسان بالله ، ابتداء من الإيمان به كرب وإله ابن إله إلى معرفته والالتزام بوحيه وتعليق مصير الإنسان به في الدنيا والآخرة، الأمر الذي أدى إلى نتائج خطيرة في الإيمان المسيحي منها على سبيل المثال والخصوص لا الحصر:

أ-الخلط بين مفهوم الله الخالق العظيم الجليل ذو الكمال والعزة والإكرام ذي الصفات العليا والأسماء الحسنى، الواحد الأحد الفرد الصمد. وبين الإنسان المخلوق المكرم المصطفى من الله، والمكلف بأداء رسالة جليلة هي التبليغ عن الله رب العالمين، هذا الخلط يتجلى بالخصوص في صورة حلول أو وحدة وجود وحظور أو في صورة تجسيد وتشبيه .

ب-بالمعنى السابق للألوهية عطلت صفات الله تعالى التي بها يعرف ويعبد ويطاع .

جـ-مصادرة الوحي الإلهي، إذ لم يصبح له معنى حين أصبح المسيح هو نفسه الوحي وهو نفسه الذي يجب على المسيحي أن يلتزم به، هذا الالتزام يكمن أساسا في الإيمان به كإله ابن إله مخلص.

د-ومصادرة الوحي الإلهي بهذه الكيفية أسقط التكاليف الإلهية الواجب التزامها نحو الله ونحو العباد ونحو الكون بإسره، فصودرت بالتالي مسؤولية الإنسان على أفعاله، وعدم

الاستعداد ليوم الآخرة العظيم الذي يحاسب فيه كل إنسان على أعماله ومدى التزامه بطاعة ربه.

مع العلم أن علاقة الإنسان بالله في الإنجيل بهذا المفهوم وهذه النتائج الخطيرة بين لي التمحيص في نصوص الأناجيل نفسها بطلانها وإثبات عكسها تماما.

3-في القرآن:

بناء على مفهوم كل من الألوهية والإنسان في القرآن الكريم فإن علاقة هذا الأخير بخالقه تتميز عما هي في التوراة والإنجيل بشكل غير متناقض بجملة من الخصائص يمكن إيجازها فيما يأتي:

أ-علاقة الإنسان بالله هي علاقة عبودية بالمفهوم المبين سالفا في التحليل لا علاقة أبوة أو شراكة أو قومية عنصرية كما في التوراة والإنجيل، علاقة يتميز فيها الإنسان المخلوق المكرم المستخلف في الأرض المكلف بطاعة الله، المسؤول عن أعماله والمحاسب عليها والمجازى من الله في الدنيا والآخرة. ويتميز فيها الله تبارك وتعالى الإله الخالق العظيم ذو العظمة والكبرياء والقدرة والثناء، ذو الصفات العلى والأسماء الحسنى، الواحد الأحد الذي لا شريك ولا كفؤ له: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[1].

ب- هي علاقة معرفة ومحبة إذ كلما اجتهد الإنسان للوصول إلى معرفة خالقه كلما ازداد في حبه وعبادته بالطريقة التي أمره بها من خلال شرعه: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾[2].

جـ-هي علاقة طاعة والتزام بما أمر ونهى في وحيه المنزل على رسوله محمد ﷺ دون غيره، على أساس كونه الوحي الخاتم المهيمن على جميع ما أنزل من قبل على أنبيائه ورسله، به اكتمل الدين وتم مارضي الله لعباده الالتزام به: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ

(1) سورة الإخلاص.

(2) البقرة/164.

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[1]، ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[2]، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[3].

د-هي علاقة رغبة ورهبة، خوف وطمع، علاقة أمل في غفرانه ورحمته ورضوانه، وثوابه وجزائه الحسن يوم القيامة بعد العمل والتوكل لا بعد التقاعس والتواكل إيمانا بوعده للطائعين والصالحين، وبوعيده للعاصين والمفسدين الذين يؤولون جميعا حسب أعمالهم إلى مصير سعيد في جنة رب العالمين، أو إلى مصير شقي في نار الله الموقدة، كل ذلك بناء على إيمان الإنسان بعدل الله الذي لا يتخلف، الذي يربط كل علاقة إنسانية بخالقها العادل الذي قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[4].

وسبحان الله ونحمده نشهد أن لا إله إلا هو، نستغفره ونتوب إليه .

---

(1) المائدة/3 .

(2) آل عمران /19.

(3) آل عمران/84.

(4) يونس /44 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولاً: فهرس

آيات القرآن الكريم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآية	رقم الآية	الصفحة
البقرة		
الم (1) ذلك الكتاب لا ريب فيه .... هم المفلحون	5-1	213
يا أيها الناس اعبدوا ربكم .... لعلكم تتقون	21	242
وإذ قال ربك .... ما لا تعلمون	30	240
وعلم آدم .... ما كنتم تكتمون	33-31	241
قلنا اهبطوا منها جميعا .... فيها خالدون	39-38	241
ولا تلبسوا الحق بالباطل .... وتكتموا الحق وأنتم تعلمون	42	112
وإذ فرقنا بكم البحر .... تنظرون	50	109
وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك .... المن والسلوى	57-55	109
فبدل الذين ظلموا .... قيل لهم	58	115
وإذ استسقى موسى .... مشربهم	60	109
وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد ..... وبصلها	61	92
وضربت عليهم الذلة .... وكانوا يعتدون	61	109
قالوا ادع لنا ربك .... ما هي	70-68	92
أفتطمعون أن يؤمنوا .... وهم يعلمون	75	115
فويل للذين يكتبون .... من عند الله	79	115

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وآتينا عيسى ابن مريم .... بروح القدس	87	126
وقالوا لن يدخل .... كنتم صادقين	111	83
ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا .... الله	165	299
وإذا سألك عبادي .... لعلهم يرشدون	186	257، 268
سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية ... شديد العقاب	211	108
ولو شاء الله ما اقتتلوا .... ما يريد	253	224
الله لا إله إلا هو الحي القيوم .... ولا نوم	255	227
لا إكراه في الدين قد .... لا انفصام لها	256	244
آمن الرسول بما أنزل .... وإليك المصير	285	272
لا يكلف الله نفسا إلا وسعها .... ما اكتسبت	286	243
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت	286	244، 284
آل عمران		
نزل عليك الكتاب .... وأنزل الفرقان	4-3	19
والراسخون .... من عند ربنا	7	263
إن الدين عند الله الإسلام	19	300
ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب .... يفترون	24-23	83
إن الله اصطفى آدم .... من بعض	34-33	235
وإذ قالت الملائكة يا مريم .... العالمين	42	174
ولأحل لكم بعض الذي حرم .... صراط مستقيم	51-50	136

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ .... فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ	55-54	194
قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ .... دُونِ اللَّهِ	64	110
مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا .... وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ	68-67	108-107
وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ .... يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ	76-75	114
وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا .... وَهُمْ يَعْلَمُونَ	78	115، 13
وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ .... مُسْلِمُونَ	80	110
وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ .... الْخَاسِرِينَ	85	300
وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾	97	220
وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ .... عِنْدَ رَبِّهِمْ	199	158

النساء

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ .... أَجْرًا عَظِيمًا	40	278
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ .... مَفْعُولًا	47	118
أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ .... مُشَيَّدَةٍ	78	248
مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾	80	272
أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ .... اخْتِلَافًا كَثِيرًا	82	265، 111
إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ .... لِمَنْ يَشَاءُ	116	292، 291
وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾	116	291
وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ .... مَحِيصًا	120-119	246
إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ .... مَفْرُوضًا	118-117	256، 242

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا .... خَلِيلًا	125	243-242
فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ .... فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ	153	47
وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ .... عَزِيزًا حَكِيمًا	158-157	194-193
لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ .... مِنْ قَبْلِكَ	162	265
وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾	164	226، 223
يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ .. عَلِيمًا حَكِيمًا	170	271
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ .... جَمِيعًا	172-171	160-159، 217
لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ .... إِلَيْهِ جَمِيعًا	172	235
المائدة		
الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ .... الْإِسْلَامَ دِينًا	3	300-299
فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ .... إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ	13	110، 14
وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى .... وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ	15-14	158، 20
لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ .... قَدِيرٌ	17	217
وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى .... مِمَّنْ خَلَقَ	18	107، 36، 218، 116، 297
يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾	41	114
إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ .... وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ	44	111، 13
وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ .... مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ	46	136، 19

وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ .... فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ	47	20، 19
مِنْهُمْ أُمَّةٌ .... سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ	66	158
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا .... وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ	71	159-158
لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ .... مِنْ أَنْصَارٍ	72	217، 160، 221
إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ .... أَنْصَارٍ	72	291
لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ .... السَّمِيعُ الْعَلِيمُ	76-73	222-221
لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا .... الْمُحْسِنِينَ	85-82	273، 159
وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى .... وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ	116-117	160
الأنعام		
وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ .... لَكَاذِبُونَ	28-27	276-275
وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ .... مَا تَزِرُونَ	31-30	276
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾	35	281، 280، 284
وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾	36	249
قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ .... يَعْمَلُونَ	43-40	269-268
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ .... هُمْ يَصْدِفُونَ	46	262
وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾	59	223
وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ .... إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ	59	223
انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾	65	269

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وكذلك نري إبراهيم .... من الموقنين	75	259-258
وما قدروا الله حق قدره .... وتخفون كثيرا	91	13
سبحانه وتعالى .... وهو على كل شيء وكيل	102-100	222
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا .... غرورا	112	246
وتمت كلمة ربك .... السميع العليم	115	278
سيقول الذين أشركوا .... من شيء	148	285
كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا﴾	148	285
وأن هذا صراطي مستقيما .... لعلكم تتقون	153	271، 243
وهذا كتاب أنزلناه .... بما كانوا يصدفون	157-155	244
وهو الذي جعلكم خلائف .. لغفور رحيم ما آتاكم	165	3
وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾	165	241
الأعراف		
ولقد مكناكم في الأرض .... ما تشكرون	10	237
يابني آدم لا يفتننكم .... لا يؤمنون	27	246
ولكل أمة أجل .... ولا يستقدمون	34	247
الحمد لله الذي هدانا لهذا .... كافرون	45-43	274-273
وجاوزنا ببني إسرائيل .... على العالمين	140-138	35
سأصرف عن آياتي الذين .... غافلين	146	274
ورحمتي وسعت كل شيء .... هم المفلحون	157-156	273

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ .... هُمُ الْمُفْلِحُونَ	157	158، 240
الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ .... كَانَتْ عَلَيْهِمْ	157	243
﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾	159	158
فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ .... إِلَّا الْحَقَّ	169	3
وإذ أخذ ربك من بني آدم .... الْمُبْطِلُونَ	172-173	208-209
وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى .... كَانُوا يَعْمَلُونَ	180	228
أَوَلَمْ يَنْظُرُوا .... وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ	185	259
إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ .... صَادِقِينَ	194	256
وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ .... أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ	197	267
الأنفال		
إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ .... عَزِيزٌ حَكِيمٌ	9-10	267
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ .... لِمَا يُحْيِيكُمْ	24	271
التوبة		
وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ .... كَلَامَ اللَّهِ	6	226
وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ .... أَنَّى يُؤْفَكُونَ	30	36، 218، 225
اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ .. سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ	31	36، 110
وَقُلِ اعْمَلُوا .... تَعْمَلُونَ	105	242
﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	115	223

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ .... رَءُوفٌ رَحِيمٌ	128	229
يونس		
هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً .... لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ	5	238
وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ .... كَانُوا يَعْمَلُونَ	12	266
هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ .... بِغَيْرِ الْحَقِّ	23-22	211
وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى .... مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ	38-37	265 ،22
بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ .... مِنْ قَبْلِهِمْ	39	263
إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ .... يَظْلِمُونَ	44	،283 ،278 300
وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ .... إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ	61	242
وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾	99	281
قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	101	259
وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ .... الظَّالِمِينَ	106	267
هود		
أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ .... مُسْلِمُونَ	14-13	265
وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾	88	286
وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ .... كُلُّهُ	123	286

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يوسف		
﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾	33	286
﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ .... الْقَهَّارُ﴾	39	107
إبراهيم		
﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ .... لَا تُحْصُوهَا﴾	34	261
﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ .... سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾	51	249
الحجر		
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ .... لَحَافِظُونَ﴾	9	22
﴿نَبِّئْ عِبَادِي .... الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾	50-49	257
النحل		
﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ .... لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾	11-10	238
﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ .... وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	14	238
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا .... الطَّاغُوتَ﴾	36	219
﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ .... كُنْ فَيَكُونُ﴾	40	224
﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ .... فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾	51	160
﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾	53	261
﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾	71	262-261
﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ .... قَدِيرٌ﴾	77	225-224
﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ .... تَشْكُرُونَ﴾	78	262

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ .... الْكَاذِبُونَ	105-103	275-274
الإسراء		
وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ .... حَسِيبًا	13	249
وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾	21	250
إِنَّ الشَّيْطَانَ .... عَدُوًّا مُّبِينًا	53	246
وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ .... كَفُورًا	67	211
وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ .... تَفْضِيلًا	70	237
وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ .... قَلِيلًا	74	285
وَقُرْآنَ الْفَجْرِ .... مَشْهُودًا	78	21
وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾	85	224
قُلِ ادْعُوا اللَّهَ .... فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى	110	228
الكهف		
وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ .... وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ	29	244
وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا .... أَحَدًا	49-48	249
قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾	95	237
فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ .... رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي	98-97	237
مريم		
قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ .... جَبَّارًا شَقِيًّا	32-30	255
مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾	35	217

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ .... صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ	36	255
أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ .... وَاجْتَبَيْنَا	58	235
فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ .... يَلْقَوْنَ غَيًّا	59	3
وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَدًا ... وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا	95-88	255، 235
طه		
اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى	8	228
وَأَنَا اخْتَرْتُكَ .... وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي	14-13	28
قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى	56	225
قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى .... وَلَا يَنْسَى	52-51	223
مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ .... تَارَةً أُخْرَى	55	248
فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ .... حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى	91-87	35
وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى .... فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى	122-121	191
فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى .... أَشَدُّ وَأَبْقَى	127-123	274
الأنبياء		
وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا .... لَا تَعْلَمُونَ	7	266
لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ .... يَصِفُونَ	22	219
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ .... فَاعْبُدُونِي	25	291، 219
وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ .... نَجْزِي الظَّالِمِينَ	29-26	256
وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا .... خَاشِعِينَ	90-87	267-266

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحج		
وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ .... شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ	3	210
فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ .... الْحَرِيقِ	22–19	251
وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ .... صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ	54	265
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ .... إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ	70	223، 264
إن الذين تدعون من دون الله لن .... حق قدره	74–73	212
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا .... تُفْلِحُونَ	77	283
المؤمنون		
وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ .... الْخَالِقِينَ	14–12	233
قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ .... فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ	89–84	209
مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾	91	217، 218
أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا .... لَا تُرْجَعُونَ	115	240
النور		
لِكُلِّ امْرِئٍ .... مِنَ الْإِثْمِ	11	244
الفرقان		
وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾	58	227
قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾	77	268
الشعراء		
وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ .... إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ	52	255

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾	184	208
النمل		
أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ .... مَا تَذَكَّرُونَ	62	266
القصص		
فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا .... الظَّالِمِينَ	50-48	275،245
سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	68	222
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ ..... تَشْكُرُونَ	73-71	262
كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾	88	220
العنكبوت		
وَمَنْ جَاهَدَ .... لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ	6	220
قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ .... قَدِيرٌ	20	289
بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ .... الظَّالِمُونَ	49	265
يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا .... فَاعْبُدُونِ	56	257-256
الروم		
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ .... لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ	23-20	258
فِطْرَةَ اللَّهِ .... الدِّينُ الْقَيِّمُ	30	208
وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ .... بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ	33	211
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا .... فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا	47	109
فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ .... قَدِيرٌ	50	260

لقمان		
لَا تُشْرِكْ .... لَظُلْمٌ عَظِيمٌ	13	291
وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾	20	262
وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ .... عَاقِبَةُ الْأُمُورِ	22	243
السجدة		
الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ...... قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ	8–7	233
الأحزاب		
قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ .... رَحْمَةً	17	244
يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ .... كَبِيرًا	68–66	276
إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ .... ظَلُومًا جَهُولًا	72	241
سبأ		
وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ .... الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ	6	255 ،263 -272 ،256 273
إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ .... مِّنَ السَّمَاءِ	9	285
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ .... لَا يَعْلَمُونَ	28	270
فاطر		
وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ .... بِشِرْكِكُمْ	14–13	267
يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ .... الْحَمِيدُ	15	220
هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ .... إِلَّا خَسَارًا	39	242

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ .... عَلِيمًا قَدِيرًا	45	225-224

يس

وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ .... مُظْلِمُونَ	37	262
وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ .... إِلَى حِينٍ	44-41	263
الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ .... تُوقِدُونَ	80	238
إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا .... كُنْ فَيَكُونُ	82	285-284

الصافات

وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ	57	262
وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ	96	287
وَإِنَّ إِلْيَاسَ .... لَمُحْضَرُونَ	127-123	35
سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ	159	222

ص

وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى .... يَوْمَ الْحِسَابِ	26	245
كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ .... أُولُو الْأَلْبَابِ	29	264

الزمر

إِنْ تَكْفُرُوا .... يَرْضَهُ لَكُمْ	7	220
وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ .... لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ	8	211
قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ .... أُولُو الْأَلْبَابِ	9	242
وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ .... دُونِ اللَّهِ	38	209

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ .... إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى	42	194
أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي .... وَكُنتُ مِنَ الْكَافِرِينَ	59-57	240
لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي .... الْمُتَّقِينَ	57	285
بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي .... وَاسْتَكْبَرْتَ	59	285
وَنُفِخَ فِي الصُّورِ .... يَنظُرُونَ	68	249
وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا .... مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ	72-71	251-250
وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا .... أَجْرُ الْعَامِلِينَ	74-73	250
غافر		
إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	20	225
كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾	35	229
وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ .... أَشَدَّ الْعَذَابِ	46-45	248
وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ .... سُوءُ الدَّارِ	52-47	276
وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي .... دَاخِرِينَ	60	268
ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ .... لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ	62	212
الشورى		
فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾	7	249
لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	11	45، 220، 221، 225، 226، 230،

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

		290
شرع لكم من الدين .... إليه	13	135
وما كان لبشر أن يكلمه الله .... علي حكيم	51	226
الزخرف		
إن هو إلا عبد أنعمنا عليه .... لبني إسرائيل	59	256
وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين﴾	76	285
الجاثية		
وفي خلقكم .... يوقنون	4	259
ليجزي قوما .... ترجعون	15–14	245
الأحقاف		
ومن أضل ممن يدعو من دون الله .... كافرين	6–5	268–267
قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك .... يوعدون	16–15	273
أولم يروا أن الله .... قدير	32	225
محمد		
مثل الجنة .... ومغفرة من ربهم	15	250
فاعلم أنه لا إله إلا الله .... والمؤمنات	19	242
الفتح		
إن الذين يبايعونك .... أيديهم	10	272

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	رقمها	الصفحة
الحجرات		
﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾	3	245
ق		
﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ ...... كَذَلِكَ الْخُرُوجُ	11-6	260
وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ .... مِنْ لُغُوبٍ	38	225
الذاريات		
﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾	20	259
﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾	21	261
وَمِن كُلِّ شَيْءٍ .... تَذَكَّرُونَ	49	261
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	56	242، 4
خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ .... الْمَتِينُ	58-56	4
الطور		
﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾	35	261
النجم		
وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى .... شَدِيدُ الْقُوَى	5-1	271
أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ .... وِزْرَ أُخْرَى	38-36	245، 75
الرحمن		
كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ .... ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ	27	248، 220

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الواقعة		
ثم إنكم أيها الضالون .... يوم الدين	56-51	251
نحن قدرنا بينكم الموت﴾	60	248
أفرأيتم ما تحرثون .... المنشئون	72-63	259،237
الحديد		
هو الأول والآخر﴾	3	217
وأنزلنا الحديد .... ومنافع للناس	25	235
سابقوا إلى مغفرة من ربكم .... ورسله	21	247
أفرأيتم ما تحرثون .... للمقوين	73-63	263-262
المجادلة		
ألم تر أن الله .... بكل شيء عليم	7	223
استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله﴾	19	210
الحشر		
وما آتاكم الرسول فخذوه .... شديد العقاب	7	272
ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾	19	210
الملك		
الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾	2	248
هو الذي جعل لكم الأرض .... وإليه النشور	15	237
قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم ... يأتيكم بماء معين﴾	30	263

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المدثر		
كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿	38	284،244
الإنسان		
وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿	30	286
عبس		
فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ .... وَلِأَنْعَامِكُمْ	32-24	260
الإنفطار		
يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ .... مَا شَاءَ رَكَّبَكَ	8-6	234-233
المطففين		
إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا .... مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ	14-13	210
الإنشقاق		
مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ .... سَعِيرًا	12-7	249
البروج		
فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿	16	224
الطارق		
فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ .... لَقَادِرٌ	8-5	261
الغاشية		
أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ .... كَيْفَ سُطِحَتْ	20-17	261-260

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الشمس		
وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا .... مَنْ دَسَّاهَا	10–7	245،234، 284
قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾	10–9	279
التين		
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾	4	234
العلق		
اقْرَأْ .... مَا لَمْ يَعْلَمْ	5–3	241
الزلزلة		
فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا .... يَرَهُ	8–7	283
الإخلاص		
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾	1	216،294
اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾	2	212
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ .... كُفُوًا أَحَدٌ		222،217، 299

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: فهرس

أحاديث النبي صلى الله

عليه وسلم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحـــــاديث النبوية

الحديث	الراوي	الصفحة
-خير النساء مريم ابنة عمران	البخاري في صحيحه	174
-ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان.غير مريم وابنها	البخاري في صحيحه	174
-ما من مولود إلا يولد على الفطرة........ أو يمجسانه	البخاري في صحيحه	208
-إن لله تسعة وتسعين اسماً......من أحصاها دخل الجنة	البخاري في صحيحه	228
-وتر يحب الوتر...هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمان.. البصير	الترمذي في جامعه	229
-لا إله إلا الله العظيم..........ورب العرش الكريم	مسلم في جامعه الصحيح والبخاري في صحيحه	266
-إن الله يقول أنا عند ظن عبدي بي.........إذا دعاني	مسلم في جامعه الصحيح	268
-من أطاعني فقد أطاع الله............ فقد عصاني	البخاري في صحيحه	272
-كل أمتي يدخلون الجنة ....فقد أبى	البخاري في صحيحه	272
-القدرية مجوس هذه الأمة»	أبو داود في كتاب السنة، ابن ماجة في مقدمة سننه، والحاكم في المستدرك.	281
-الله أعلم بما كانوا عاملين»	البخاري في صحيحه	282
-إن الله تعالى قبض قبضة فقال هذه في الجنة...ولا أبالي	الإمام أحمد في مسنده	284
-أنه مر بقبرين يعذبان.........يخفف عنهما ما لم ييبسا	البخاري في صحيحه	248
-ويحك أو هبلت ....لفي جنة الفردوس	البخاري في صحيحه	250
-إذا صار أهل الجنة إلى الجنة..........حزنا إلى حزنهم	البخاري في صحيحه	251

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا: فهرس نصوص

إنجيل برنابا

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس نصوص إنجيل برنابا

النص	الإنجيل ورقم صحاحه ونصه	الصفحة
يا برنابا عليك أن تكتب أتجلي ....يا معلم	بر 221/1-3	143
- فتكلم الله قائلا أنا الله الأحد.......... ليكن كذلك	بر29/32-40	144
-إننا لراغبون في خدمة الله ....لأنه رسول الله	بر17/1-23	144
-إنكم قد ضللتم ضلالا عظيما....التي ضللها الشيطان	بر93/2-23	146
-إني أشهد أمام السماء...........فصل لأجلنا	بر94/1-5	146
-لأنكما لو قرأتم العهد ....المبارك إلى الأبد	بر94/9-17	146
-توبوا لأنكم تعرفون........خطيئتكم لتدوسها الأمم	بر95/18-23	147
-فإن فريقا من الأشرار ....في عدادهم بولس	بر22/3	151
-لا تصنع لك تمثالا................قويا وغيورا	بر33/1-12	191
-أنا الله أحد........................أبونا إبراهيم	بر29/2-40	198
-خذني من العالم يا رب ....بيننا	بر47/6-19	199
-إني أقشعر لأن العالم سيدعوني إله..........آمين	بر52/10-20	200
-ليكن ملعونا كل من يدرج في أقوالي ......كأموات	بر53/35-36	200
-يا أيها الرب إلهنا ....إلى الأبد	بر37/6-16	202
-صدقوني بالحق.................كلما طلبوا	بر38/13-19	202

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رابعا: فهرس

نصوص التوراة و أسفار العهد القديم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس النصوص التوراتية وباقي أسفار العهد القديم

النص	السفر ورقم إصحاحه ونصه	الصفحة
-وكتب موسى هذه التوراة ....بني إسرائيل	تث 31/9	11
فأحفظ الوصية .... والإحسان	تث13/7	13
-وقال الله أيضا لموسى..........دور فدور	خر 15/3	26،65
-أهيه..........................الذي أهيه	خر 14/3	26، 66
-في البدأ خلق الله ....والأرض	تك 1/1	27
-لا يكن لك آلهة أخرى..........ولا تعبدهن	خر 20/ 3-6	29، 36، 132، 157
-اسمع يا إسرائيل ....ومن كل قوتك	تث 6/ 4-6	29، 80، 290
-لا نحوا.........................لم يعرفوها	تث 17/32	30
-وقال الرب لموسى..............إلى آلهة أخرى	تث 31 / 16-19	30-31
-ولما رأى الشعب موسى..........ثم قاموا للعب	خر 31/ 1-7	31
-وفعل بنو إسرائيل الشر البعل وعشتاروت	قض 2/ 10 15	32
-من مثلك بين الآلهة يا رب»	خر 15/ 11	32، 290، 296
- الآن علمت أن الرب..........من جميع الآلهة	خر 11/17	32
-وساروا وراء آلهة أخرى..........وأغاظوا الرب	قض 13/2	32
-فسكن بنو إسرائيل..............ثماني عشرة سنة	قض 3/ 5-14	32
-وحدث لما ابتدأ الناس..............ما اختاروا	تك 6/ 1-3	32
-وبعد ذلك....................هم الجبابرة	تك 4/6	32
-فتقول لفرعون....................ابنك البكر	خر 22/4-24	33
-أنا أكون له أبا....................ابنا	2 صم 14/17	33

-أنتم أولاد للرب .... للرب إلهك	تث 14/ 1	33، 86
-وهو يكلم الشعب عنك................ إلها	خر 16/4	33
-وقال الرب لموسى...............يكن نبيك	خر 1/7	33
-إن بعلا إله....................الإله الحق	1مل 18/ 21	34
-فتقدم إيليا إلى جميع الشعب ....بكلمة	1مل 18/ 21	34
-فقال لهم إيليا.................. وذبحهم هناك	1مل 18/ 40	34
-من أجل شرهم الذي فعلوه.........لآلهة أخرى	إر 3/44-6	34
-الإله القديم ملجأ»	تث 27/33	37
إني أنا الرب إلهكم.................... أنا قدوس	لا 11/ 44	39
-ليس الله إنسانا.................... ولا يفي	عد 23/ 19	40
-فبمن تشبهون الله.................. تعادلون به	أش 18/40	40
-فبمن تشبهونني.........................القدوس	أش 40/ 25	40
-إنه لا مثل لك يا رب»	إر 6/10	40
-ويكلم الرب موسى.................. صاحبه	خر 33/ 12	44
-وأما عبدي موسى.......... لا بالألغاز	عد 12/ 5-9	44
-لا تقدر أن ترى وجهي...............فلا يرى	خر 33/ 18- 23	44
-فيصنعون لي مقدسا................في وسطهم	خر 25/ 8	45
-وأسكن في وسط بني إسرائيل»	خر 29/ 45	45
-ليس مثل الله يا يشرون ....في عظمته	تث 33/ 26	46
-حينئذ تكلم سليمان.............. إلى الأبد	1 مل 8/ 12- 14	46
-فقالت الحية للمرأة...................الخير والشر	تك 3/ 4-6	47، 50
-قلبا صورتك.................. عرفتك	إر 5/1	48
-هو يكشف العمائق............. يسكن النور	دان 2/ 22	48
-فإني اجتاز في أرض مصر ... أضرب أرض مصر	خر 12/ 12- 14	50

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-ورأى الرب أن شر الإنسان.........الذي خلقه	تك 6/ 5-8	50
-كل ما شاء الرب صنعه»	مز 134/ 6	50
وقال الله ليكون نور................ أنه حسن	تك 1/ 1-31	51، 99
-ارجع إلى حمو غضبك................ بشعبه	خر 32/ 13- 15	51
-ظهر الرب لأبرام................. القدير	تك 17/ 1	52
-ثم كلم الله موسى........القادر على كل شيء	خر 6/ 2-3	52
-آه أيها السيد الرب......لا يعسر عليك شيء	إر 32/ 17	53
وفرغ الله في اليوم السابع............ خالقا	تك 2/ 2-3	53
-لأن في ستة أيام صنع الرب السماء..اليوم السابع	خر 11/20	53
-وأما اليوم السابع............ استراح وتنفس	خر 31/ 15- 17	53
-فطرد الإنسان................ شجرة الحياة	تك 3/22-24	52
-إني أسمع»	خر 22/ 28	54
-وسمع الرب فحمي غضبه»	عد 11/ 1	54
-وكان الشعب................ في أذني الرب	عد 1/11	54
-دعوت الرب................ دخل أذنيه	2 صم 4/22	55
-وقال الرب إن صراخ سدوم..........الآتي إلي	تك 18/ 30-32	55
-وصانه كحدقة عينه»	تث 32/ 10	55
-وقالوا كل الأقوال................ نفعل	خر 24/ 3	55
-وكلم الرب موسى»	خر 1/25	55
-فقال الرب لموسى...................معكم	خر 22/20	55
-ويكلم الرب موسى.................. صاحبه	خر 12/33	56
-وأنا احتمع بك هناك.............بني إسرائيل	خر 22/25	56
-فترل الرب...................لا بالألغاز	عد 12/ 5-9	56
-لأني أرفع إلى السماء يدي...........إلى الأبد	تث 32/ 40	57

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-وقال الرب الإله.................التي أخذ منها	تك 3/ 22	58
-لأن الرب اسمه غيور»	خر 14/34	63
-لأن الرب إلهك هو نار آكلة»	تث 4/ 24	63
-لأن الرب إلهك سائر في وسط محلتك»	تث 23/ 14	64
-وأنا ظهرت لإبراهيم...............عندهم	خر 3/6	67
-يهوه إلاه آبائكم.................يعقوب	خر 3/ 15	67
-يهوه يراه»	تك 22/ 14	67
فدعاه إبراهيم.............. يراه	تك 22/ 14	67
-وأقام ....إسرائيل	تك 20/33	68
-وجبل الرب الإله آدم............. نفسا حية	تك 2/ 7	71، 165
-فأوقعه الرب الإله سباتا............إلى آدم	تك 2/ 21-22	71، 165
-أنا وقلبي..........................في داخلي	مز 109/ 22	72
-نأمة معصية...........................أمام عينيه	مز 1/36	72
-وقال الله نعمل الإنسان.......... وباركهم الله	تك 1/26-28	72
-أنا قلت إنكم آلهة.....................كلكم	مز 82/ 6	73
-مثل الناس تموتون »	حز 82/ 7	73
-لأن تصور قلب الإنسان...................حداثته	تك 8/ 21	74
-من يقول إني زكيت قلبي...................خطيتي	أم 20/ 9	74
-آثامكم صارت فاصلة.............حتى لا يسمع	أش 59/ 2	75، 180
-فكيف اصنع هذا الشر....................إلى الله	تك 39/ 9	75
-النفس التي تخطئ........................إثم الابن	حز 18/ 20	75
-فرجع موسى إلى الرب............الذي كتبت	خر 32/ 31- 32	75
-لأن عندك المغفرة»	مز 130/ 3	75
-أما هو فرؤوف...............كل سخطه	مز 38/78	75

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-فخلق الله الإنسان.............. يكون طعاما	تك 1/27- 29	76
-فأخرجه الرب الإله............... أخذ منها	تك 3/ 23	76
اتق الله واحفظ وصاياه..........كله	جا 12/ 13	76
-من أصوات مياه كثيرة.............أقدر	مز 93/ 4	76
ليس الأموات يسبحون...........هللويا	مز 115/ 17-18	76
بتعب تأكل................ و إلى التراب تعود	تك3/17-19.	77، 165
لأنه لا بد أن نموت..........لا يجمع أيضا	2 صم14/14	77
الإنسان مولود المرأة...........ليسترح	إي 14/1-6.	77
-وكان عند خروج نفسها..............ماتت	تك 35/18.	77
-لو عقلوا لفطنوا.................آخرتهم	تث 32/28	78
-لي النقمة والجزاء.................. أقدامهم	تث 32/35.	78
-وقال الرب الإله........ ....الخير والشر	تك3/22.	79
-ورأى الله.......................حسن جدا	تك 1/26-31	79
-وأما عبدي موسى»	عد12/7.	80
-أما الأرض.................... لبني آدم	مز 115/16.	81
التجارب العظيمة التي أبصر هتها......هذا اليوم	تث29/3-4.	82
إنهم أمة عديمة الرأي...............فيهم	تث 32/28.	82
-ما أعظم أعمالك..............بحكمة صنعت	مز104/24	82
-لأنه كلمة الرب مستقيمة..............بالأمانة	مز 33/4	82
-أليس هو أباك.....................إله أجنبي	تث32/6-12.	86
-وقال الرب لموسى...............فأبيت أن تطلقه	خر4/21-23.	86
-اعلموا أن الرب هو الله.............مرعاه	مز 100/3	86
-فقال يشوع للشعب.............إله إسرائيل	يش 24/22-23	87
-رائحة سرور وقود للرب ....وأكون لهم إله	خر 29/41-45.	87

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-في ذلك اليوم قطع الرب........نهر الفرات	تك 18/15.	87
-وأقم عهدي بيني وبينك.........في أجيالهم	تك 7/17-9.	87
-ولكن عهدي.......................سارة	تك21/17.	87
-اسمع يا إسرائيل..........من بيت العبودية	تث4/6-12.	88
-السماوات تحدث بمجد الله ....علما	مز 1/19-2	89
-يا سيد الرب...................وكجبروتك	تث24/3.	90
-ولكن أقسي قلب فرعون ....في لأرض مصر	خر3/7.	90
حالما ترجع إلى مصر ....إجرائها	خر21/4.	90
-واعلموا اليوم.....................في البرية	تث2/11-5.	90
-فاشتعلت فيهم نار الرب.........فخمدت النار	عد1/11-3.	91
-فلما سمع موسى الشعب يبكون..........لنأكل	عد 10/11-14.	91
-انتظارا انتظرت ....إلى الكذب	مز 1/40-4.	92
-اللهم باسمك خلصني..................رأت عيني	مز 1/54-7.	92
-أصغ ياالله إلى صلاتي............ظلم الشرير	مز1/55-3	92
-أما أنا فإلى الله اصرخ ....فهو يعولك	مز16/55-22	92
-أنت يا رب عرفت...................يقول الرب	إر 19/15-21.	92
-أنا واضع أمامك اليوم بركة....أوصيكم بها اليوم	تث26/11-28.	93
-انظر قد جعلت اليوم قدامك الحياة ...هو حياتك	تث 15/30-20.	93
-طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشواره الأشرار............................ينجح	مز1/1-3.	93
-طوبى للكاملين طريقا.................لا أخزى	مز 1/119-6.	94
-واللعنة إذا لم تسمعوا..............لم تعرفوها	تث 28/11.	94
-أنا الرب إلهك...............ولا عبده ولا أمته	خر3/20-17.	94
-فاحترزوا لتعلموا.............ويكون لكم خير	تث 22/5-23.	94

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-وماذا يطلبه منك الرب...........مع إلهك	مي 8/6.	95
-هكذا قال الرب...........وأجروا العدل	أش 1/56.	95
-البار بإيمانه يحيا»	حب 4/2.	95
فآمن بالرب.......................له براً	خر16/6.	95
-فاحفظ الوصايا والفرائض....العهد والإحسان	تث 13/7.	95
-والآن لا تتأسفوا..................بل الله	تك 5/45-8.	97
-هذا هو القضاء المقضي.........فمن يردها	أش14/26-27.	97
-لأني أنا الله ....قضيت فأفعله	أش 9/46-11	98
-إذا سليكتم في فرائضي......أسلط عليكم رعبا	لا 3/26-16.	98
-وإن ساء في أعينكم ....من تعبدون	يش 15/24.	98
-سفه الإنسان ....على الرب	أم 3/19.	99
-هذا كان من أيديكم»	ملا 9/1.	99
إن سبل الرب جميعها رحمة..............وشهادة	مز10/24.	99
-فأذلك وأجاعك وأطعمك»	تث3/8	100
-انظر أنا واضع أمامكم اليوم بركة...أوصيكم بها	تث11/26-29.	101
انظر قد ....حياتك	تث 15/30-20	101
-وقال الرب الإله............عارفا الخير والشر	تك22/3	101
-إن جميع سلبه عدل...........غبيا غير حكيم	تث 4/32-6.	291، 297
-حاشا له من الشر..............لا يعوج القضاء	أي 10/34-13.	
-فقال الرب على تركهم شريعتي ....أفنيهم	إر 13/9-16.	102
-من أجل أنكم لم تسمعوا لكلامي ...سبعين سنة	إر 8/25-11.	103
-أنتم أخطأتم..................أكفر خطيتكم	خر 30/32.	104
-أحمدك يا رب..............صارلي خلاصا	أش 1/12-2.	104
-تاقت نفسي إلى خلاصك........شهادات فمك	مز 119/ك	104

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-وأنا أيضا قد سمعت أنين بني إسرائيل ....ممدودة	خر 6-5/6.	104
-لا يزول قضيب من يهوذا..............يا رب	تك18-10/49.	105
-ها أنذا أرسل إليكم إيليا...............بلعْن	ملا 6-5/4.	105
-وإن سمعت سمعا...............إلى أقصائها	تث 64-1/28.	107
-ودعا موسى جميع إسرائيل............هذا اليوم	تث 5-1/29.	109
-لا أمانة ولا إحسان..........أرفضك أنا	هو 1/4.	111
-لأن شعبي أحمق..................ما يفهمون	إر 22/4.	111
وقال أحجب وجهي عنهم.........لا أمانة فيهم	تث 20/32.	112
-أغاظوني بأباطيلهم »	تث 21/32.	112
-إنهم أمة عديمة الرأي..................فيهم	تث 28/32	112
-خذوا كتاب التوراة ....بعد موتي	تث 28-26/31	112، 297
-أغاروه بالأجانب ....الذي أبدأك	تث 18-16/32.	113
-من أجل شرهم..............لآلهة أخرى	إر 6-3/44	113
-أما ترى ماذا يعملون ....ليغيظوني	إر 18-17/7	113
-أما إسرائيل فلا يعرف............ويتبع العطايا	أش 23-2 /1	113
-آثامكم صارت فاصلة...........لا يعرف سلاما	أش 8-2/59	114
-فجربوا وعصوا..........ورذل إسرائيل جدا	مز 59-56/78	114
-اسمع هذا أيها الشعب الجاهل ....كهذه	إر 29-21/5	117-118
-إن يد الرب لم تقصر عن أن تخلص....و المعصية	إش 13-1/59	118
-أنا عرفت أن الرب عظيم...........من خزائنه	مز 7-5/135	289
-لا يكن لك آلهة أخرى.........ولا تعبدهن	خر 6-3/10	285،290
-اسمع يا إسرائيل..........رب واحد	تث 4/6	132، 285
-لقد ميزتكم من الشعوب ....إلها	خر 7/6	291
الرب رب إسرائيل............شعبه	2 صم 18-8/7.	291

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خامساً: فهرس نصوص

الأناجيل ورسائل الرسل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس نصوص الأناجيل ورسائل الرسل

النص	الإنجيل /رسالة رقمه، ورقم نصه	الصفحة
-و أما هذه فقد كتب ....هو المسيح ابن الله	يو 31/20	14
-الذي أقوله لكم................كليهما في جهنم	مت 27/10-29	16
-فلما اعتمد يسوع....................به سررت	مت 16/3-17	122
«أنا والأب واحد »	يو 30/10	122، 124، 137، 157، 184، 289
«إن الأب في وأنا فيه»	يو 38/10	122، 137
«الذي يراني يرى الذي أرسلني»	يو 25/12	122، 137
-أنا معكم زمانا ....والآب في	يو 9/14-12	123
-في البدء كان الكلمة...............نور الناس	يو 1/1-4	123
-الحق الحق أقول ....ليرجموه	يو 58/8-59	124
أنا أعمدكم بماء التوبة.............بالروح القدس	مت 11/3	127
-أنا أعمدكم بالماء.................بالروح القدس	مر 8/1	126
-إن لي أمور كثيرة ....بأمور آتية	يو 12/16-13	126
-لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد..............تعبد	مت 10/4	132، 290
-لا يقدر خادم أن يخدم سيدين................الأخر	لو 13/16	132، 163، 196
-لا تظنوا أني جئت لأنقض..............يكون الكل	مت 17/5-18	133، 173، 197، 290
-احترزوا من أن تصنعوا صداقتكم....يجازيكم علانية	مت 1/6-7	133
-لأني لم أتي لأدعوا أبرارا .... إلى التوبة	مت 13/9	133
« لم أرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة »	مت 24/15	133
فاحفظ الوصايا...............كنفسك	مت 16/19-20	134
.........لو عرفتموني لعرفتم أبي »	يو 19/8	137، 184

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-إن أول كل الوصايا.............الوصية الأولى	مر12/29-30	138
-بالحق قلت لأنه الله واحد.....................سواه	مر12/32	138
-لست بعيدا عن ملكوت الله»	مر12/34	138
-أذهب يا شيطان...................وحده تعبد	لو4/7	138
-إنه قيل لا تجرب الرب إلهك»	لو4/9-12	138
-لماذا تدعوني صالحا....................وهو الله	لو 18/18-19	138
-لماذا جاء يسوع إلى وطنه..............وفي بيته	مت 13/54-58	141
-ولماذا دخل أورشليم.................ناصرة الجليل	مت21/10-11	141
فأخذ الجميع خوف.......................نبي عظيم	لو7/11-16	142
-يسوع الناصري.....................وجميع الشعب	لو24/19	142
-أنا أعلم أن مسيا..............أنا الذي أكلمك هو	يو4/19-25	142
-فلما رأى الناس الآية..............الآتي إلى العالم	يو6/14	142
-صعد يسوع إلى الهيكل..............وليس فيه ظلم	يو7/14-18	142
-إن الآلهة تشبهوا بالناس ....أن يذبح	أع14/11-14	150142
-وبينما هو يحتج..........................يا بولس	أع 26/24	151
-أنت الإله الحقيقي وحدك»	يو17/3	157
-بالإيمان نسلك لا بالعيان »	2كو 5/7	157
-احفظوا أنفسكم من الأصنام»	يو5/21	157
-ثم ابتدأ من موسى.....................في جميع الكتب	لو 24/27	163
-نحن بالطبيعة يهودا.........................خطاة	غل 2/15	163
-إذا الناموس مقدس...........................حاشا	رو 7/12-13	163
-الإنسان الأول من الأرض..........الرب في السماء	1 كو 15/45	165
وضعته قليلا عن الملائكة.............تحت قدميه	عب 2/7	166
-وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا ...وباركهم الله	تك 1/26-28	166

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-ولبستم الجديد..........................صورة خالقه	كو3/10	166
-وتتجددوا بروح ذهنكم..............وقداسة الحق	أف 4/23-24	166
-وأما ثمر الشجرة............................لئلا تموتا	تك3/3	167
-من أجل ذلك.....................إذا أخطأ الجميع	رو5/12	168
-ملعونة الأرض بسببك.............وإلى تراب تعود	تك3/17-19	169
-فأخرجه الرب الإله.......................التي أخذ منها	تك 3/23	169
-أنحن أفضل..............تحت قصاص من الله	رو 3/9-19	169
-لأن هذا هو دمي ....لمغفرة الخطايا	مت 25/26	170
....لأنه هكذا أحب الله العالم..............شريرة	يو3/16-19	170، 188
-لأنه كما في آدم.................سيحيا الجميع	1 كو 15/22	170
....أفلا ينصف الله مختاريه.............إنه ينصفهم	لو 18/7-8	175، 205
-ودم يسوع المسيح إبنه..............ليست فينا	1يو1/7-10	181
-لأن هذا هو دمي ....لمغفرة الخطايا	يو 26/28	181
-الذي يؤمن بالإبن له حياة أبدية ....غضب الله	يو3/36	182
-فكل من يعترف قدامي.......................قدام أبي	مت10/32-33	182
-ومن يقبلني ....الذي أرسلني	مت10/40	182
-من آمن بالإنجيل.......................يقض عليه	مر16/16	182
-لأن الله واحد................................المسيح	1 تيمو2/5	183
-من يثبت في...........................أن تعملوا شيئا	يو15/5	183
-كل شيء قدْ دُفع إلي ....أن يعلن له	مت 11/27	183
-الآب ما من أحد رآه»	يو1/18	184
-من رآني فقد رأى الآب»	يو 14/9	184
-كما أنك أنت أيها الآب..............أرسلتني	يو 17/21-24	186
-كما أن أباكم.....................هو كامل	مت 5/48	186

-فأبوك الذي في الخفاء..........علانية	مت4/6	186
-الله محبة.............وثبت الله فيه	يو 16/4	186
-أنا هو الطريق..........إلا بي	يو 6/14	188، 197
-أما الذين قبلوه...........بل من الله	يو 14-12/1	188
-الذي يؤمن به لا يدان ....ابن الله الوحيد	يو 19-18/3	188
-رجال نينوي سيقومون ....يونان	لو 32/11	190
-أقول لكم أنه هكذا يكون........إلى توبة	لو 10-7/15	190
ويل لذلك الرجل ....أنت قلت	مت 25-21/26	192
وكان تلاميذ يوحنا............في تلك الأيام	مر 20-18/2	193
-وكما رفع موسى الحية.........يرفع ابن الإنسان	يو 14/3	193
أنا هو الباب..........فيخلص	يو 9/10	196
الحق الحق أقول لكم أن من يسمع.......إلى الحياة	يو 24/5	196، 205
لو عرفتموني ....أبي	يو 19/8	196
-قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل...مستوجب الحكم	مت 22-21/5	197
-فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء...السماوات	مت 20-18/5	200
-هكذا يكون في انقضاء العالم ....وصرير الأسنان	مت 50-49/13	200
-إنه مكتوب للرب إلهك تسجد.......وحده تعبد	لو 8/4	201
-أقول لكم يا أحبائي..........من هذا خافوا	لو 5-4/12	201
-فمتى صنعت صدقة.........أن تسألوا	مت 8-3/6	201
-اسألوا تعطوا.........والأنبياء	مت 12-7/7	201
-إننا بلا خوف منقذين.........حياتنا	لو 75-74/1	202
-وإذا كان يصلي.........نجنا من الشرير	لو 4-1/11	202
-لأن لك الملك.........آمين	مت 15-9/6	202
-ليس من يقول لي يا رب...........سقوطه عظيما	مت 27-21/7	204

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لأن من يصنع مشيئة أبي..............و أمي	مت50/12	204
-ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك»	لو 42/22	204
-طوبى للذين يسمعون.....................ويحفظونه	لو28/11	204
-ويل للعالم من العثرات ....ولك عينان	مت7/18-10	204
-لو لم أكن قد جئت ....بلا سبب	يو 22/15-25	204
-ولي رجاء بالله ....والناس	أ ع 15/24	205
-لتكن مشيئتك......................نجنا من الشرير	لو2/11-4	205
-وإن لم تغفروا للناس...............زلاتكم	مت 15/6	205
-لكي يطلب من هذا الجيل..............من هذا الجبل	لو50/11- 51	205
-يا معلم ماذا يجب أن نفعل............الحياة الأبدية	لو25/10-28	205

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سادسا: فهرس

اختصارات أسفار الكتاب المقدس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس أسفار الكتاب المقدس واختصاراتها

العهد القديم	الاختصار	العهد القديم	الاختصار
سفر التكوين	تك	الإنجيل كما دونه متى	مت
سفر الخروج	خر	الإنجيل كما دونه مرقس	مر
سفر اللاويين	لا	الإنجيل كما دونه لوقا	لو
سفر العدد	عد	الإنجيل كما دونه يوحنا	يو
سفر التثنية	تث	أعمال الرسل	أع
سفر يشوع	يش	الرسالة إلى مؤمني روما	رو
سفر قضاة	قض	الرسالة الأولى مؤمني كورنثوس	1كو
سفر راعوث	را	الرسالة الثانية إلى مؤمني كورنثوس	2كو
سفر صموئيل الأول	1صم	الرسالة إلى مؤمني غلاطية	غل
سفر صموئيل الثاني	2صم	الرسالة إلى مؤمني أفسس	أف
سفر الملوك الأول	1مل	الرسالة إلى مؤمني فيلبي	في
سفر الملوك الثاني	2مل	الرسالة الأولى إلى مؤمني تسالونيكي	1تس
سفر أخبار الأيام الأول	1أخ	الرسالة الثانية إلى مؤمني تسالونيكي	2تس
سفر أخبار الأيام الثاني	2أخ	الرسالة الأولى إلى تيموثاوس	1تيمو
سفر عزرا	عز	الرسالة الثانية إلى تيموثاوس	2 تيمو
سفر نحميا	نح	الرسالة إلى تيطس	تي
سفر أستير	أس	الرسالة إلى فليمون	فل
سفر أيوب	أي	الرسالة إلى العبرانيين	عب
سفر مزامير	مز	رسالة يعقوب	يع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سفر الأمثال	أم	رسالة بطرس الأولى	1بط
سفر الجامعة	جا	رسالة بطرس الثانية	2بط
سفر نشيد الأناشيد	نش	رسالة يوحنا الأولى	1يو
سفر إشعياء	إش	رسالة يوحنا الثانية	2يو
سفر إرميا	إر	رسالة يوحنا الثالثة	3يو
سفر مراثي إرميا	مرا	رسالة يهوذا	يه
سفر حزقيال	حز	الرؤيا	رؤ
سفر دانيال	دان	برنابا	بر
سفر هوشع	هو	الرسالة إلى مؤمني كولوسي	كو
سفر يوئيل	يؤ		
سفر عاموس	عا		
سفر عوبديا	عو		
سفر يونان	يون		
سفر ميخا	مي		
سفر ناحوم	نا		
سفرحبقوق	حب		
سفر صفينا	صف		
سفر حجي	حج		
سفر زكريا	زك		
سفر ملاخي	ملا		

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سابعا: فهرس

المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المصادر والمراجع

أولا: بالعربية:

1-الكتب:- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، القاهرة: 1383هـ/ 1964م.ص 3ولاحقاها.

- أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، تح وتقديم محمد محيي الدين عبد الحميد، ط$_2$، 2ج في مجلد واحد، القاهرة :دار الحداثة، 1405هـ/ 1985م.10 ص.

- أحمد أمين، ضحى الإسلام، ط$_{10}$،بيروت: دار الكتاب العربي، ، د.ت.334 ص.

- ناصر الدين الألباني، سنن أبي داود، حكم على أحاديثه وآثاره، ط$_1$،الرياض : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. دت.703 ص.

-محمد سعيد رمضان البوطي، من الفكر القلب، الجزائر: دار الهدى، عين مليلة، 1406هـ/ 1986م. ص 41.

-طه باقر ، ملحمة كلكامش ، الجزائر : موفم للنشر، 1990، 102ص

- موريس بوكاي، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ترجمة نخبة من الدعاة، بيروت: طبعة دار الكندي ، د.ت. 10،11،23،26، 73ص

- دي بور، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة وتعليق محمد الهادي أبو ريدة،ط$_5$،بيروت: دار النهضة العربية ، 1401هـ/ 1981م.127ص

- محمد بحر عبد المجيد، اليهودية، القاهرة: مكتبة سعيد رأفت، 1398هـ/ 1978م. 9،23 ص

- البخاري، صحيح البخاري (في نسخة واحدة)،ط$_2$ ضبط محمد محمود نصار،بيروت: دار الكتب العلمية، 1423هـ/ 2002م. 3336،252،631،691،1161،1192ص.

- بروس بارتن، رونالد بيرز[وآخرون]، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس و.م.أ-وهولندا: طبعة هولندا والولايات المتحدة، ترجمة شركة ما سترميديا، ط$_3$، القاهرة 1326هـ/ 1999م. 14،ولاحقاها.

- بخيت مق، عقيدة الاختيار، ط$_2$، القاهرة: دار الثقافة، 1411هـ/ 1990. 8ص

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- روبير بندكتي، التراث الإنساني في التراث الكتابي، ط2،بيروت: دار المشرق1411هـ/ 1990م.70،91ص.

- جمعيات الكتاب المقدس، كتب الشريعة الخمسة، ط7،بيروت: دار المشرق، 1404هـ/ 1984م. 58،92-93،157ص.

- جورهاردوش قوس، علم اللاهوت الكتابي، ترجمة عزت زكي،القاهرة: دار الثقافة، 1402هـ/ 1982م. 76،553،600 ص.

-شارل جنيبير، المسيحية، نشأها وتطورها، ترجمة عبد الحليم محمود، بيروت: المكتبة العصرية.د.ت.ص55- 91،56-92، 94-95، 208-209. 1405هـ/

- جاك جومي، المسيح بن مريم، بيروت: دار المشرق، بيروت،لبنان،1405هـ/ 1985م. ص41، 244، 249-250، 266.

- الجمعية الطلابية العالمية للكتاب المقدس، الحق الذي يقود إلى الحياة الأبدية،و.م.أ طبعة نيويورك، 1،1388هـ/1969. ص 47، 17-21.

بسمة أحمد جستنية، تحريف رسالة المسيح عبر التاريخ أسبابه ونتائجه، ط1، دمشق: دار القلم، 1325هـ/2000. 147ص.

- إبن القيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان،تح ومراجعة محمد حامد الفقي، م.ع. السعودية: مكتبة الرياض الحديثة. د ت.ص 340-341

* مدارج السالكين، تح محمد حامد الفقي،ج1،بيروت: دار الكتاب العربي، 1392هـ/ 1972م.28ص.

- أبو عثمان الجاحظ، المختار في الرد على النصارى، تح ودراسة محمد عبد الله الشرقاوي،القاهرة: طبعة دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1405هـ/ 1984م.ص32. 99-100.

- أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تح محمد محي الدين عبد الحميد، ج4، بيروت: دار الفكر. د ت. 222ص.

- سهيل ديب، التوراة بين الوثنية والتوحيد، ط2 ، بيروت: دار النفائس، 1405هـ/ 1985م.14، 49ص.

- و.ج، دي بورج، تراث العالم القديم، ترجمة زكي سوس، مراجعة يحي والخشاب وصقر خفاجة، القاهرة: دار الكرنك، 1205هـ/ 1965. 67، 69ص.

- جان دلورم، دليل الإنجيل كما رواه مرقس، ط2، بيروت: دار المشرق،1414هـ/ 1992م .13ص.

- دونسيان ملا اليسوعي، قراءات في إنجيل يوحنا، ط4، بيروت: دار المشرق،1415هـ/ 1993م. 13، 20، 31، 58، 59ص.

- ول ديورنت، قصة الفلسفة، ط5، بيروت: مكتبة المعارف،1405هـ/ 1985م. 608 ص.

* قصة الحضارة، إعداد وترتيب محمدعبد الرحيم، ط1، ج11، بيروت: دار الجيل ، 1412هـ/1992م،249ص.

- عمر الداعوق، الروح القدس جبريل في اليهودية والنصرانية والإسلام، ط1، بيروت: دار البشائر، 1416هـ/ 1996م. 14ص.

- صموئيل هنري هوك، منعطف المخيلة البشرية، ترجمة صبحي حديدي،اللاذقية ادار الحوار للنشر والتوزيع، 1403هـ/ 1983م.67ص.

- على القاري الهروي، المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، تح ومراجعة عبد الفتاح أبو عذة، ط5،حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية، 1414هـ/ 1994م.109ص

- على عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام،مصر طبعة مكتبة النهضة، 1385هـ/ 1964م.ص38-39.

- محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ط2، بيروت: دار المعرفة، 1391 هـ/ 1972م.235ص.

-محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التتريل وعيون الأقاويل، وفي مقدمته كتاب الإنصاف فيما تضمنه الكشاف في الاعتزال للإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن منير المالكي، وفي مؤخرته كتاب تتريل الآيات على الشواهد من الأبيات لمحب الدين أفندي، 4ج في 4م، بيروت: دار المعرفة، د ت. 40 ص ولاحقاها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- محمد خليفة حسن أحمد، ظاهرة النبوة الإسرائيلية، القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1405هـ/ 1985م.12ص.

*علاقة الإسلام باليهودية، القاهرة: دار الثقافة ، 1405هـ/ 1985م، 51ص

- أبو محمد على بن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل،دمشق: دار الفكر، 1400هـ/ 1980م.53، 246ص.

- أبو عبد الله الحاكم، المستدرك على الصحيحين، تح مصطفى عبد القادر عطاء، ط1، ج1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1411هـ/ 1990م.109ص.

- أحمد بن حنبل، المسند،ج1،مصر: طبعة مؤسسة قرطبة،. د ت.316ص

- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ط3، بيروت: دار العالم، د ت.ص236-238.

- سعد بن منصور بن كمونة اليهودي، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، القاهرة: دار الأنصار. دت.32ص.

- الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس في العالم العربي. دت.دم .ص3 ولاحقاتها.

إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، 7ج في 7م، ط8،لبنان: دار الأندلس، 1406هـ/ 1986م. 44ص ولاحقاتها.

رحمة الله الكيرانوي، إظهار الحق، تح وإخراج عمر الدسوقي،ج1، الجزائر: منشورات دار الكتب، الجزائر، 1388هـ/ 1988م.ص95-96، 335،304، 509.

- أورانج كاي رحمات، التفكير الديني في العالم قبل الإسلام،ترجمة رؤوف شلبي ، الدوحة: دار الثقافة ،1403هـ/1983م.23، 399ص.

-جان كمدي ، دليل إلى قراءة تاريخ الكنسية ، ط1، لبنان : دار المشرق ،1414هـ/1994م.ص120-121.

- أندري كريسون، تيارات الفكر الفلسفي من القرون الوسطى حتى العصر الحديث، ترجمة نهاد رضا، بيروت: منشورات عويدات، 1383هـ/ 1962م.ص140-153.

- س، ليقي، كنوز التلمود، ترجمة خليفة التونسي، ط2، القاهرة: مكتبة دار التراث، 1409هـ/ 1991 . 31 ، 46ص

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه، سنن إبن ماجه، تح ومراجعة محمد فؤاد عبد الباقي، ج1، بيروت :دار الفكر، د ت. 35ص.

- الحارث بن أسد المحاسبي، العقل وفهم القرآن، تح حسن القوتلي، ط3، دار الكندي ودار الفكر، 1402هـ/ 1982م.ص 72-75.

- عبد الجبار المعتزلي، شرح الأصول الخمسة، 2ج في كتابين، الجزائر :موفم للنشر، الجزائر، 1410هـ/ 1990م.3، 200 ص

* فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تح فؤاد سيد، ط2، تونس الجزائر:الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1406هـ/ 1986م.167، 220، 221 ص.

- حسين محمد مخلوف، أسماء الله الحسنى،باتنة: دار الشهاب، باتنة، الجزائر، دت. 18 ص.

- موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ترجمة حسين أتاي، (القاهرة: نشر مكتبة الثقافة الدينية، دت).ص 57 ولاحقتها .

- سبتوني موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ترجمة يعقوب بكر، القاهرة:دار الكتاب العربي،القاهرة، 1377هـ/ 1957م.148 ص.

- جوش ما كدويل، نجار وأعظم، ترجمة سمير الشوملي، ط2،فلوريدا:طبعة فيدا، 1414هـ/1994م.6، 106، 109 ص.

- توماس ميشال، مدخل إلى العقيدة المسيحية، ترجمة كميل حشيمة اليسوعي، بيروت:دار المشرق، 1406/1986م. ص 19-20، 64.

- عبد الرحمان مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ط1، بيروت:منشورات عويدات، 1389هـ/1970م.ص 224-225، 236-238

- عبد الرحمان بن صالح المحمود، القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، ط2، الرياض: دار الوطن، 1418هـ/ 1997م. 39ص.

- الإمام مسلم النيسابوري، الجامع الصحيح، م4، ج8،بيروت:المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، لبنان. د ت. 66،85،87 ص.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

علي سامي النشار وعباس أحمد الشربيني، الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية، الأسكندرية :منشأة المعارف ، 1392هـ/ 1972م. ص110- 113، 250.

* نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط1، مصر :دار المعارف، 1397هـ/ 1977م.

* النشار وعمار جمعي الطالبي، عقائد السلف، الأسكندرية :منشأة المعارف ، 1391هـ/ 1971م. 7، 18 ص.

عبد المجيد النجار، علي الشابي، وأبو لبابة حسين، المعتزلة بين الفكر والعمل، ط1، تونس:الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1406هـ/ 1989م. 43 ص.

أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، غريب القرآن المسمى (بنزهة القلوب)، ط1، بيروت:دار الرائد العربي، 1402هـ/ 1982م. 159 ص.

– أحمد حجازي السقا، التعريف بإنجيل برنابا، ترجمة خليل سعادة، القاهرة:دار البشير ، د ت. ص72- 73.

– باروخ سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة حسن حنفي، مراجعة فؤاد زكريا، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1401هـ/ 1981م.ص 26 27 ولاحقتها .

– الأب فاضل سيداروس اليسوعي، تكوين الأناجيل، رقم 18، في سلسلة دراسات في الكتاب المقدس، ط1، بيروت:دار المشرق، 1410هـ/1990م.ص 39 40.

* بين وحي الله وإيمان الإنسان، بيروت دار المشرق، 1410هـ/1990م. 53، 83ص.

عبد العزيز عبد المعطي عرفة، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، بيروت:طبعة دار عالم الكتب ، 1405هـ/ 1985م. 29 ص.

– محمد عبده، رسالة التوحيد، ط1، بيروت:دار إحياء العلوم ، 1405هـ/ 1985م. 60، 63، 77 ص.

– عباس محمود العقاد، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، بيروت- صيدا:منشورات المكتبة العصرية. د ت.76 ص.

* الإنسان في القرآن الكريم،بيروت-صيدا: منشورات المكتبة العصرية. د ت.14 ص.

– أحمد عبد الوهاب، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية، القاهرة:مكتبة وهبة ، 1407هـ/ 1987م.ص 6 ولاحقتها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- مشير باسيل عون، بين المسيحية والإسلام، بحث في المفاهيم، الكتاب رقم 4 في سلسلة المسيحية والإسلام في الحوار والتعاون،لبنان:المكتبة البولسية، 1419هـ—1999م. 26،50،54،83 ص.

- أبو بكر (المعروف بابن العربي)، أحكام القرآن، تح علي محمد البجاوي، ج2، بيروت:دار المعرفة.دت.817 ص.

- ناجي فرنسيس، الإنسان في الكتاب المقدس، القاهرة:دار الثقافة،1422هـ/ 2002م. 8، 16،41 ص.

- سيغموند فرويد، النبي موسى ورسالة التوحيد، ترجمة عبد المنعم الحفني، القاهرة:دار الرشاد ، 1411هـ/ 1991م.76، 154 ص.

- مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، ط2، ج3، بيروت:دار إحياء التراث العربي، 1401هـ/ 1981م.84 ص .

- محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، سبل السلام: شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، تصحيح وتحقيق محمد عبد العزيز الخولي، ج4، بيروت:دار الجيل ،1379هـ/ 1960م.1444 ص.

- عبد الله صايغ، الوحدة والاتحاد المسيحي، بيروت:مطبعة الغريب، د ت. 15 ص.

- جان م. صدقه، الشيع المسيحية، نشأتها وتنظيماتها، بيروت: دار المشرق،1419هـ/1999م. ص 6-7، 15-16.

- يوسف القرضاوي، وجود الله، قسنطينة:دار البعث للطباعة والنشر، 1407هـ/ 1987م. 20ص.

- يوسف مصطفى القاضي ومقداد يالجن، علم النفس التربوي في الإسلام، الرياض:دار المريخ ، 1401هـ/ 1981م.41ص.

- الإمام القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج15، بيروت:دار الكتاب العربي،د ت. 258 ص .

- الفخر الرازي، التفسير الكبير، 32ج في 16م، ط3، بيروت:دار إحياء التراث العربي، د ت.ج11 ص115-116، ج 27 ص186-187.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

– محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل 2ج في مجلدين، تح وتقديم محمد سيد كيلاني، بيروت:دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1404هـ/ 1984م.87،106،212 ص.

–اسطيفان شربنتيه، دليل إلى قراءة الكتاب المقدس، ترجمة صبحي حموي اليسوعي، ط3، بيروت:دار المشرق،1406هـ/ 1986م.19، 36،50،70، 233ص.

* دراسة في الأناجيل كما رواه متى، ط4، بيروت:دار المشرق،1407هـ/1987م.29،47،48 ص.

عبد المجيد الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع الهجري، تونس الجزائر:الدار التونسية للنشر مع المؤسسة الوطنية للكتاب، 1406هـ/ 1986م.52، 198 ص.

–فيكتور شلهت، الإنسان في ضوء المسيح، ط2، بيروت:دار المشرق، 1412هـ/1976م.119 ص.

*بين وحي الله وإيمان الإنسان، ط2، بيروت:دار المشرق، 1996م.53ص.

–رشاد الشامي، محاضرات في اليهودية (ألقيت على طلبة جامعة الأمير القادر الإسلامية 1406هـ/ 1986م.

محمد عبد الله الشرقاوي، بحوث في مقارنة الأديان، القاهرة:دار الفكر العربي، 1420هـ/ 2000م.131ص.

–محمد بن علي الشوكاني، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، تح عبد الرحمان بن يحي المعلمي اليماني، ط1 ، القاهرة:المكتب الإسلامي 1392هـ/1971، ص 502-504

–محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تح أحمد محمد شاكر، بيروت:دار عمران، د ت.530 ص.

–تقي الدين أحمد بن تيمية، الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان، قسنطينة:دار البعث قسنطينة، 1407هـ/ 1987م.48 ص

–محمد عبد المعيد خان، الأساطير والخرافات عند العرب، ط3، بيروتدار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، 1401هـ/ 1981م.ص 117-119.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-حسن ظاظا، التفكير الديني اليهودي أطوره ومذاهبه، ط1، بيروت:الدار الشامية، 1420هـ/ 1999م.27 ص.

-أبو حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، بيروت:طبعة دار الكتب العلمية، 1403هـ/ 1983م.ص 100-101.

*تهافت الفلاسفة، مصر:دار المعارف، مصر، د ت. ص5 ولاحقتها .

-محمد الغزالي، المحاور الخمسة في القرآن الكريم، عين مليلة الجزائر:دار الهدى للطباعة والنشر، 1410هـ/ 1990م.ص 63-64.

-بيار غرولو، من أنت أيها الإنسان، بيروت:دار المشرق، 1400هـ/1980م.ص 13-15، 65.

2-المعاجم والموسوعات والدوريات

-بطرس البستاني، دائرة المعارف، م8 و6، بيروت:دار المعرفة، د ت.306،447 ص.

-عبد المنعم الحفني، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1414هـ/1994م. ص 11، 31، 100،160-161.

-علي بن محمد بن علي الجرجاني، كتاب التعريفات، تح إبراهيم الأبياري، بيروت:دار الكتاب العربي، 1423/ 2002م.142ص.

-أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبري زادة، موسوعة مصطلحات مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تح علي دحروج، لبنان:مكتبة لبنان 1418هـ/ 1998م.251ص.

-إبن منظور، لسان العرب، تنسيق وتعليق علي بشرى، ج1، بيروت:دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، 1408هـ/ 1988م.892ص.

-لجنة من العلماء السوفيات، الموسوعة الفلسفية، إشراف، م. روزنتال و ب. يودين، ترجمة سمير كرم، ط6، بيروت:دار الطليعة ، 1401هـ/ 1981م.321،414 ص.

-الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة جلال العشري، فؤاد كامل وعبد الرشيد الصادق، مراجعة وإشراف وإضافة زكي نجيب محمود، بيروت:دار القلم.د ت.

-محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، لبنان:إخراج دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، بيروت، 1406هـ/ 1986م.176، 296،212، 300ص.

-دافيد أيلون، شنعار[وآخرون]، قاموس عربي عبري. أورشليم: مطبعة ي.ل ، ماغنسن1395هـ/1975م، 42ص.

-مجلة الفيصل، عدد 185 ذو القعدة 1412هـ/ 1992م،الرياض: دار الفيصل الثقافية. 46

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا بالأعجمية :

1-الكتب:

Augustine chometen, pages choisiés tirées de la bible,Paris : Edition paris, 1936.12 P.

-The bible (Revised standard version), second edition, Great Britain: published by WM, collins sons and CD.LTD, 1971. P5-6,12.

-Chan.AUG. croegaert, commentaire liturgique des leçons du catchisme de Belgique, Canada, France, Suisse, T1, suenens , VIC.Gen, 1953.156 P.

-G.combés et J.Farges , œuvres de saint Augustin Paris :Edition 1930.P187-189.

-A.Cohen, le Talmud , paris :paillot, 1950.PP 43 F

-R.le deaut [et les autres],paris : le judaïsme, Edition Beauchesne, 1975.105 p .

-Romano gardini , le monde et la personne, Traduit de l'allemand par Rebert givord, paris : Edition du seuil,SD 158 P.

-Bernard Haring, La loi du christ , T_1 2eme édition , Belgique : Imprimérie de Belgique, SD .113P.

Isidor Epstein, le judaisme : origines et histoire,Paris : payot,SD. 129 ;187P.

-Salamon Reinach , histoire générale des religions , Paris : librairie d'éducation nationalle ,1933.382 P.

-Van imschoot , théologie de l'ancient testament , VI(Dieu) + V II (l'homme) ,Paris : edition paris ,1965.P 7-9,50,6,113,114.

-Alixander Weill,Moise et le Talmud. Paris : imprimerie général de CH Lahure , SD. P 252-253,321.

2- الموسوعات و دوائر المعارف

- Jean Duplacy et augustin georpge [Ale], vocabulaire de théologie Biblique ,2eme édition révisé et augmentée, Paris :Edition de cerf , 197. P 288-289.

- Encyclopedia judaica , V12 , jurasalam:C – BH.N.D.PP262,674-675,679.

- Isaac senanes , petite encyclopédie religieuse juive , S. E et S.D.9,21P.

- Quillet , Dictionnaire encyclopédique , paris : édition quillet, 1990, 5784P.

ثامنا: فهرس

الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية